المركز القومي للترجمة

دانييل ديفو

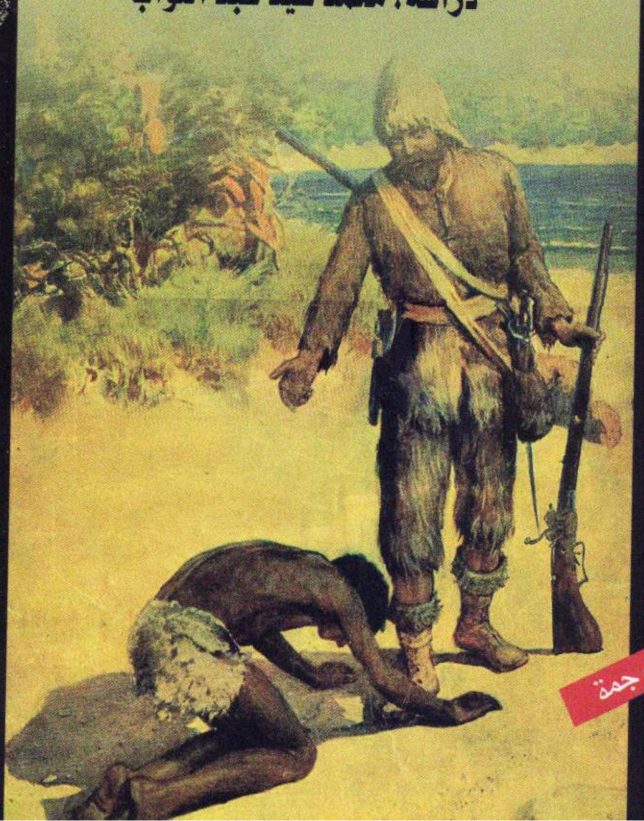
روبنصن كروزي

أول رواية معرَّبة 1835

ترجمة: مجهول

تقديم: خيري دومة

دراسة: محمد سيد عبد التواب



ميراث الترجمة

2358

قصة روبنصن كروزى

أول رواية معربة

(مالطة ١٨٣٥)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 2358
- روبنصن كروزى (أول رواية معربة مالطة ١٨٣٥)
- دانيال ديفو
- مجهول
- محمد سيد عبد التواب
- خيرى دومة
- 2015

هذه ترجمة:

Robinson Crusoe

By: Daniel Defoe

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

قصة روبنصن كروزى

أول رواية مُعربة

(مالطة ١٨٣٥)

تأليـف: دانيال ديفو
تــرجـمة: مجــهول
دراسة: محمد سيد عبد التواب
تقديم: خيرى دومة

2015

ديفو، دانيال، ١٦٦٠-١٧٣١.
قصة روبنسن كروزو: أول رواية مصرية: (مالطة ١٨٣٥)/ تأليف: دانيال ديفو: دراسة: محمد سيد عبد التواب: تقديم: خيرى دومة. ـ القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥.
٣٠٤ ص: ٢٠ سم.
تدمك ٣ ٠١١٥ ٩٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص الإنجليزية.
أ ـ عبد التواب، محمد سيد (دارس).
ب ـ دومة، خيرى (مقدم).
جـ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٥/٤١٩٠
I. S. B. N 978 - 977- 92 - 0115 - 3 .
ديوى٨٢٣

قصة روبنصن كروزي

(البداية المجهولة لترجمة الرواية إلى العربية)

د. خيرى دومة

(١)

حتى وقت قريب كان الوصول إلى الكتب العربية المطبوعة فى القرن التاسع عشر، مؤلفة كانت أو مترجمة - أمرًا بالغ الصعوبة؛ فالوصول إليها يقتضى بحثًا مرهقًا فى أضابير دور الكتب المتهالكة، وقد يصل الباحث إلى الكتاب فى النهاية أو لا يصل، وكان الوصول إلى هذه الكتب فى مكتبات أوروبا أسهل كثيرًا من الوصول إليها فى مكتبات العالمين العربى والإسلامى؛ ذلك أن تلك الكتب تمثل جزءًا من التاريخ الأوروبى الاستشراقى ثم الاستعمارى فى القرن التاسع عشر، كما أنهم كانوا أكثر عناية بالحفظ والأرشفة واستخدام أكثر الوسائل تطورًا لتسهيل الوصول إلى المصادر.

فى السنوات الأخيرة - مع ظهور شبكة الإنترنت، والنشاط الملحوظ من مؤسسات ومن متطوعين، فى الحصول على تلك الكتب والمخطوطات من أماكن مختلفة من العالم، ووضع صور منها على شبكة الإنترنت، وإتاحتها لأوسع عدد من القراء حول العالم - بات من السهل الوصول إلى بعض تلك المصادر، التى كانت حتى وقت قريب مجهولة لم يطلع عليها أحد، وإن سمع باسمها الباحثون ورددوه أحيانًا.

أضف إلى ذلك أن المثقفين العرب المعاصرين، ومع ما انتاب نهضتهم الحديثة من انتكاسات متوالية، وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى مراجعة البدايات الأبعد فى أوائل القرن التاسع عشر، وربما قبل ذلك، فى محاولة منهم لفهم أزماتهم الحاضرة؛ ومن ثم ظهرت دراسات متعددة بالعربية والإنجليزية تعمل بدأب على هذه المنطقة المجهولة من التاريخ العربى الحديث، سياسيا واقتصاديا وثقافيا وأدبيا. وهكذا جاء الاهتمام بالبدايات فى كل الشئون، ومنها بالطبع الشأن الثقافى، فتسابق الدارسون والباحثون فى العقود الأخيرة لإعادة نشر الكتب الأولى مع مقدمات تستند إلى معرفة أوسع ومنظور أحدث، بما فى ذلك طبعًا إعادة نشر الروايات والمسرحيات، المترجم منها والمؤلف.

وقد عرف القراء العرب بطبيعة الحال منذ وقت مبكر نسبيا، ومع بداية البحث فى تاريخ النوع الروائى فى الأدب العربى الحديث[1]، أن من أوائل النصوص الروائية التى ترجمت إلى العربية رواية الكاتب الفرنسى فينيلون "مغامرات تيليماخوس" التى ترجمها رفاعة الطهطاوى حين كان منفيا فى السودان أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر، ونشرها لأول مرة فى بيروت عام ١٨٦٧ تحت عنوان "مواقع الأفلاك فى مغامرات تليماك"، ثم أعيدت طباعتها مرات محدودة، كان آخرها الطبعة التى صدرت عن دار الكتب والوثائق القومية فى مصر عام ٢٠٠٧.

---

(١) لا بد من الإشارة هنا إلى الجهود الرائدة لكل من لطيفة الزيات، ومحمد يوسف نجم، وعبد المحسن طه بدر.

كما عرف القراء العرب أيضًا فيما بعد، أن هناك ترجمة قديمة لرواية "حياة روبنسون كروزو ومغامراته" للكاتب الإنجليزى دانيال ديفو، تسبق - من حيث تاريخ النشر على الأقل - ترجمة الطهطاوى لرواية تليماك؛ ذلك أن المعلم بطرس البستانى كان قد "ترجم الرواية وهذبها وناظر طبعها"، فى بيروت عام ١٨٦١، تحت عنوان " كتاب التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية، أو رحلة روبنصن كروزى"، وأعيدت طباعة هذا الجزء عام ١٨٨٥، قبل أن يعاد طبعه بعد ذلك مرات مختلفة.

لقد أتيح للقراء العرب إذن، أن يتعرفوا على هذين الكاتبين الشهيرين نسبيا، وأن يقرؤوهما أحيانًا، كما أتيح لهم أن يتعرفوا على بعض الترجمات التى صدرت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، لكن أحدًا منهم لم يُتح له أن يرى هذه الترجمة العربية الباكرة لرواية ديفو الشهيرة، التى نشرت فى مطبعة مالطة عام ١٨٣٥، تحت عنوان "قصة روبنصن كروزى"، دون ذكر للمؤلف ولا للمترجم، وفى وقت كانت الطباعة بالعربية فى العالم العربى لا تزال تتحسس طريقها البكر وتبتدع أساليبها. ربما قرأ بعض الباحثين إشارة إلى تلك الترجمة هنا أو هناك، لكنها ظلت نصا من النصوص البدائية المجهولة البعيدة، التى ربما لم يتأكد من وجودها أحد، فضلاً عن أن يعيد نشرها أو يتوقف عندها بالدرس والتحليل(٢).

---

(٢) لابد من توجيه الشكر هنا إلى باحثين عزيزين. الأول: محمد سيد عبد التواب، الذى عثر على نص هذه الترجمة، حين كان يعمل فى رسالته للماجستير عن روايات =القرن التاسع عشر، بإشراف سيد البحراوى ومشاركتى فى الإشراف؛ فقد قدم

كانت إشارة غامضة إلى هذه الترجمة العربية، قد وردت فى مقدمة الأصل الإنجليزى للرواية، فى طبعة نيويورك عام ١٨٥٣؛ إذ تتحدث المقدمة عن شهرة الرواية وذيوعها فى كثير من اللغات الحية، فتقول: "طُبعت روبنسون كروزو تقريبًا فى كل لغة مكتوبة، وصارت متعة لكل الناس فى كل الأديان ومن كل الطبقات، من تلميذ لندن فى فصله الدراسى، إلى العربى فى خيمته"(٣).

وربما كانت أقدم إشارة فى المصادر العربية إلى هذه الترجمة، هى التى وردت فى كتاب إدوارد فان دايك عام ١٨٩٧ «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»؛ إذ قال فى ترجمته لبطرس البستانى، ضمن الستة الكبار، ما نصه:«.. وترجم قصة روبنصن كروزى من اللغة الإنجليزية، طبعت فى بيروت، وهذه الترجمة أضبط وأوفى من التى طبعت فى جزيرة مالطة سنة ١٨٢٥م..»(٤).

بعدها كانت إشارة جون إليان سركيس عام ١٩٢٨ فى هامش على الكتاب رقم ٥ من كتب المعلم بطرس البستانى (قصة روبنسون

لى منذ ٢٠١٢ نسخة إلكترونية من الترجمة لنشرها فى المركز القومى للترجمة، كانت تنقصها بعض الكلمات والسطور أحيانًا، والثانى: بيتر هيل، باحث الدكتوراه فى جامعة أكسفورد، الذى يعمل على موضوع «اليوتوبيا فى القرن التاسع عشر»؛ فقد قدم لى النسخة الأوضح لهذه الترجمة التى نعتمدها هنا للنشر، بالإضافة إلى نسخة من رسالة جيفرى روبر عن مطبعة مالطة ودورها، وهى الدراسة التى تضمنت معلومات ووجهات نظر جديدة حول مطبعة مالطة وحول هذه الترجمة الباكرة، مما فتح لى بابًا لتوسيع البحث وتعميقه.

(3) Daniel De Foe. *The Life and Adventures of Robinson Crusoe*, (the only complete American edition). D. Appleton& Company. 200 Broadway. New York 1853. P: XIV.

(٤) راجعت نسخة إلكترونية من الكتاب على شبكة الإنترنت

كروزى، معرب عن الإنجليزية، بيروت)؛ إذ علق على هذه الجملة فى الهامش قائلاً: «وطبعت هذه القصة فى مالطة سنة ١٨٣٥، ص ٢٥٢، موسومة بقصة روبنسون كروزي باللغة العربية، تشتمل على سياحته وما جرى له أثناء ذلك (بدون اسم المترجم)»[٥] .

ثم جاءت إشارة محمد جمال الدين الشوربجى عام ١٩٦٢ حين قال فى وصف الكتاب رقم ١٩٨ ضمن قائمته: «قصة ربنصن كروزى الإنجليزى، المولود فى ١٦٣٢ ميلادية، فى مدينة يورك من أعمال بريطانيا. تأليف دانيال ريفو (هكذا فى الأصل) مالطة ١٨٣٥م، ١٢٥١ هـ، ٢٥٢ ص، ٦ لوحات، ١٤ سم، (٢٦٥٣ أدب)»[٦].

وتوالت الإشارات بعد ذلك فى كتب كثيرين ممن أرخوا لدور الترجمة فى نشوء الرواية العربية وتطورها، وكان أهم هذه الإشارات وأشدها وضوحًا ما جاء عام ١٩٨٣ ضمن كتاب متى موسى عن «أصول القص العربى الحديث»، حين قال: «إن ترجمة مجهولة لروبنسون كروزو ظهرت فى مالطة عام ١٨٣٥، ربما كانت من عمل فارس بن يوسف الشدياق، الذى كان قد انخرط مع الإرساليات الأمريكية هناك عام ١٨٣٤ ليساعدهم فى ترجمة الأدب الدينى إلى العربية، وقد تكون هذه هى الترجمة العربية الأولى لعمل قصصى إنجليزى»[٧].

---

(٥) راجع : معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمعه ورتبه جون إليان سركيس، جـ ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت) ص ٥٥٨.

(٦) راجع: قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢، جمع وتصنيف محمد جمال الدين الشوربجى، مطبعة دار الكتب ١٩٦٣. ص ٥٩.

(7) Moosa Matti, ***The Origins of Modern Arabic Fiction***, 2nd Ed, A Three Continents Book, London, 1997, p: 97.

بعد هذه الإشارة - وربما نقلاً عنها - جاءت إشارتان فى مقدمة المجلد الخاص بالأدب العربى الحديث من «تاريخ كيمبردج للأدب العربي» الصادر عام ١٩٩٢، إحداهما لمحمد مصطفى بدوى الذى ينتقل بشكل مفاجئ، وبعد حديث مطول عن الطهطاوى ودوره فى الترجمة، فيقول فى جملة واحدة مقتضبة: «فى ١٨٣٥ كانت ترجمة مجهولة لروبنسون كروزو قد نشرت فى مالطة»[٨]، أما الثانية فهى إشارة بيير كاكيا الموثقة، والمقتبسة من كتاب متى موسى، وهى إشارة تجعل من هذه الترجمة حدثًا استثنائيا وربما لا معنى له، يقول كاكيا: «إن أول جهد فردى يستحق التسجيل- إذا استثنينا ترجمة روفائيل زاخور راهب لحكايات لافونتين، وروبنسون كروزو المجهولة المطبوعة فى مالطة عام ١٨٣٥ - هو ترجمة رفاعة الطهطاوى لتليماك»[٩]. والوصف الذى تستخدمه الإشارات الثلاث السابقة هو: «ترجمة مجهولة» anonymous translation .

وإشارة تاريخ كيمبردج هذه هى نفسها التى اعتمد عليها عبد الله إبراهيم عام ٢٠٠٣، فى الفصل الرابع المخصص للتعريب ضمن كتابه "السردية العربية الحديثة"، وفى سياق يستقصى فيه الترجمات السابقة على ترجمة الطهطاوى لرواية تليماك، مثل ترجمة محمد مصطفى لكتاب فولتير «مطالع شموس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر» الصادر عن مطبعة بولاق عام ١٨٤٢، وترجمة بطرس

(8) M. M. Badawi(Ed), "Modern Arabic Literature" *(Cambridge History of Arabic Literature)*, Cambridge University Press 1992, p: 16.

(9) Ibid. p: 27.

البستانى لروبنسون كروزو الصادرة فى بيروت عام ١٨٦١، وهى الترجمة التى يعقب عليها قائلاً : «... وإن وردت إشارة غير موثّقة فى كتاب تاريخ كيمبردج للأدب العربى بأنّ ترجمة عربية، مجهولة المترجم لها، ظهرت فى مالطة، فى سنة ١٨٣٥، وهذه الإشارة لم يرد فى حدود علمنا تأكيد لها فى المصادر العربية التى اطلعنا عليها»(١٠).

من الواضح أن معظم هؤلاء الدارسين لم تصل يده إلى الكتاب الأصلي؛ إذ يبدو أن أحدًا لم يقرأ الترجمة ولم يتوقف عندها بالدرس؛ بدءًا من فان دايك الذى يخطئ فى تاريخ نشرها(١٨٢٥ بدلاً من ١٨٣٥)، وإن أصاب تمامًا فى أن ترجمة البستانى أوفى وأضبط منها، أما سركيس فيسميها "قصة روبنسون كروزى"، بخلاف الطريقة التى كتب بها العنوان فى مطبعة مالطة "قصة روبنصن كروزي"، والشوربجى عدّ "روبنصن" شخصية حقيقية، واعتمدَ المعلوماتِ الواردة عن بطل الرواية فى الصفحات الأولى من الكتاب التى تصفحها سريعًا أو وجد وصفها فى قوائم دار الكتب، وعدها معلومات تاريخية، وقد اجتهد فى الحصول على اسم المؤلف غير الموجود على النسخة الأصلية، وأخطأ فى التسمية ليصبح (ريفو) بدلاً من (ديفو)، بينما لم يشر من قريب أو بعيد إلى المترجم. أما عبد الله إبراهيم فيعدّ إشارة كيمبردج إلى هذه الترجمة إشارة "غير موثقة"؛ لأنه لم "يرد لها تأكيد فى المصادر العربية" التى اطلع عليها!

---

(١٠) عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، المركز الثقافى العربي، بيروت ٢٠٠٢، ص ١٤٣.

ومن الواضح أيضًا أن هذه الترجمة الباكرة انتقلت بطرق متعددة إلى المشرق العربى، ضمن الكتب التى أذاعتها المطابع العربية الأولى، فى مصر ومالطة وبلاد الشام(١١)، والمعلم بطرس البستانى الذى قدم الترجمة الأوسع والأدق فى ستينيات القرن التاسع عشر، كان ولا شك على معرفة بهذه الترجمة، بدليل أنه بعد أن يضع عنوان ترجمته التقليدى المسجوع (التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية) يجعل عنوانها الفرعى (رحلة روبنصن كروزى)، وهو عنوان لا يكاد يختلف عن (قصة روبنصن كروزى). ولا أحد يعرف بالضبط متى تحولت تهجئة اسم الشخصية والعنوان من (روبنصن كروزى) إلى (روبنسون كروزو)، وهى التسمية التى باتت راسخة ومعروفة فى

(١١) ضمن دراسة جيفرى روبر «الطباعة العربية فى مالطة ١٨٢٥-١٨٤٥: تاريخها ومكانتها فى تطور ثقافة الطباعة فى الشرق الأوسط العربى»، وردت إشارتان مهمتان حول هذه الترجمة لروبنسون كروزو ورحلتها إلى بلاد المشرق، إحداهما تقول: إن «جوزيف وولف كان قد زار الحديدة فى اليمن عام ١٨٣٦، وأعطى النسخة العربية من روبنسون كروزو لإبراهيم باشا قائد القوات المصرية فى اليمن. وبعد قراءتها أخبره إبراهيم باشا أنه مندهش تمامًا أن يجد فى الرواية الشىء الكثير عن الله». ص ٣٠٢. أما الإشارة الأخرى فتقول: إن «محمد على باشا كان يسعى عام ١٨٣٨ لترجمة بعض الكتب لتربية البنات ولقراءة الحريم. وبدلا من ذلك عُرض عليه أن يعيد طبع ثلاثة كتب مترجمة ومطبوعة فى مطبعة مالطة، وذلك بعد تدقيقها وتصويبها. وبين الكتب الثلاثة كان كتاب روبنصن كروزى. وقد أصدر الباشا أوامره بذلك، ولكنها لسبب ما لم تُطبَع». ص ٢٨٥-٢٨٦. راجع:
Geoffrey Roper. (1988) ***Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East***, Durham theses , Durham University, Available at Durham E-Theses Online, http://etheses.dur.ac.uk/1550/

اللغة العربية، والتى نجدها فى عناوين الترجمات العربية الأحدث فى القرن العشرين[١٢].

(٢)

هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟

ليس هذا هو السؤال بالضبط. وإنما قد تكون الصورة الأدق للسؤال هى: ما موقع هذا "الكتاب" بين الكتب الأولى المترجمة - أو حتى المطبوعة - بالعربية؟ من قام بترجمة الكتاب وطباعته؟ وكيف؟ وما قصته؟ وماذا فعل هذا المترجم الأول بالنص الإنجليزى فى أوائل القرن التاسع عشر؟ وعن أى طبعة من الطبعات الكثيرة للرواية قام بالترجمة؟ وبأى مستوى من اللغة العربية ترجم النص الإنجليزى؟ وإلى أى مدى أدخل تعديلات على النص بحيث يتواءم مع الذائقة القصصية العربية فى ذلك الزمان؟ لا أحد يعرف على وجه التحقيق الظروف التى أحاطت بترجمة هذه الرواية ونشرها، ولا من قام بالترجمة. كل ما نعرفه يقينًا هو ما تقوله صفحة العنوان من أنها منشورة فى مالطة عام ١٨٣٥.

---

(١٢) قام رائد أدب الأطفال المصرى كامل كيلانى فى أواسط القرن العشرين بتحويل الرواية إلى قصة أطفال، صدرت، ضمن سلسلة «أشهر القصص» عن دار المعارف بالقاهرة، تحت عنوان «روبنسُن كروزو»، ثم قدمت انجيل بطرس سمعان عرضًا للرواية فى كتيب تحت عنوان «روبنسون كروزو لدانيل ديفو»، صدر ضمن سلسلة «تراث الإنسانية»، إلى أن جاءت ترجمة أوسع لأسامة أسبر عام ٢٠٠٧، فى سلسلة «آفاق ثقافية» التى تصدر عن وزارة الثقافة السورية. ثم أعادت مؤسسة هنداوى بالقاهرة عام ٢٠١٢ إصدار طبعة جديدة من الصياغة التى قدمها كامل كيلانى للرواية، إلى جانب ترجمة جديدة مبسطة فى سلسلة الأدب العالمى للناشئين، قامت بها مروة ماهر الحق، عام ٢٠١٣. وكل هذه الطبعات كان عنوانها إما (روبسُن كروزو) كما فى كتاب الكيلاني، أو (روبنسون) كما فى بقية الكتب.

كانت الطباعة العربية فى ذلك الزمان لا تزال فى بداياتها؛ فرغم أن أوروبا قد عرفت الحرف العربى المطبوع منذ القرن السادس عشر، فإن عدد الكتب المطبوعة بالعربية ونوعياتها تشير إلى محدودية الطباعة والموضوعات. كان هناك مجالان أساسيان تهتم بهما أوروبا وتنشر فيهما ما يمكنها من الكتب العربية: الأول هو التبشير بالمسيحية وتعاليمها، والثانى هو ما وقع تحت أيديها من كتب التراث العربى وكتب تعليم العربية. كان ذلك فى جامعات أوروبا الكبيرة ومطابعها، وعلى يد مستشرقيها الناشطين فى هولندا وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا(١٢). أما مطبعة مالطة التى صدر عنها الكتاب فإنها كانت تابعة لبعثات التبشير الأوروبية والأمريكية فى الجزيرة، استمر عملها من عام ١٨٢٥ حتى عام ١٨٤٢، ولم تكن قد نشرت بالعربية سوى عدد محدود من الكتب، كلها تقريبًا (ما عدا هذه الرواية) يتصل بالتعاليم المسيحية والكتاب المقدس وبعض كتب التاريخ... إلى آخر الكتب التى كانت نسخها تنتقل إلى مسيحيى

---

(١٢) حول تاريخ الطباعة العربية راجع:

- بحوث الندوة التى عقدها ونشرها فى كتاب مركز جمعة الماجد بدبى فى أكتوبر ١٩٩٥، تحت عنوان «تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر»، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- الكتاب فى العالم الإسلامي: الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال فى منطقة الشرق الأوسط، تحرير جورج عطية، ترجمة عبد الستار الحلوجى، عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٣.

الشرق، خصوصًا فى الشام ومصر[١٤]. فما الذى فكر فيه المشرفون على مطبعة مالطة حين ترجموا وطبعوا ونشروا هذه الرواية؟

فى الإجابة عن سؤال "من الذى قام بالترجمة؟"، لم يتبرع أحد ممن قرأنا إشاراتهم حتى الآن، باقتراح اسم المترجم، اللهم إلا متى موسى الذى اقترح على الفور احتمالية أن يكون فارس بن يوسف الشدياق هو المترجم. واقتراحه يستند بالطبع إلى معلومات تاريخية تشير إلى انخراط الشدياق فى العمل مع الإرساليات الأمريكية فى مطبعة مالطة عام ١٨٣٤، لكنه يستند أكثر إلى عبارة شهيرة لجرجى زيدان، وردت فى ترجمته للشدياق ضمن مشاهير القرن التاسع عشر، يقول فيها: ".. وفى سنة ١٨٣٤ سافر إلى جزيرة مالطة، وأقام فيها زهاء أربع عشرة سنة، يدرس فى مدارس المرسلين الأمريكان، وقد تولى تصحيح ما يطبع فى مطبعتهم هناك، وأخذ فى التأليف والتصنيف، ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه»[١٥]. ومع أن جرجى زيدان لم يذكر من هذه الكتب التى وضعها الشدياق فى مالطة، سوى كتاب فى التدريس وآخر بعنوان «الواسطة فى أحوال مالطة»، فإن إشارته هذه دفعت متى موسى وربما غيره من الباحثين إلى الظن بأن هذه الرواية المجهولة

---

(١٤) حول مطبعة مالطة والعاملين فيها، ودورها فى نشر الكلمة المطبوعة بالعربية فى بلدان الشرق الأوسط فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، راجع رسالة جيفرى روبر المشار إليها سابقًا.

(١٥) جرجى زيدان: مشاهير القرن التاسع عشر، مطبعة الهلال، ط ٣، القاهرة ١٩٢٢، جـ ٢، ص ٧٦.

الصادرة عن مطبعة مالطة عام ١٨٢٥، ربما تكون من ترجمته، وهذا ما يشكك فى صحته، وربما يدحضه تمامًا مجموعةٌ من الأمور:

أول هذه الأمور يستند أيضًا إلى معلومات تاريخية يذكرها جيفرى روبر فى دراسته لمطبعة مالطة، معتمدًا على ما جاء فى أرشيفات جمعيات التبشير الأمريكية والبريطانية المشرفة على هذه المطبعة، وفى المذكرات والرسائل المتبادلة بين أعضائها وباحثيها والقائمين عليها. وأولى هذه المعلومات أن الشدياق لم يكن العربى الوحيد الذى عمل مع المستشرقين والمرسلين فى مطبعة مالطة. صحيح أنه كان أول من عُيِّن محررا ومصححا من المواطنين العرب فى مطبعة مالطة ... لكنه سرعان ما غادر، وحل محله بعد فترة العراقى عيسى الرسام. وبعد أن غادر الرسام عاد الشدياق وظل يعمل مع المؤسسة حتى النهاية، برغم سفرياته هنا وهناك، ثم رافقه بعد ذلك تلميذه السابق، المصرى حنا جوالى. لقد أدرك المبشرون - كما يقول روبر - استحالةَ القيام بالترجمة بأنفسهم، فكانوا يرسلون ترجمتهم إلى القاهرة لمراجعتها وتصحيحها، ثم استعانوا بعيسى بطرس من القدس، بعدها جاء فارس الشدياق لمدة أقل من سنة، وأصابه المرض وعاد إلى القاهرة، فاستعانوا بعيسى الرسام العراقى الكلداني، إلى أن عاد الشدياق فى أواخر عام ١٨٢٥.

والخلاصة التى ينتهى إليها روبر أن عبارة جرجى زيدان الشهيرة قد ضللت الباحثين عن إنجاز الشدياق فى مالطة، وأنه ليس مترجم رواية روبنسون كروزو التى ظهرت هناك. يقول: «.. يمكننا الآن أن ننظر بسرعة فى الكتب التى أنتجها الشدياق أو ساعد فى إنتاجها فى مالطة. إن قول جورجى زيدان بأنه «لا يكاد يوجد كتاب مطبوع

فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه» أمرٌ لا معنى له، وينفيه حياة مترجمين عربيين ووقائع حياتهما هناك (الرسام والجوالى). ولكن لسوء الحظ فقد كرر عدد من الدارسين ما قاله زيدان، وهو ما سمح بالفوضى فى تقييمهم لمنزلة الشدياق الأدبية، وأدى إلى تزييف إسهاماته؛ فقد افترض أكثر من دارس مثلاً، وهو أمرٌ خاطئ تمامًا، أنه ترجم رواية روبنسون كروزو لديفو (قصة روبنصن كروزى، مالطة، ١٨٣٥)(١٦).

---

(16) Geoffrey Roper. (1988) Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East, p: 225.

وعن «عيسى انطون رسام» يقدم روبر المعلومات التالية:

مترجم عربى فى مالطة ١٨٣٢ - ١٨٣٤

كانت عائلته تعمل بالرسم لصالح المسلمين، وهو نفسه أخبر شيلينز أن والده رجل إنجليزى جاء من الهند واستقر فى الموصل.

مسيحى كلدانى من الموصل بالعراق، وربما ولد فى حلب بلد والدته ومنها انتقل إلى العراق، ولد ١٨٠٨. رحل من الموصل إلى دمشق إلى القاهرة فى صحبة قافلة، وكان يدعى لدى المبشرين فى القاهرة وفى مالطة «عيسى البغدادى»، كان من المقرر أن ينتقل إلى مالطة ١٨٣٠ لمساعدة شيلينز فى الترجمة وتحرير النصوص العربية.، لكن ذلك تأخر حتى ١٨٣٢، وهناك اكتسب ثقة شيلينز أكثر من الشدياق الذى كان يملك معرفة أكبر بالعربية وأساليبها.

حتى نوفمبر ١٨٣٤ كان لا يزال يعمل فى مطبعة مالطة على تحرير النصوص العربية، وفى بداية ١٨٣٥ تزوج من ماتيلدا بادجر، أخت المستشرق جورج بيرسى بادجر. قيل: إنه كان مرتبكًا بإزاء الأفكار الدينية التى تحتويها النصوص التى كان يطلب منه ترجمتها؛ فكثير من هذه النصوص كان يتضمن مبادئ مناقضة لما تعلمه فى صباه، فأصابه القلق والحنين إلى وطنه. ترجم كتاب إيضاح التعليم المسيحى ونشر فى مالطة عام ١٨٣٣. فى مارس ١٨٣٥ التقى بالكولونيل فرانسيس شيسنى وصحبه فى حملته إلى العراق والشام مترجمًا عارفًا باللغتين الإنجليزية والعربية،=

تاريخيا إذن، لم يكن الشدياق وحده هو المواطن العربى الذى يعمل بالترجمة والتحرير والتصحيح فى مطبعة مالطة، فقد كان معه على الأقل العراقى عيسى بطرس الرسام. والأهم من هذا أن الشدياق لم يكن مقيمًا فى مالطة أواخر عام ١٨٣٤، وذلك بعد أن اعتلت صحته واضطر إلى المغادرة، إلى أن عاد فى أواخر عام ١٨٣٥، وهو العام الذى صدرت فيه ترجمة «قصة روبنصن كروزى».

=وحمل معه كثيرًا من الكتب العربية التى طبعت فى مالطة ليوزعها فى المنطقة. عاد الشدياق إلى الوظيفة بينما ظل الرسام فى العراق. فى نهاية حياته استقر فى الموصل، وعمل بالتجارة، وعاد إلى الترجمة وترجم أجزاء من العهد القديم إلى المسيحية، مع مفردات من السريانية والعامية العربية. توفى فى ١٨٧٢.

قيل: إنه ترجم فى القاهرة «كتاب التواريخ» (الذى صدر فى مالطة ١٨٣٢)، ومن المؤكد تقريبًا أنه شارك فى ترجمة كتب أخرى فى ذلك الوقت، ولا بد أنه عمل فى مالطة على معظم الكتب الصادرة من ١٨٣٣ حتى ١٨٣٥، وقد زعم أنه ترجم كتاب «سياحة المسيحى» الذى صدر فى ١٨٣٤ والمنسوب إلى شيلينز، وربما عملا عليه معًا.

وأما عن «حنا جوالى» فيذكر روبر المعلومات التالية:

عمل فى مطبعة مالطة من ١٨٣٨ حتى ١٨٤٢.

فى سنة ١٨٣٢ عين فارس الشدياق مدرسًا فى «جمعية ترقى المعارف المسيحية» CMS فى القاهرة، وأعد تقريرًا عن تلامذته حُفظ فى أرشيفات الجمعية، وكان أمهرهم كما قال هو جوزيف جولى، وهو قبطى، ولكن أخاه جون جولى كان «لديه تعطش ورغبة فى المعرفة يفوقان ما لدى جوزيف»! فحين كان عمره ثمانية أو تسعة أعوام أتقن النحو وتمتع بذاكرة استعادية قوية. وعائلة الجوالى عائلة قبطية كبيرة من منفلوط، جاء منها البطريرك بطرس السابع، الذى أدار مكتب الجمعية من ١٨٠٩ أو ١٨١٠ حتى ١٨٥٢.

وحين كان حنا فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، زار شيلينز القاهرة وأعجب بقدراته اللغوية وقدراته عمومًا وأقنعه بالعودة معه إلى مالطة ليعمل مترجمًا فى مطبعتها... وقد وصل حنا وشيلينز إلى مالطة فى خريف ١٨٣٨. (ص ١٧٥).

الأمر الثانى يتصل بشخصية الشدياق، وطبيعة أسلوبه ولغته التى يعرفها من قرؤوا كتبه المؤلفة والمترجمة، وهما أسلوب ولغة لا يتفقان مع الأسلوب واللغة التى ترجمت بهما «قصة روبنصن كروزى». الشدياق أديب القرن التاسع عشر كان صاحب مشروع لغوى وأدبى وصحفى كبير. وقد تجلى هذا المشروع منذ كتبه التعليمية الأولى، وكتابه عن مالطة نفسها بعنوان «الواسطة فى أحوال مالطة»، وصولاً إلى صحيفة «الجوائب» التى أشرف على إصدارها فى الآستانة ولعبت دورًا كبيرًا فى تثقيف أبناء القرن التاسع عشر، وتبلور هذا المشروع خصوصًا فى كتابه الروائى المركب «الساق على الساق فيما هو الفارياق»(١٧) الذى صدرت طبعته الأولى الكاملة فى باريس ١٨٥٥. والمعروف أن الشدياق، صاحب «غنية الطالب ومنية الراغب» وصاحب «الجاسوس على القاموس»، لم يكن على وفاق مع المستشرقين الأوروبيين، خصوصًا أولئك الذين أصروا على اللجوء إلى لغة ركيكة فى ترجمة الكتاب المقدس(١٨)، فكيف له أن يلجأ إلى اللغة المختلطة الغريبة التى ترجم بها هذا العمل؟

أما الأمر الثالث الذى يشكك فى نسبة هذه الترجمة إلى الشدياق، فيتعلق بالصيغة القصصية التى اختارها المترجم، وبطبيعة اللغة التى ترجم بها الكتاب، بدءًا من العنوان، وصولاً إلى أدق التفاصيل.

---

(١٧) راجع دراسة رضوى عاشور عن الشدياق ومشروعه وكتابه وعلاقته بالمستشرقين، تحت عنوان «الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، الرواية الأولى فى الأدب العربى الحديث»، دار الشروق القاهرة ٢٠٠٩.

(١٨) راجع دراسة محمد سواعى بعنوان «أحمد فارس الشدياق ورأيه فى بعض المستشرقين وفى مشكلات الترجمة»، منشورة على شبكة الإنترنت.

أضف إلى ذلك أن الشدياق - الذى قضى جزءًا كبيرًا من حياته فى أوروبا القرن التاسع عشر، واتصل بالآداب الأوروبية، وكشف عن هذا الاتصال فيما بعد فى كتابه «كشف المخبا عن فنون أوروبا»، ثم فى كتابه الشهير «الساق على الساق فيما هو الفارياق»، أشار فى مواضع متعددة من «الساق»، إلى اطلاعه على أعمال سويفت وبايرون وشتيرن وشاتوبريان ورابليه ولامارتين - لكنه لم يذكر قط أنه قرأ ديفو وروايته «روبنسون كروزو».

أما الإجابة عن سؤال «لماذا ترجمة روبنسون كروزو، فى مطبعة تبشيرية ينصب اهتمامها على تقديم الكتب الدينية المسيحية، وعلى هامشها كتب قليلة فى التاريخ وفى اللغة وفى المعارف العامة كالرسم والفلك والعلوم؟» فربما تكمن الإجابة فى طبيعة هذه الرحلة الخيالية التى يرويها الكتاب، رحلة مغامر أوروبى يبحث عن أرض جديدة، يستعمرها ويعلم أهلها، ينقل لها الحضارة وينشر فيها تعاليم المسيحية، وعلى مدار الرواية يستخدم كروزو لغة وصورًا دينية، وإشارات من الكتاب المقدس (أكثر من ٢٠ اقتباسًا من الكتاب المقدس)، ولا غرابة فقد عثر على نسخة من الكتاب المقدس وظل مؤنسًا له فى وحدته فى الجزيرة[١٩]، وعلى يدى كروزو يعتنق جمعة البربرى المسيحية

---

(١٩) لعل مما له دلالة هنا، أن المترجم المجهول قد تدخّل أحيانًا، ووضع اقتباسات من الكتاب المقدس ليست موجودة فى الرواية التى يترجمها، وإن كانت تتفق مع الاتجاه العام للرواية وصاحبها. من ذلك مثلاً ما نجده فى الصفحة الثانية، وفى= =سياق الإعلاء من فكرة الوسط الذهبى بين كل نقيضين؛ إذ يقتبس نصًا عن (سفر الأمثال، الإصحاح ٣٠، الآية ٨-٩) فيقول فى سياق نصائح الوالد لولده روبنسون الذى أصر على ترك بلده والمغامرة وراء البحار:

السمحة، كما أن كروزو لا يروى حياته من منظور واحد هو منظور الشاب المندفع، بل أيضًا من منظور مسيحى واضح، يكشف عن طابع نبوئى مرتبط بالعصيان والخروج، ونبوءة الأب التى تبدأ بها القصة، فتظل تلح على ذهن البطل/ الابن حتى النهاية.

هل هذا هو ما دفع المشرفين على المطبعة التبشيرية إلى اختيار هذه الرواية للترجمة؟ ربما، وربما أيضًا كانت الترجمة جاهزة لديهم بعد أن أنجَزها أحد المستشرقين؛ إذ تشير المصادر إلى أن الرحالة والمؤرخ السويسرى جون لويس بوركهارت، الذى ذهب إلى كيمبردج عام ١٨٠٨ لدراسة اللغة العربية، ومرّ بمالطة فى العام التالى، فى طريقه إلى مدينة حلب، التى أقام فيها وانغمس فى دراسة اللغة العربية، كان قد قام هناك بترجمة «روبنسون كروزو» إلى العربية.

ربما كانت ترجمة روبنسون كروزو المجهولة هذه حالة استثنائية لا يقاس عليها كما ألمح بيير كاكيا؛ ومن ثم فقد تكون ترجمة لا وزن لها فى تاريخ ترجمة الرواية إلى العربية؛ لأنها لم تشكل جزءًا من حركة مكثفة لها أثرها الواضح فى تطور النوع الروائى العربى، مع أن هناك إشارات غامضة إلى ترجمات من هذا النوع قام بها مستشرقون ومسيحيون عرب فى العقدين الأول والثانى من القرن

«... وللوقت وصفَ لى مثّل الجامع آجور بن القاى؛ إذ قال: فقرًا وغنا لا تعطنى، بل رتّب لى ما أحتاج إليه لعيشتي، لكيلا أشبع وأنقاد للكفر وأقول من هو الرب، أو افتقر فأسرق وأحلف باسم الاهى زورًا (امثال، ص ٣٠، عدد ٨ و ٩) فالعيشة المتوسطة هى أعظم سعادة ...» (روبنصن كروزى، ص ٤)

التاسع عشر[٢٠]. ربما لا يكون لهذه الترجمة المجهولة لرواية روبنسون كروزو قيمة فنية وتاريخية عظيمة، غير أنها مع كل ذلك ربما تكشف عن أمور مهمة؛ لأنها تضع أمامنا المخاض الأول لمولد ترجمة النوع الروائى قبل نشوئه مؤلَّفًا فى الأدب العربى الحديث، وتضع أيدينا على الكيفية التى توصل بها هؤلاء المترجمون المجهولون الأوائل، إلى تكييف النوع الروائى مع تقاليد القص العربى الراسخة والمختلفة.

(٢)

على غلاف الكتاب، وداخل إطار زخرفى كان شائعًا لأول العهد بالطباعة، يجد القارئُ العنوانَ ولا شىء آخر: «قصة روبنصن كِروزي»، وتحت العنوان رسمٌ بدائى يصوِّر شابا يجلس وحيدًا فى مكان يبدو أنه جزيرة، فى صفحة العنوان الداخلية يجد القارئ، وفى إطار مزركش مرة أخرى، العنوان: «قصة روبنصن كروزى»، ثم تحت العنوان ثلاثة أبيات من الشعر العربى:

---

(٢٠) لعل من أشهر هؤلاء المترجمين الذين يرد ذكرهم فى كتاب جاك تاجر وكتاب جمال الدين الشيال، الأب أنطون روفاييل، وباسيلى فخر وحلقته فى دمياط، ويوحنا عنحوري، وأوغسطين سكاكيني، ويعقوب، ويوسف فرعون.. حول هؤلاء المترجمين راجع:

- جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥١، ص١١- ٩٢.
- جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوى للتعليم والنشر، القاهرة ٢٠١٢، ص ١١- ٣٣.

إذا رمت الصعود إلى علاء فشبدرج الفضايل فهى مرقى
وإن رمت الرقا بلا مراق وأيم الله إنك لست ترقى
وإن شيت الرشاد بغير هاد فلا شك تهت غربًا ثم شرقا

تحت هذه الأبيات سيجد القارئ رسمًا آخر بدائيًا لمركب وعواصف وبحر، ثم أسفل الرسم سنقرأ عبارة: «طبع فى مالطة سنة ١٨٢٥».

من يعرفون هذا الكتاب بالطبع سيستكملون البيانات فى شيء من السهولة؛ فهذه هى الرواية الشهيرة ROBINSON CRUSOE التى أصبح اسمُها فى العربية يُرسَم على هذا النحو "روبنسون كروزو"، أحد النصوص الروائية الأولى فى تاريخ الرواية الإنجليزية والعالمية، ومؤلفها هو الكاتب الإنجليزى دانييل ديفو DANIEL DE FOE (١٦٦٠-١٧٣١)، وقد نشرت الرواية بالإنجليزية للمرة الأولى عام (١٧١٩)، وحول هذه الرواية نشأت مكتبةٌ كاملة من الدراسات بكل اللغات؛ فقد توقف عندها كل من كتبوا عن نشوء فن الرواية وتطوره فى العالم الحديث، بالإضافة إلى من كتبوا عن فكرة الاستعمار وتاريخها، وفكرة المدينة الفاضلة وتاريخها، والعلاقات بين الآداب، وأدب الأطفال... إلخ.

غير أن هذا كله ليس الموضوع الرئيس لهذه المقدمة، وإنما موضوعُها الأول هو هذه الترجمة العربية الباكرة جدا لنص رواية "روبنسون كروزو" لدانييل ديفو، التى احتفظت دار الكتب المصرية

بنسخة منها. الترجمة مطبوعة - كما تقول صفحة العنوان - فى مالطة عام ١٨٣٥، خلوا من أى إشارة إلى المؤلف أو المترجم.

وإذا تجاوزنا عن إهمال اسم المؤلف والمترجم - ويبدو أن هذا لم يكن أمرًا مستغربًا فى بدايات الطباعة بالعربية أوائل القرن التاسع عشر[٢١] - فإن أهم ما يلفت النظر هو العنوان نفسه الذى اختاره المترجم بصيغة خالية من أى سجع "قصة روبنصن كروزى"، بينما كان الأمر المألوف فى كتب التراث العربى، وفى كل الكتب العربية تقريبًا المؤلفة والمترجمة فى القرن التاسع عشر، هو العنوان المسجوع، ولنتذكر هنا مرة أخرى عناوين كتب الشدياق ("الواسطة فى معرفة أحوال مالطة"، "كشف المخبا عن فنون أوروبا"، "الساق على الساق فيما هو الفارياق") وعناوين كتب الطهطاوى ("تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" ومواقع الأفلاك فى مغامرات تليماك") وكتاب بطرس البستانى "التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية"... إلخ، لنستشعر غرابة اختيار هذا العنوان غير المسجوع "قصة روبنصن كروزى".

غير أن المترجم الذى أهمل السجع فى العنوان، بدا وكأنه لا يريد أن يهمل تقليدًا آخر من التقاليد الشائعة فى الكتب العربية فى القرن التاسع عشر، هو استخدام الشعر، فقد وضع على صفحة الغلاف

---

(٢١) نشرت كتب غير قليلة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر دون أن يذكر عليها اسم المؤلف أو المترجم، ليس فقط فى مطبعة مالطة وإنما أيضًا فى مطبعة بولاق. راجع مثلاً مطبوعات عام ١٨٢٨، من كتاب: «قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢»، جمع وتصنيف محمد جمال الدين الشوربجي، مطبعة دار الكتب ١٩٦٣، ولاحظ الوصف المتكرر الذى يقول «لم يُذكر اسم المؤلف».

الداخلى ثلاثة أبيات من الشعر، وإن لم يرد - وربما لم يستطع - أن يستمر فى استخدام الشعر داخل الكتاب، إذ ينقطع استخدام الشعر تمامًا عند هذه الأبيات الثلاثة التى تبدو كأنها جزء من رسالة العنوان، وربما رسالة الكتاب الروائى ومضمونه الذى يسعى إلى عدم الابتعاد عن رسالة الترقى والفضايل والهداية المسيحية البروتستنتية، التى كانت بعثات التبشير ومطبعتها تعمل على نشرها (٢٢). يكاد متن الترجمة يخلو تمامًا من استخدام الشعر العربي، وهو ما تختلف فيه هذه الترجمة الباكرة المجهولة عن معظم عمليات الترجمة والتعريب فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، حيث كان استخدام الشعر

---

(٢٢) يمكن للمرء هنا أن يجرى مقارنة بين استخدام الشعر فى هذه الترجمة المجهولة لرواية «روبنسون كروزو» فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، واستخدامه فى ترجمة المعلم بطرس البستانى للرواية نفسها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر؛ إذ يبدو استخدام الشعر عند البستانى أقرب إلى استعراض المعرفة الأدبية منه إلى الطابع الديني. انظر مثلاً الأبيات الثلاثة التى يضعها البستانى تحت عنوانه المسجوع «التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية»، وهى أبيات تنطوى على دعوة إلى الرحلة والمغامرة والسعى وراء الأمل الممدود:

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى ... سعى الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهمّ منتشرُ
والمرء ما عاشَ ممدودٌ لهُ أملٌ ... لا تنتهى العين حتى ينتهى الأثرُ

ولكنه - على خلاف الترجمة المنشورة فى مالطة - يستمر بعد ذلك فى استخدام الشعر فى مواضع متفرقة من الترجمة، بدءًا من المقدمة الموجزة للمترجم التى ينهيها ببيت من الشعر، ووصولاً إلى الصفحة الأخيرة من الترجمة التى يظهر فيها صوت المترجم المباشر مرة أخرى ناطقًا بالشعر العربى. راجع خصوصًا نهايات بعض فصول الكتاب التى ترد فيها المقتطفات الشعرية، مع تمييزها عن نص الترجمة من خلال وضع كلمة (شعر) فوقها.

ملمحًا أساسيا يضفى على الكتاب طابعًا أدبيا ويدرجه فى النسيج المعتاد لكتب الأدب، ويقربه إلى ذوق القارئ العربى الذى اعتاد على الشعر قرونًا. ولعل عدم استخدام الشعر فى متن الترجمة يشى بالمسافة التى تفصل مترجم الكتاب عن موروث الكتب الأدبية العربية، سواء كانت مسافة تلقائية أو مسافة اصطنعها ذلك المترجم المجهول، كما أن هذا – مع ظواهر أخرى فى الكتاب – يشى أيضًا بأن المترجم ربما كان أجنبيا لا يتقن العربية.

أول ما يلفت القارئ حين يبدأ فى قراءة الصفحة الأولى من الترجمة أن هناك تصرفًا دالا فى ترجمة النص الإنجليزى، وهو تصرف يستحق أن نتوقف عنده؛ لأنه يتعلق بالصيغة السردية التى تُروى بها حكاية روبنسون كروزو. تقول الفقرة الأولى من الترجمة:

> "كان رجل من بلاد الإنجليز يُدعى روبنصن كروزى. والمذكور ولد فى سنة ألف وستماية واثنتى وثلثين مسيحية، فى مدينة تدعى يورك من أعمال بريتانيا، فأصل أبيه كان من مدينة بريمن، ولأجل أسباب التجارة ترك مدينته وأتى وسكن مدينة يورك المذكورة، فكان له ثلث إخوة أصغر منه، أكبرهم كان أميرالاى فقتل فى الحرب الذى كان مشبوكًا بين الانكليز والأصبانيوليين. قال صاحب القصة اننى كنت منهمكًا فى اللذات وانتهاب المسرات ولا كان ناقصنى شي، وان ابى اجتهد وربانى تربية حسنة وأراد أن يعلمنى علم الذمة والشريعة. أما انا فما استفدت من ذلك شيا ..." (الرواية، ص: ٢).

يعرف كل من قرؤوا "روبنسون كروزو" فى أصلها الإنجليزى، أنها ومنذ الكلمة الأولى مروية بضمير المتكلم؛ إذ تقول الجملة الأولى من الرواية:

"I was born in the year 1632, in the city of York, of a good family, though not of that country, my father being a foreigner of Bremen, who settled first at Hull…"

لماذا حوّل المترجم المجهول صيغة الحكى طوال الفقرة الأولى من الرواية لتصبح بضمير الغائب بدلاً من ضمير المتكلم؟ وذلك قبل أن يسلم دفة الحكى الخيالى - بعد عبارة" قال صاحب القصة:"

-للراوى المتكلم الذى يستمر فى الحكى حتى نهاية الرواية.

الحقيقة أننا هنا مرة أخرى ،أمام المأزق المتكرر الذى واجهه مترجمو ومؤلفو الرواية الأوائل فى القرن التاسع عشر، مأزق الرغبة فى جَسْر المسافة الواسعة فى الذهنِ العربى بين الحقيقة والخيال، المسافة بين الموروث العربى فى الحكى الذى اعتد بسند الحكاية، وحرص دائمًا على أن يتبرأ لقارئه من الخيال والكذب والاختلاق، وأن يعلن مسئوليته عن صدق ما يرويه من حكايات وبين موروث الغرب الحكائى الذى لا يتحرج من الانخراط فى تقمص العالم الخيالى القصصى fictional بعيدًا عن عالم الحقيقة ودون حاجة كبيرة إلى العناية بالسند.

هكذا يتدخل المترجم ويغير فى النص الأجنبي ليعلن مسئوليته عن الحكاية الرئيسية التى يلخصها فى جملة" كان رجل من بلاد الإنجليز يدعى"... قبل أن يسلم الكلمة للرجل" صاحب القصة، أو للراوى الخيالى. الذى يكون بإمكانه وعلى مسئوليته أن يخترع

الحكاية الخيالية تلك هى الحالة نفسها التى سنواجهها مثلا فى "حديث عيسى بن هشام" للمويلحى عند نهاية القرن التاسع عشر؛ إذ يتوارى المؤلف صاحب الكتاب وراء عبارة" حدثنا عيسى بن هشام قال "يعطيه الكلمة ويخلى مسئوليته.

فى هذه الترجمة يتخذ الراوى صورة أقرب ما تكون إلى راوى الحكاية الإطار الموجود فى ألف ليلة ،ذلك الذى يمسك الحكاية الكبرى من أطرافها ،بينما يترك للراوى المتكلم، أو" صاحب القصة" كما يسميه، حكاية التفاصيل ورسم المشاهد .سيظهر هذا الراوى أحيانًا فى بداية الفقرات مجسدا فى عبارات من قبيل": فذات يوم من الأيام "أو" قال":

أما الظاهرة الثانية التى تلفت نظر القارئ فى هذه الصفحة الأولى من الكتاب، فهى مستوى اللغة التى يستخدمها المترجم ،سواء من حيث اختيار المفردات، أو بناء التراكيب، أو طبيعة الأخطاء النحوية والإملائية، أو حتى الأسلوب بالمعنى الأوسع؛ ففى هذه الفقرة الاستهلالية القصيرة من الترجمة، يصادف القارئ تراكيب عامية من قبيل" ولا كان ناقصنى شي ،" وأخطاء لغوية من قبيل" سنة ألف وستماية واثنتى وثلاثين..."، و"فى الحرب الذي كان مشبوكًا بين.." . هذا فضلاً عن التخفيف المستمر للهمزات، وحذف الألف كما فى الرسم القرآني (انني- انا- شي- شيا- ثلث-ثلثين..). وكلما مضى القارئ فى قراءة الترجمة، ستتسع هذه الظواهر وتتكثف وتتضح دلالتها.

الحقيقة أن اللغة التى ترجم بها الكتاب فى مجمله أقرب ما تكون إلى اللهجة العامية، والعامية المصرية على وجه الخصوص. ولينظر القارئ إلى مفردات وعبارات وتراكيب كثيرة من قبيل: "فتذهب وتبهدل نفسك فى الغربة" "وتخلف لى الحصرة"، "يرسلنى مع مركب من مراكب والده من غير نولون"، "وبدؤوا يتمشكحون ويلعبون"، "مركبنا يسير وهو مندار مؤخره إلى قدام"، "من زيادة رعبتي"، "ولقيت نفسى فى عنبر المركب"، "وواحد غار قدامنا وغطس"، "كنت كأطرش فى زفة"، "وابتدوا ينشلون المياه فى الترمبا"، "مراكب موسوقة فحم"، "فقت إلى حالى"، "وهو ماشى صحبة والده"، "وأن أرجع إلى والدى مفشولا"، "وأكون مضحكة للجميع"، "هو عين الجنان والحمق"، "واستلمت منهم مايتين فرنكا حواله على والدى"، "جعلنى داخل دار فيها جنينة"، "لكنه مشكل الألوان وله أرجل طويلة"، "وفرزنتها جيدًا"، "وإذا بهصممصم أى أسد"، وبديت أنا أتكلم معهم"، "لكننى درت الصندل متوجها إلى البر"، " وأتيا بلحم بقر يابس وقليل قمح مقلو "، "وإذا بأسودين عظيمين الخلقة" "فلما رأوا ذلك السودان انبسطوا مننا جدا"، "وأيضًا جابوا لنا صحبتهم سعدًا وقمحًا مقلوا"، "ولكن حيث ما تشا الريح تحذفنا"، يشهلوا شغلهم"، "فاهتميت وقتيذ وبديت ألم الأخشاب"، "وقلت انى اريد ابات عليها الليلة"، "نمت "تلك الليلة متهنيا ومطمانا"، "جرنال روبنصن كروزى"، "واستقمت أعافر فيها"، "نظرا لعازتى إياها"، "ووظبت حاجتى فيها"، أعمل لى برميلا لقضى حاجتي"، "أن أرفع من بالى بنى الأوضة"، "حصل برد شديد وسقعة لا توصف"، "وحسيت بنفسى انى جوعان"، "الريح التى كانت

هابية فى ذلك النهار"، "أخذت صحبتى زكيبتين (أى جوالقين)"، "وفى العشية كنت اسخن الطبيخ الذى يفضل من الغدا واسلق لى كم بيضة من بيض السحلفة"... إلى آخر هذه العبارات التى تكشف عن صياغة عربية خاصة تتمتع بها ترجمة هذه الرواية.

وهى صياغة تشير إلى أحد احتمالين:

الاحتمال الأول أن يكون الذى نهض بترجمة هذه الرواية عربيا، ممن لا تربطه صلة وثيقة بتقاليد الكتابة الأدبية العربية، فتعمد أن يتجاهل تمامًا هذه التقاليد، وأن يصوغ ترجمته على نحو أقرب إلى تقاليد القص الشعبي، خصوصًا ألف ليلة وليلة، من حيث المزج بين العامية والفصحى، وعدم العناية بصحة العبارة العربية نحوًا وإملاء، وفى هذه الحالة تحسب لهذا المترجم جرأته الواضحة فى التخلى عن التقاليد البلاغية العربية، وربما الوعى المتقدم بتقاليد جديدة فى الكتابة هى تقاليد القصة، التى تتضح أكثر ما تتضح، ليس فقط فى اختياره لمفرداته وإنما فى اختراعه لمفردات عربية جديدة فرضها عالم هذه الرواية، وهى مفردات من عالم الحياة الحديثة ربما وجد الأديب العربى نفسه مضطربًا فى مواجهتها للمرة الأولى. وربما يكون الشخص العربى الأقرب إلى ترجمة هذه الرواية فى هذه الحالة، ليس فارس الشدياق الذى لم يستخدم هذه اللغة فى روايته بعد ذلك بعشرين عامًا؛ وإنما عيسى أنطون رسام الذى يقول عنه جيفرى روبر: ".. وقد قيل: إنه ترجم فى القاهرة «كتاب التواريخ» (الذى صدر فى مالطة ١٨٣٢). وشبه المؤكد أنه شارك فى

ترجمة كتب أخرى فى ذلك الوقت. ولا بد أنه عمل فى مالطة على معظم الكتب الصادرة من ١٨٢٢ حتى ١٨٣٥. وقيل: إنه ترجم كتاب «سياحة المسيحي» الذى صدر فى ١٨٣٤ والمنسوب إلى شيلينز، وربما عملا عليه معًا»[٢٣].

والاحتمال الثانى أن يكون الذى نهض بهذه الترجمة أجنبيا، لا يعرف من العربية إلا مستواها العامى المستخدم فى الشارع، والسموع (أو المقروء!) فى الف ليلة وليلة، أى واحدًا من المستشرقين الذين تعلموا العربية وزاروا المنطقة ومشوا فى شوارعها واختلطوا بأبنائها، ثم استقر بمالطة وأشرف على مطبعتها.

والذى يرجح الاحتمال الثانى هو كثرة الأخطاء النحوية والإملائية، والألفاظ المخترعة والمبنية خطأ على نحو لا يتسق وسليقة ابن اللغة الأم، حتى فى مستواها العامي. هل يمكن لمن كانت العربية لغته الأم أن يقول «بَنّى الأوضة» و«قَضّى الحاجة» بدلا من بناء الأوضة وقضاء الحاجة؟ أو «الريح تحذفنا» و«وظبت الحاجة» بدلاً من الريح تحدفنا ووضبت الحاجة؟.

والحقيقة أن هناك من الأدلة والشواهد البيوجرافية والتاريخية ما يدعم هذا الاحتمال الثانى؛ فقد كان للأجانب المشرفين على مطبعة مالطة وما صدر عنها من مؤلفات ومترجمات بالعربية، كان

---

(23) Geoffrey Roper. (1988) Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East, p: 194.

لهم منهج خاص فى الترجمة. كانت لدى جويت Jowett مثلاً، نظرة غامضة إن لم نقل خاطئة،حول طبيعة اللغة العربية؛ إذ لم يستطع تقدير المسافة بين اللهجات العامية العربية والعربية الفصحى، وكان يظن أن من الممكن ترجمة الكتب وطباعتها بلغة عربية «حديثة» مماثلة للغة التى يتكلمها الناس، كما أنه هو نفسه اقترح فى مرحلة لاحقة أن تترجم الكتب أولا إلى اللغة المالطية، التى كان يعرف أنها لهجة عربية، ثم يقوم بعد ذلك بنقل الترجمة إلى الحروف العربية. وقد ظن أن الانتقال من المالطية إلى العربية ليس بالأمر الصعب. ومن الواضح أن ذلك - كما يقول الطيباوى - قد أثر بقوة على الكتب الأولى التى ترجمت ونشرت فى مطبعة مالطة . فقد كان المنتَج الأول لهذه الترجمة شيئًا يفضُل العامية بقليل، كانت لغته سقيمة. كان جويت يعمل تحت وهم أن بالإمكان الكتابة بالعربية «الحديثة»، التى تساوى عنده العامية؛ فقد كتب يقول عن الأعمال التى ترجمها عيسى بطرس: إن «كل هذه الأعمال كتبت بعربية حديثة»، والحقيقة أنها لم تكن بالعامية تمامًا، بل كانت نوعًا من الفصحى المتدنية، ولم تتغير هذه اللغة إلا بعد مجيء الشدياق ولغته وإضافاته. كان الخلاف محتدمًا حول لغة الكتابة بالعربية، بين شيلينز وجويت وجويات والشدياق. فشيلينز وجويات كانا يريان فى الشدياق نقطة تقدم ممتازة للغة العربية فى مطبعة مالطة، ويرضيان عن اللغة التى يكتب بها ويترجم إليها. بينما كانت لدى جويات وجهة نظر أخرى،

كان من رأيه أن العرب ليسوا متعلمين، وأن علينا أن نكتب لهم باللغة التى يفهمونها[٢٤].

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الترجمة المجهولة إنما تمثل فى الحقيقة بداية مثيرة للصياغة القصصية العربية الحديثة ترجمة وتأليفًا، لكنها بكل أسف بداية لم يكن لها ما بعدها. فقد غرقت اللغة القصصية لقرن كامل بعدها(حتى فى الترجمة) فى ألوان من السجع والزينة، وهو ما أدى إلى محاصرة هذه اللغة فى تقاليد البلاغة القديمة، فعوقها عن جوهر الأدب القصصى، وهو تصوير الواقع الحديث المعيش، بتفاصيله وحيويته وجرأته ومفرداته الجديدة.

(٢٤) حول منهج الترجمة إلى العربية فى مطبعة مالطة، والأساليب المستخدمة، راجع المرجع السابق، ص ١٣٥-١٤٠.

قصة روبنصن كروزى
أول روايـة مُعربـة

دراسة: د. محمد سيد عبد التواب

إلى رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) يرجع الفضل فى تسجيل أول لقاء للذات العربية بالآخر الأوروبى فى مطلع العصر الحديث، وذلك عندما سجل رحلته إلى فرنسا «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» سنة ١٨٣٤، الذى أصدره بعد عودته من فرنسا بثلاث سنوات

:

ولعل قيمة « الطهطاوي » المميزة فى تاريخ الأدب العربى تعود إلى تأسيسه أول مؤسسة رسمية فى الترجمة وإدارتها، وهى «مدرسة الألسن» وذلك بداية من عام ١٨٣٦ . « وبفضل الطهطاوي « أمكن لمدرسة الألسن أن تخرج أكثر من مائة مترجم خلال عشر سنوات. وكان « الطهطاوي » يراجع بنفسه ما يُتَرجَم من الكتب، وينقحها، ويشرف على طبعها، وكان ثمرة ذلك الجهد العظيم، فيما يقال، أكثر من ألفى كتاب مترجم إلى اللغة العربية فى تلك الفترة. وهى تغطى كثيراً من الحقول العلمية والجغرافية والقانونية[٢٥]

---

(٢٥) راجع : عبد الله إبراهيم : السردية العربية الحديثة، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٢٢، ولويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث : من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، مكتبة مدبولى، ١٩٨٧، ص٢٤٥

من هنا تذهب معظم المصادر إلى أن «الطهطاوي» كان أول من عَرب الرواية، يقول «عبد المحسن طه بدر»، ونحن مدينون لرفاعة فيما يتصل بنشأة الرواية التعليمية بروايته المترجمة، وقائع تليماك، ١٨٦٧، أكثر مما ندين له في كتاب «تخليص الإبريز »، وتعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر في القرن التاسع عشر(٢٦)

وجدير بالذكر أن تعريب هذه الرواية، أربك عمل الباحثين في هذا الموضوع، لأن كثيرا من الدارسين يعتبرون « الطهطاوي » أول من قام بترجمة الرواية في تاريخ الأدب العربي الحديث، لكنه في حقيقة الأمر قد تأخر أكثر من ربع قرن عن أولى الجهود في مجال التعريب الروائي حسب إشارة «عبد الله إبراهيم»(٢٧)

فقد قام «محمد مصطفى» «بتعريب رواية» فولتير، مطالع شموس السير في وقائع كارلوس الثاني عشر» سنة ١٨٤١ بمطبعة بولاق، وإلى «محمد يوسف نجم» يرجع الفضل في الإشارة الأولى إلى محاولة محمد مصطفى وريادته في مجال التعريب.

والسؤال المهم هل تمثل رواية «محمد مصطفى » السابقة التي صدرت عام ١٨٤١ أقدم محاولة في الترجمة العربية؟ ظل هاجس الإجابة عن هذا السؤال فترة طويلة قرابة ثلاث سنوات . إلى أن

---

(٢٦) عبد المحسن طه بدر : مصادر الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، ١٩٩٢، ص٦٣

(٢٧) راجع عبد الله إبراهيم، مصدر سابق، ص١٤٣

وجدت إشارة مهمة فى كتاب تاريخ كيمبردج للأدب العربى بأن ترجمة عربية، مجهولة المترجم لرواية «دانيال ديفو» روبنسن كروزو» ظهرت فى مالطة، سنة١٨٢٥ [٢٨]

وهى الرواية نفسها التى اعاد «بطرس البستانى» تعريبها بعنوان التحفة البستانية فى الأسفار الكروازية سنة ١٨٦١

ومن إشارة «كيمبردج» السابقة بدأ بحثى عن هذه الرواية، وبالفعل عثرت عليها بدار الكتب المصرية بعنوان «قصة روبنصن كروزو» طبعت بمطبعة مالطة سنة ١٨٣٥ .

وبقى السؤال الأصعب من مُعرب هذه الرواية ؟!

وبعد قراءة عميقة لتلك الفترة، وبخاصة فيما يتصل بالمهاجرين لجزيرة مالطة، وجدت أن كثيرا من الشواهد تشير إلى أن صاحب الترجمة، هو المنور والرائد التنويرى (٢٩)، «أحمد فارس الشدياق» (١٨٠١ - ١٨٨٧) الذى سافر إلى جزيرة مالطة سنة ١٨٢٤ أى قبل صدور الرواية بسنة، يقول «جرجى زيدان» سافر الشدياق إلى جزيرة مالطة سنة ١٨٢٤ وأقام فيها زهاء أربع عشرة سنة يدرس فى مدارس

---

(٢٨) تاريخ كيمبردج للأدب العربى، جدة، النادى الأدبى، ٢٠٠٢ ص٣٨

(٢٩) وفى السياق نفسه يعتبر «عبد الله إبراهيم» رواية «محمد مصطفى» مطالع شموس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر» أقدم محاولة فى الترجمة الروائية فى أدبنا الحديث، وعلى الرغم من توقفه عند إشارة تاريخ كيمبردج للأدب العربى بأن ترجمة عربية مجهولة المترجم ظهرت فى مالطة سنة ١٨٣٥، إلا أنه لم يرد . كما يشير . فى حدود علمنا تأكيد لها فى المصادر العربية، راجع : عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٤٣

المرسلين الأمركان (كذا) وقد تولى تصحيح ما يطبع فى مطبعتهم هناك وأخذ فى التأليف والتصنيف، ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه[٣٠].

وإشارة جرجى زيدان السابقة شديدة الدلالة وخاصة فيما يتعلق بمطبعة مالطة، وهى المطبعة نفسها التى طبعت الرواية التى بين أيدينا، وتشير بعض المصادر أنه كان فى جزيرة مالطه فى ذلك الزمن أكثر من مطبعة وجاء فى كتاب «العيد المئوى لنقل المطبعة الأميريكية إلى بيروت «أنه كان يوجد فى مالطة سنة ١٨٣٤ مطبعتان للمرسليات ثم إذا راجعت الكتب المطبوعة هناك فى تلك السنوات لوجدنا أن بعضها موسوم بـ «طبع فى مالطة « والآخر بـ « طبع فى فاليته».

لم يعمل الشدياق فى المطبعة الأميركية، إذ إنه لم يقل لا صراحة ولا تلميحا فى أى من كتبه أو رسائله، إنه قام بعمل فى تلك المطبعة، وقد ذكر الشدياق فى رسائله إلى شقيقه طنوس مؤرخة فى ٥ نيسان ١٨٣٩ أنه يعمل فى «المطبعة التى هى لمجمع الإنكليز» وفى هذه المطبعة لا فى غيرها طبعت الكتب المدرسية التى ألفها الشدياق والتى ترجمها أو صححها .

ولعل الدلالة الأخرى التى ترجح إمكانية أن يكون «الشدياق» هو معرب هذه الرواية، أن الشدياق قد تلقى بعض العلم عن أخيه «أسعد» والذى كان نابغة عصره وخلع مذهب والديه وتمذهب

---

(٣٠) راجع : مؤلفات جرجى زيدان الكاملة، بيروت، المجلد السادس عشر، ص٢٢٢ .

بالمذهب الإنجيلى فغضب عليه البطريرك وما زال يتهدده ويسومه العذاب حتى يرجع عن رأيه فلم يزده إلا تمسكا وإصرارًا إلى أن انتهى ذلك إلى موته فى عنفوان شبابه .

وهذا ما دفع فارس إلى مغادرة بلاد الشام ناقما عليها وعلى الذين كانوا سببا فى موت أسعد، والرواية نفسها تطرح المذهب البروتستانتى الذى ذهب ضحيته أسعد .

وجدير بالذكر أن لغة الرواية تضعنا فى مأزق حقيقى، لأن العامية تسيطر عليها، ورغم أن الشدياق قد سافر إلى مصر سنة ١٨٢٦، واستقر هناك لأكثر من ثمان سنوات مما يجعله يتقنها إلا أن المعروف عنه حرصه على اللغة العربية، الأمر الذى يجعلنا نشكك فى أن هذه الرواية لا يمكن أن يكون الشدياق هو معربها أو حتى مُصححها، ولكن ألا يمكن أن يكون الشدياق قد لجأ إلى هذه اللغة فى الترجمة خوفا من المصير الذى تعرض له أخوه أسعد من قبل وبخاصة أن الرواية تنطلق من مرجعية أخلاقية ترى أن العالم البروتستانتى هو النموذج الأمثل للعالم المتمدن .

إنه لضرورى، إذن، أن نقبل بهذه الرواية باعتبارها الرواية العربية الأولى المعربة فى تاريخ الأدب العربى الحديث، هذا من ناحية، وأن الشدياق هو مُعرب الرواية على أغلب الظن حسب الدلالات التى أشرت إليها سابقا .

الرواية والإمبريالية [٣١]*

ثمة علاقة جريحة (تاريخية) بالفعل بين الشرق والغرب، والتى بدأت من الحروب الصليبية، وصولا إلى أكثر من قرن ونصف من الاستعمار فى القرنين التاسع عشر والعشرين، انتهاء بزرع كيان استيطانى كولونيالى (إسرائيل) فى قلب العالم العربى .

فرغم أن «عصر الإمبراطورية» حسب «إريك هو بسباوم» قد انتهى تقريبا رسميا مع تفكيك البنيات الامبرياليه الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، ما يزال بطريقة أو بأخرى يمارس تأثيرا ثقافيا بالغا فى الوقت الحاضر، فزوال الاستعمار بشكله الاستيطانى والاحتلال المباشر، لا يغير كثيرا من طبيعة العلاقات بين المستعمِر السابق والمستعَمر السابق « حسب جورج طرابيشى» إنه الاستعمار الجديد حسب «جابر عصفور» سلاحه الاقتصاد لا قمع السلاح، وأداته الهيمنة على الوعى المؤدلج، الوعى المزيف المخدوع الذى يبقى ضحاياه فيما يشبه الرمال المتحركة التى تبتلعهم بعد طول أو قصر مقاومة.

(٣١*) لقد أوّج القرن التاسع عشر « ارتقاء الغرب». ومكنت القوة الغربية الحواضر الإمبريالية من أن تمتلك تركة أراضى ورعايا ذات حجم مذهل بحق . تأمل أنه فى عام ١٨٠٠ ادعت الدول الغربية لنفسها حق ملكية ٥٥٪ من سطح الكرة الأرضية ولكنها ملكت فعلا ٣٥٪ تقريبا منها، وبحلول ١٨٧٨ ارتفع نصيبها إلى ٦٧٪، وقبضت أوروبا على زمام مجموع إجمالى بلغ حوالى ٨٥٪ من الكرة الأرضية كمستعمرات، ومحميات وتابعيات، وأقطار خاضعة، كومنولثات . ولم يكن هناك حشدٌ مترابط من المستعمرات فى التاريخ قد بلغ هذا الحجم من قبل ونتيجة لذلك كما يقول وليم مكنيل فى كتابه «نشدان القوة» فقد تم توحيد العالم فى كل متفاعل واحد بصورة لا سابق لها . راجع : إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية، بيروت ٢٠٠٤، ص٧٨، ٧٩

في المركز من التصورات السابقة تكمن حقيقة الإمبريالية، فهى ليست مجرد فعل بسيط من أفعال التراكم والاكتساب، إنما فعل معزز مدعم من قبل تشكيلات عقائدية مهيبة تشمل مفاهيم فحواها أن البقاع والشعوب. العالم الثالث بالطبع. تتطلب وتتضرع أن تخضع للسيطرة .

انظر على سبيل المثال إلى مفردات الثقافة الإمبريالية العريقة فى القرن التاسع عشر التى تحفل بألفاظ وتصورات مثل «دونى، أعراق تابعة محكومة ، شعوب خاضعة، تبعية، توسع، سلطة»[٣٢]

إن عهد امبريالية القرن التاسع عشر العالية (التقليدية) قد انقضى انقضاءً شبه تام : فلقد تخلت فرنسا وبريطانيا عن أبهى ممتلكاتها بعد الحرب العالمية الثانية لكن معنى الماضى الإمبريالى ليس منضويا انضواء كليا داخل ذلك الماضى، بل لقد انسرب إلى واقع مئات الملايين من البشر حيث ما يزال وجوده كذاكرة مشتركة، وكنسيج من الثقافة والعقائدية، والسياسة، حافل بالمنازعات يمارس تأثيرا وقوة هائلين[٣٣]

وهذا الموقف الإمبريالى، فى اعتقادى، يكمن جوهره فى شعور الغرب بالتفوقية الحضارية، مقابل الدونية فى غير الغربى .

لقد كتب الداعية الفرنسى جول هارمان عام ١٩١٠ ما يلى :

إنه لضرورى، إذن، أن نقبل كمبدأ ونقطة انطلاق حقيقية أن ثمة تراكمية بين الأعراق والحضارات، وأننا ننتمي إلى العرق والحضارة

---

(٣٢) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص٨٠

(٣٣) نفسه ص٨٢

المتفوقين، مقرين مع ذلك بأن التفوقية، فيما تمنحنا حقوقا تفرض بالمقابل واجبات صارمة، إن المشروعية الأساسية للفتح والغلبة على شعوب أصلانية تكمن فى الإيمان بتفوقيتنا، لا الآلية، الاقتصادية والعسكرية فحسب بل الأخلاقية أيضا، وإن كرامتنا وعزتنا لترتكزان إلى هذه الخصيصة وهى ما يتبطن حقنا فى أن نوجه بقية البشر ونقودهم، وما القوة المادية سوى وسيلة إلى تلك الغاية[٣٤]

يا للسهولة التى يمكن أن يضُغط بها قدرٌ ضخم من الأمور وتاريخ طويل من الاستعمار، فى تلك العبارة السابقة المفعمة بالشعور الفوقى الرهيب والدور الأخلاقي تجاه شعوب العالم الثالث التى ترزح تحت التخلف والمرض والبؤس .

وجدير بالذكر أن إعلان هارمان السابق يمتلك قدرة تكهنية مذهلة حول تفوقية الحضارة الغربية إلى وقتنا الراهن .

وقد أدى هذا الشعور بدوره إلى أن يعيد الغربيون النظر فى عملية فكفكة الاستعمار بأسرها .

ألم يكن صحيحا، بحسب تقييمهم الجديد، أننا «نحن» أعطينا «هم» التقدم والتحديث؟! ألم نُوفِّر لهم نظاما ونوعا من الاستقرار لم يستطيعوا منذ ذلك الوقت أن يوفروهما لأنفسهم؟ أو لم يكن من قبيل الثقة الشنيعة الموضوعة فى غير مكانها أن نؤمن بمقدرتهم على الاستقلال. أو لم يكن ينبغى أن نتمسك بالمستعمرات ونبقى الشعوب الخاضعة أو الأدنى مرتبة قيد الضبط، ونظل أوفياء لمسؤولياتنا الحضارية[٣٥]

---

(٣٤) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص٨٧

(٣٥) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ٩١، ٩٢ .

ويعلق إدوارد سعيد بسخرية شديدة على « المسئولية الحضارية» وتلك الشهامة التى لم تقدر حق قدرها ! حسب وضعه بأنه طُردت من الخاطر أو تنوسيت تلك الشعوب المستعمرة المنهوبة التى تعرضت قرونا للعقاب المتسرع الظالم، وللقمع الاقتصادي أي الذي لا يُحدّ ولتشويه حياتها الاجتماعية والحميمة، وللخضوع الذى لا ملاذ منه.

ويكفى أن يتذكر المرء ملايين الأفارقة الذين قدموا زادا لتجارة الرقيق لكى يدرك حجم المسئولية الحضارية لهذا الغرب!!

أتصور أن المقدمة السابقة كانت ضرورية قبل البدء فى تحليل رواية «روبنسن كروزو» لـ « دانيال ديفو» التى اعتبرت إحدى النماذج المبكرة للرواية العربية الحديثة، بل ويعتبرها «إيان واط « البداية التى يبدأ منها تاريخ الرواية الغربية، ويربط «إدوارد سعيد» التواطؤ الكبير بين نشأة الإمبراطورية الاستعمارية ونشأة الرواية الحديثة فى الغرب، فالرواية كانت أكثر الأشكال الأدبية الجمالية التى لم تعبر عن التوسعات الاستعمارية فحسب، إنما ارتبطت بها(٣٦).

وليس من قبيل المصادفة أن أحداثها تدور حول أوروبي يخلق لنفسه مستعمرة على جزيرة غير أوروبية نائية، فقد عاصر « ديفو» الفترة التى انطلقت إبانها المدنية الأوروبية الحديثة وما رافقها من توسعات وهيمنة .

تصلح رواية «روبنسن كروزو» وقد اتُخذت كنموذج تدشينى لنمط التمثيل الاستعمارى الاختزالى للعالم، أن تكون موضوعاً لبيان

---

(٣٦) راجع : إدوارد سعيد : الثقافية والإمبريالية . مرجع سابق، وعبد الله ابراهيم، مرجع سابق، ص٥٨

الكيفية التى يقوم السرد الروائى فيها بتمثيل العالم طبقا للرؤية الاستعمارية(٣٧)

ففى اعتقادي أن الموقف الإمبريالى، الذى سبق وأن رصدناه، مجسد بصورة تتراوح بين المباشرة والتضمين، فى الشكل السردى المعقد لرواية « دانيال ديفو» « روبنسن كروزو » التى نشرت عام ١٧١٩، فالبطل فيها مشبع بالقيم الدينية، كما تبلورت فى المذهب البروتستانتى، وعلى هذا تترتب نتيجة مهمة حسب إشارة « عبد الله إبراهيم»(٣٨) وهى أن روبنسن كروز « ينطلق من مرجعية أخلاقية ترى أن العالم البروتستانتى هو الأنموذج الكفء للعالم المتمدن، فيصبح احتذاؤه ضروريا فى رهان التحديث، ولا تعرض هذه القيمة الأخلاقية بمعزل عن السياق الثقافي للعصر الرأسمالي، وتمخضاته فالرواية تبشر بفكرة قوة الفرد المتحضر فى عالم خامل ومهجور، يظل منسيا إن لم يدرج فى التاريخ الذى يمثله رجل أبيض، وهى الفكرة التى أعطت شرعية للاستعمار فى بداية الأمر.

يغادر «كروزو» إنجلترا فى رحلة بحرية عام ١٦٥١ مخالفا رغبات والديه، يسطو القراصنة على السفينة ويصبح كروزو عبدا لأحد المغاربة، ويتمكن من الهرب فى مركب ويلتقى بقائد سفينة برتغالية بالغرب من الساحل الغربى لإفريقيا، كان فى طريقه إلى البرازيل، وبمساعدة القائد يصبح كروزو مالكًا لمزرعة هناك، ثم بعد فترة وجيزة ينضم كروزو إلى بعثة لجلب العبيد من أفريقيا، لكنه فى

---

(٣٧) راجع عبد الله إبراهيم، مرجع سابق ص٦٨

(٣٨) مرجع سابق، ص٦٨

عاصفة تبعد أربعين ميلا فى البحر على مدخل نهر (اورانوكو) فى عام ١٦٥٩ يموت جميع رفاق كروزو ويتمكن هو من جلب الأسلحة والأدوات والتجهيزات الأخرى من السفينة قبل أن تتحطم وتغرق .

تصبح الجزيرة كل عالمه، فيقوم ببناء مسكن يحميه من الأمطار ثم يقوم بصنع «رزنامه» بواسطة وضع علامات بقطعة خشبية، ويقوم بالصيد ويزرع الذرة ويتعلم صناعة الفخار ويربى الماعز ...

يكتشف كروزو آكلى لحوم بشر يقومون بزيارة الجزيرة ليقتلوا ويأكلوا السجناء.

فى بادئ الأمر يخطط لقتل هؤلاء الهمج لكنه يدرك أن ليس لديه الحق لعمل هذا لأنهم لم يهاجموه، ولم يرتكبوا فى حقه شيئا.

يحلم كروزو بأسر واحد منهم، وعندما استطاع سجين الهرب، يساعده كروزو، يسمى رفيقه الجديد «جمعة» «Friday» تبعا ليوم الأسبوع الذى ظهر فيه ويعلمه الإنجليزية ويحوله إلى المسيحية ويجعله خادمه وفى نهاية القصة يعود كروزو إلى أوروبا.

هذا هو الإطار العام لرواية « دانيال ديفو» « روبنسن كروزو » وأريد أن أتوقف عند مجموعة من الصور التى تقدم تمثيلا استعاريا يوافق الفكر الشائع للحملات الاستعمارية فيما وراء البحار .

أول هذه الصور : أن البطل نفسه انضم إلى بعثة لجلب العبيد من أفريقيا، لذا فقد كان يحلم بتحرير أحد السجناء ليجعله عبدا له وخادما، وهذا ما حدث بالفعل مع خادمه جمعه، ويؤكد ذلك أن الكلمة الأولى التى تعلمها « جمعة » فى أبجدية التحضر والتقدم هى عبارة « نعم سيدى» انظر إلى هذا المقطع الدال من الرواية

يحكى « كروزو» عن يومه الأول مع عبده «جمعه» كيف أنه ألقى بنفسه على الارض ساجدا أمامه يقول : « وإذا هو قائم بسرعة من على فراشه فأتى إلى وألقى بنفسه على الأرض ساجدا أمامى وكان يومئ إلى أنه شاكر أفضالى التى فعلتها نحوه، ثم وضع رأسه أيضا على الأرض بالقرب من رجلى الأولى وأخذ رجلى الأخرى ووضعها على رأسه كما فعل سابقا موضحا لى بالإشارة أنه خادمى ومملوكى إلى آخر نسمه فى حياته »[٣٩]

يقول « عبد الله إبراهيم» مفسرا ظهور «جمعة» فى الرواية « لهذا يلزم أن تظهر شخصية مبهمة تكون موضوعا للأفكار الواضحة يظهر الهدف الذى يتوخاه .

وعلى هذا تُصطنع شخصية الملون « فرايدى » فى سياق الرواية، ليقع نوع من التكافؤ بين الهدف والموضوع، وتكون الخطوة الأولى بأن يخلع الأبيض اسما على الملون، اسمًا مشتقًا من الذاكرة الغربية، ... وليس من المستغرب أن يعلمه أول عبارة بالإنجليزية «نعم سيدى»([٤٠])

ثمة صورة أخرى لا تقل قسوة من سابقتها، بما تحمل من تزييف. يتوقف كروزو كثيرا عند ظاهرة البربر آكلى لحوم البشر والتى تغطى مساحات كبيرة من الرواية يقول :

---

(٣٩) رواية روبنصن كروزو، ص١٨٥

(٤٠) عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص٦٩

« ثم إنى قلت إن كان هذا البر ليس أمريكيا فحقا إنه جزيرة من الجزائر التى يسكنها الغيلان»

ويشير فى الهامش إلى أن هؤلاء الغيلان هم « أناس يأكلونَ لحوم البشر كمثل الوحوش وقد يوجد منهم كثير فى بلاد العبيد »[٤١]

وهنا يصور «ديفو» عالم هؤلاء البرابرة بالوحشية المملوء بآكلى لحوم البشر والذى يفتقر لمقومات الانسان وليس بمستغرب ان يظل «كروزو» طوال الرواية يذكر «جمعة» بأصله البربرى الوحشى يقول:

«وبعد مدة طويلة قدرت أن أتى بطبعه الوحشى إلى الطبع الإنساني»[٤٢]

ويقول فى موضع آخر :

« ثم سألته ماذا تفعل هناك (يقصد فى بلاده بعد عودته) هل ترجع إلى طبعك الوحشى وتأكل لحم بنى آدم وتصير كالبهيم كما كنت سابقا »[٤٣]

وهكذا، فإن مواجهة «كروزو» الأبيض القادم من عالم التحضر والتمدن مع عالم السود البربر يعطى مفاضلة لحضارة البيض حيث منظومة متلازمة من القيم والفكر والسلوك الرفيع والمتمدن .

---

(٤١) الرواية ص٢٠٨

(٤٢) الرواية ص١٦٤

(٤٣) الرواية ص ٢٠٧

وفى السياق نفسه يشير إدوارد سعيد إلى ما قام به فقهاء اللغة فى الغرب خلال القرن التاسع عشر من المرور على المقاطع المحرجة فى تاريخهم دون تعليق من أجل تأسيس نقائها الآرى (أى الحضارة الأوربية)

إنه لضرورى، إذن، أن نعيد ما قاله جول هارمان، عن تفوقية الحضارة الغربية والتى تعطيهم الحق فى توجيه بقية البشر واستعمارهم ، وهذا هو لسان حال كروزو فى المقاطع السابقة من الرواية، ولا أعرف لماذا نسى «ديفو» ما قام به فرسان الفرنجة فى الحروب الصليبية من أكل اللحم البشرى.

يقول إدوارد سعيد « إن المرء ليتذكر أيضا أن المؤرخين الأوربيين للحملات الصليبية لم يبدءوا إلا فى القرن التاسع عشر تجنب الإشارة إلى ممارسة أكل لحوم البشر من قبل فرسان الفرنجة، رغم أن أكل اللحم البشرى مذكور دونما حياء فى الحوليات المعاصرة للحملات الصليبية[٤٤]

فقد وثقت أعمال صليبية وحشية عديدة ضد سكان مدينة «معرة النعمان» بسوريا حيث قاموا بتمثيل أجساد القتلى المسلمين وأكل لحومهم عام ١٠٩٨م[٤٥]

وأخيرا، فقد قدمت رواية «دانيال ديفو» تمثيلا رمزيا لأيدلوجيا الاستعمار وسوغته حسب إشارة « عبد الله إبراهيم « فهى إنما مثال لا غير، فالرواية الغربية منذ لحظة ولادتها الأولى التي رافقت ولادة

---

(٤٤) إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص٨٦

(٤٥) راجع فى ذلك تفصيلات أكثر قسوة «أمين معلوف» فى كتابه « الحروب الصليبية من خلال عيون العرب»

الفكر الاستعماري تتضمن إشارات لا تخفى على كل ذلك «وهذا ما كشفه إدوارد سعيد فى تحليله لروايات «كبلنغ» و «جين أوستن » « كونراد»، و«كامو» و «ديكنز» والذي أكد على التواطؤ الذى حدث بين نشأة الإمبراطورية الاستعمارية، ونشأة الرواية الحديثة فى الغرب واكتمال خصائصها الفنية .

قصة روبنصن كروزي

اذا رمت الصعود الي علاء * فشب درج الفضايل فهي مرقي
وان رمت الرقا بلا مراق * وايم الله انك لست ترقي
وان شيت الرشاد بغير هاد * لا شك تهت غربا ثم شرقا



طبع في مالطة سنة ١٨٣٥

قصة روبنصن كروزي

كان رجل في بلاد الانكليز يدعي روبنصن كروزي والمذكور ولد في سنة الف وستماية واثنتي وثلثين مسيحية في مدينة تدعي يورك من اعمال بريتانيا • فاصل ابيه كان من مدينة بريمن ولاجل اسباب التجارة ترك مدينته واتي وسكن مدينة يورك المذكورة فكان له ثلث اخوة اصغر منه اكبرهم كان امير الاي فقتل في الحرب الذي كان مشبوكا ما بين الانكليز والاصپانيوليين • قال صاحب القصة انني كنت منهكا في اللذات وانتهاب المسرات ولا كان ناقصني شي وان ابي اجتهد ورباني تربية حسنة واراد ان يعلمني علم الذمة والشريعة اما انا

فما استفدت من ذلك شيا لكنني كنت اترك درسي وانطلق الي ساحل البحر نظرا لشوقي الوافر الي السفر فلما اكتشفا والدي علي امري اتياني بمعروف وبتخشع ان ارفع هذه القضية من بالي وانتبه الي حالي وظننا ان الكلام ياثر بي وما علما انه كان باطلا من غير فايدة مع انني نويت نية ثابتة وحتمت علي نفسي لابد انني اسافر الي بلاد بعيدة واتغرب• فذات يوم من الايام تنازع معي والدي وامتلي حمية وحنقا وقال لي حقيقة انك لجاهل وعديم الراي اتريد تترك ارض ميلادك ووطنك والحال انك مكتفي ولاناقصك شي ابدا فتذهب وتبهدل نفسك في الغربة ولا تعلم ماذا يتعرض لك في سفرك فاذا ظننت انك تجمع اموال العالم كلها اما تحسب خسارة نفسك التي هي افخر من العالم كله وللوقت وصف لي مثل الجامع اجور بن القاي اذ قال فقرا وغنا لا تعطني بل رتب لي ما احتاج اليه لعيشتي لكيلا اشبع وانقاد للكفر واقول من هو الرب او افتقر

فاسرق واحلف باسم الاهي زورا (امثال ص ٣٠ عدد ٨و٩) فالعيشة المتوسطة هي اعظم سعادة واذا جعلت في عقلك انك تجول العالم كله لتجمع الاموال فذلك اعظم غباوة واصل الشقاوة وربما ياتيك يوم صعب فتقول وقتيذ يا ليتني بقيت في داري واكل احقر الماكولات والبس الرثث والخلقان فماذا تفعل للوقت فهناك ما تنفع الندامة شيا ابدا فالان اذا ما سمعت من تضرعي اليك حيث انني اتكلم معك برقة ولطف فاني امرك ان ترفع ذلك من عقلك وتهتدي اما انا فما كنت اصغي له ولا الوف نظير هذا الكلام ياثر بي ويغير نيتي. فلما راي والدي اني ما استفيد شيا من كثرة كلامه معي قال لي اخيرا بانكسار قلب والدموع هاطلة علي وجنتيه ان كنت تريد ان تسافر فانا لست بقادر ان افعل معك شيا سوي اني اطلب الي الله لاجلك دايما كي يسهل طريقك ويحفظك من ساير الشرور الراصدة لك ويردك الي حياة وعافية فلما سمعت هذه الكلمات

من فمه حن قلبي وانعكفت قليلا من رغبتي لكنني بعد قليل رجعت ايضا الي حالي وانا مشتاق جدا الي سفر البحر• فانعطفت يوما الي والدتي وقلت لها انني لا استطيع اهجع هنا ولا لي قابلية ان ابدي بعمل ما التهي به غير ان افكاري دايما متقلبة في مادة السفر فاجابتني قايلة انني اريد اطلب من ابيك ان ياذن لك ان تسافر سفرة واحدة وتكسر شهوتك واذا ما نجحت بها فلاتعود تطلب السفر مرة ثانية فاتفقت انا علي هذا الراي اما هي فخاطبتني بحمية بعد مدة قليلة من غير انها تسال والدي عن سفري وكانت تقول لي اني اراك عازما علي انهدامك وتخلف لي الحصرة وتريد ان تسافر خلاف رضا والديك فالان انا لا اريد ان انصحك ولا اتكلم معك من الان وصاعدا عن هذه المادة لكنني اتركك علي هواك وانت افعل كلما يحسن بعينيك فذات يوم من الايام وانا في مدينة هول تصادفت مع شاب كان يتعلم معي القراة في مدرسة

واحدة والمذكور كانت لوالده مراكب راسية في مينة لندن ولما اخبرته عن كلما انا مشتاق اليه وان قلبي ملتصق بسفر البحر اجابني بحلاوة لسان وعذوبة ووعدني قايلا انه يرسلني مع مركب من مراكب والده من غير نولون واني اكل مع البحرية مجانا ولا اصرف من عندي ولا درهما وكلما احتاج اليه في المركب يعطي لي من غير تقصير ففرحت وقتيذ فرحا عظيما جداء واستعديت يوميذ الي السفر وهييت نفسي بلا رضي والدي وانا ابن تسع عشرة سنة فركبنا المركب في اليوم الاول من شهر ايلول سنة الف وستماية واحدي وخمسين مسيحية وقلعنا من المينا قاصدين السفر الي بلاد بعيدة

وفي اليوم السادس بعد ما قلعنا من المينا اتينا الي مكان قبال هرويج ولاجل اننا ما استطعنا ان نسير لقينا المرسي ورسينا هناك مع جملة مراكب تصادفنا معها هناك والمكان الذي رسينا فيه كان امينا فلما راوا البحريون انهم في غاية الامان نسوا ذلك

الاضطراب الذي اكتنفهم وبدوا يتمشكحون ويلعبون علي ظهر المركب كانهم علي البر وفي اليوم الثامن قام ريح عاصف وزوبعة مرعوبة ولاجل خوفنا علي المركب ليلا ينكسر قلعنا من هناك وتوكلنا علي الله ودخلنا في فم نهر قاصدين النجاة من خطر البحر وجعلنا مركبنا يسير وهو مندار موخره الي قدام ومقدمه الي ورا وفيما نحن سالكون ضد ارادتنا اندق المركب في صخرة وانخرق في بطنه وانا لا اعلم اي شي حاصل سوي انني رايت البحريين محتارين بامرهم وفي اثنا ذلك رايت رئيس المركب يتاوه ويتحصر وهو يقول في حزن وملل ارحمنا يا رب وارسل لنا عونا من قدسك لاننا كلنا قربنا الي العدم فقال هذه الكلمات بمرارة نفس وكان قلبه ينفطر من زيادة غمه فلما اكتشفت انا علي الامر وباية موتة مريعة مزمع ان اموت فوهن عزمي وانهزلت قوتي ولقيت نفسي في عنبر المركب غير منتقل كالميت من زيادة رعبتي وبعد قليل خرجت الي سطح المركب لاري الحال

وانا خايف ومرتعب جدا فرايت امواج البحر تتعالي كانها جبال وما كنانري شيا اخر سوي الاحزان محتاطة بنا من كل جانب. وفي تلك الشدة كانت صحبتنا جملة مراكب فاثنان منها قطعوا البحريون صواريها وواحد غار قدامنا وغطس في قعر البحر هو والذين فيه وما بان لهم اثر واثنان عدما مراسيها واشرفا علي الغرق فلما راينا نحن ذلك عددنا انفسنا من جملة الغرقا وايسنا للوقت نظرا لبعدنا من البر وقلنا اننا غارقون فلنهتم ونعالج فربما نحصل علي خلاص نفوسنا فاعتمدنا وقتيذ واتينا بالمنشار وقطعنا صاري المقدم وصاري الموخر وخلفنا الصاري الوسطاني. فمن هو الذي يرانا وما يحزن علينا اذ اننا منتظرون الموت في كل دقيقة ونظرا لي انا فانتحلت قوتي من الخوف الذي اعتراني والرعبة التي جعلت مفاصلي ترتجف فمركبنا ولوكان رصينا ومعمرا جيدا مع انه كان موسوقا جدا ولكثرة وسقه جعلوا الملاحون يولولون ويقولون ان المركب قد اشرف علي

الانكسار والعدم فكان قصدهم ان يطرحوا بعض البضاعة في البحر ويخففوا المركب فاناما كنت افهم ما يقولون لكنني كنت كاطرش في زفة وما دام الريح يقوي والبحر يروج ويموج فما رايت الا ورئيس المركب مع جملة بحريين طرحوا نفوسهم علي ظهر المركب وبدوا يتضرعون اليه تعالي ويسالونه بطلباتهم حتي يفرجها علينا وكانوا يصرخون اليه باعلي صوتهم منتظرين الموت في كل لحة فلما انتصف الليل صرخ احد البحريين قايلا ان المياه قد دخلت العنبر وتعالت نحو علوقامة فلما سمعت هذا كادت تنفطر مرارتي من الجزع والخوف فحالا اجتمعوا البحريون وابتدوا ينشاون المياه في الترمبا زاعمين انهم ينزحونها بالكلية فدعوني انا ايضا لاعينهم في النشل فما كان ينفع عملنا شيا لان المياه كثرت جدا وامتلي المركب فتشرف رئيس المركب جيدا وراي من بعيد مراكب موسوقة فحم راسية فعمر للوقت مدفعا وقوصه واعطي بتقويصه علامة الشدة التي نحن حاصلون فيها حتي اذا سمعوا

بحريون تلك المراكب صوت المدفع ياتونا بقواربهم وينجون نفوسنا من الغريق فانا ما كنت افهم معني تقويص المدفع لكنني ظننت ان مركبنا انفلق او وقعنا في داهية ولذلك وقعت مغشيا علي وجهي فلا واحد من الحاضرين تقدم واخبرني بالواقع لان كل واحد منهم كان مشغولا في نكبته فبقيت انا ملقيا بين رجليهم كالميت مدة ما وبعد ذلك فقت الي حالي

فتلك العلامة التي اعطاها الرئيس بتقويص المدفع كانت نافعة وسعيدة لان حالما سمعوا الذين كانوا علي الشاطي اتوا بقواربهم لينقذونا من الهلاك فلما اتوا وقدموا الينا فما كان يمكنهم الوصول منا لان تارة تصعد بهم الامواج اعلي منا مقدار خمس قامات وتارة تغطس بهم اوطي منا نحو اربع قامات ولا كان البحر يهدي قليلا حتي نستطيع علي النزول في القوارب وكلما كانوا يريدون القرب منا فالامواج كانت تلط بهم وترجعهم الي ورا ثم بعد تعب جزيل احتلنا وجعلناهم ياتون من امام مقدم المركب

واعطيناهم حبلا حتي يقبضوه ويدنوا منا فمسكوه بعد جهد عظيم واخيرا اتوا حسب ما دليناهم وكان كل واحد منا يمسك الحبل وينخروط من اعلي الصاري الممدود علي المقدم ويلقي نفسه في وسط القارب وهكذا خرجنا من المركب ونجينا نفوسنا من الخطر الذي كان امامنا وبعد ربع ساعة تعالت المياه علي المركب واحدرته الي قعر البحر وما بان له اثر الي هذه الساعة فاما اوليك الناس فاخذونا الي مراكبهم ومن عظم الريح وعلو الامواج كانت المراكب الراسية تتمايل كانها في الغبة وكانوا الملاحون يفزعون ليلا يقذفهم الريح الي الشاطي وتشهل المراكب علي القاع وتنكسر وبعد ذلك اخذونا الي الساحل واخرجونا في مكان يدعي كرومر قريبا من وينترطون حيث القنديل الكبير المنور للمراكب فصعدنا للوقت ونحن مغتمون انفسنا وحمدنا الله تعالي الذي نجانا من الهلاك والموت المرعوب . ومن هناك مشينا علي اقدامنا الي ان اتينا برموث وهناك استقبلونا

اناس اصحاب رحمة وعرفوا اننا نجينا من الغريق فقدموا لنا حالاً ماكولا فاكلنا ومشروبا فشربنا وقالوا لنا ان كنتم تريدون الذهاب الي لندن او الي هول فنحن نرسلكم . اما انا فما اعتبرت ابدا من كل النوايب التي نالتنى ولا فعلت كما فعل الابن الشاطر فلو رجعت الي ابي تايبا اذ انه سمع بخبر مركبنا وما حل به فمن غير شك لكان قدم لي الحلة الاولي وذبح لي العجل المعلوف لكنني صممت علي رايي غير متقلقل ولا افتكرت عما اصابني ولا انطبعت من الشقا والخوف الذي نالني

فبعد ما استقمت في برموث ثلثة ايام تلاقيت مع ذلك الشاب الذي سفرني بمركب ابيه وهو ماشي صحبة والده فلما راني نظر الي بتعبس وسالني بمرارة نفس قايلا كيف حالك وماذا تفعل الان قال هذا والتفت الي ابيه وقال له هذا هو الذي سفرناه بمركبنا وانه كان مزمعا ان يسافر الي بلاد بعيدة فلما سمع هذا والده التفت الي وقال لي بحمية انظر

يا ايها الشاب ولا تعاود الي سفر البحر مرة اخري وخذ هذه المصيبة التي حلت بك عبرة لانك ما تنجح في سير البحر ولا تتهني بعمرك فاجبته انا قايلا اتريد ترثي الي حالي وتصنت الي مقالي لاني طالبه بكل مجالي ولو كانت به اجالي فقال لي ان الامور مختلفة لان هذا هو عملي واني ملتزم ان افعل ذلك ولا امنع واحد من السفر ولكن بما انك تريد ان تجرب ذاتك في هذه السفرة فانا انصحك ان ترجع الي والديك ولا تسافر ابعد من هنا ليلا تدهور ذاتك لان النحس لم يزل منصوبا امامك واين ما توجهت تصادف بلايا ومصايب وربما ان مركبنا غرق بسببك كما جري للمركب الذي سافر به يونان النبي اذ كان منطلقا الي ترسيس فالان اريد ان اسالك من تكون انت ولاي سبب زاحم نفسك الي سفر البحر اما انا فاخبرته بقصتي من الاول الي الاخر وما اخفيت عنه شيا فلما عرف مضمون كلامي واني مسافر خلاف رضا والدي نظر الي بوهرة

وبدا يلوم نفسه قايلا كيف اني جعلته يسافر بمركبي
وكنت انا سبب هلاكه لاني جعلت هذا الشقي
يسافر به حتي انه صار سبب عدمه وبدي يهجي
بي ويلومني لومة عجوز واخيرا صفي خاطره علي وكلمني
بانس قايلا يا ايها الشاب ان كان ما تسمع كلامي
وترجع الي محلك والاين ما تتوجه تصادف تحسا
وتعسا الي ان يكمل كلام ابيك ويثبت محقا في
مكانه وجميع البلايا التي وصفها لك تلم بك وتكتنفك
قال هذا وانطلق كل واحد منا في حال سبيله

قال فلما سمعت خطابه زاد همي وارتعابي وقلت
اني ارجع الي والدي لانه مساعدي وعاضدي فبعد
مدة قصيرة تراي لي ان ذلك هو عار علي ان اغير
كلامي وان ارجع الي والدي مفشولا وفيما انا مفتكر
بهذا تصورت في عقلي وقلت اذا رجعت فيقومون
ساير اصدقاي وجيراني ويسخرون بي واكون مضحكة
للجميع فخصايل الجهلة هي هكذا غريبة لانهم ما
يختشون اذ يخطئون ولكن يزيد عليهم الحيا لما يتوبون.

فهكذا انا ايضا كنت بعيدا من الندامة لاجل تلك
المزايا التي لشانها يسوغ لي ان اعد مع الاغبيا والجهلا
وانما بعكس ذلك ظننت ان رجوعي الي والدي
هو عين الجنان والحمق مع انه اصول الحكمة ومباديها.
فبالاختصار لزمت طريقي وانطلقت الي مدينة لندن
وعزمت في رايي أن ابحث عن مركب ما واسافر به
سفرة واحده وفي الاثنا سمعت عن قبطان يريد ان
يسافر الي نواحي كينيا فمضيت الي عنده وقررت
له مرامي ولما سمع مني اني مشتاق الي سفر البحر
طيب خاطري واظهر لي مودته ووعدني انه ياخذني
معه ليس كبحري بل كمصاحب ونديم. وكلما
احتاج اليه يعطي لي من غير تقصير والفلوس التي
معي اشتري بها بضاعة واتاجر بها فاستكثرت بخيره
وشكرت افضاله وانا مسرور جدا نظرا لقعود سعدي
فذهبت للوقت الي يوركشير واخبرت اصحابي بالقضية
واستلمت منهم مايتين فرانسا حواله علي والدي
فتسوقت بها خردوات مثل مطاوي وابر وما شابه

ذلك حسبما اهداني القبطان ثم اننا قلعنا قاصدين كينيا وفيما نحن مسافرون انعطف الي القبطان وكان يعلمني الملاحة اي علم سير البحر وكيف اني احسب الاميال التي نسيرها واجمالها ومع درجات الشمس الخ.

ولما وصلنا بعنا وابتعنا وعملت حسابي اخيرا فوجدت اني رابح جدا فحقيقة ان هذه السفرة جعلتني ان اتعلم صنعة البحريين والتجارة ولما رجعت الي وطني كان صحبتي خمسة ارطال وتسع اواقي ذهب رملي فبعته في لندن بالف وخمسماية فرانسا

فبعد ما وصلنا الي لندن بايام قليلة مرض القبطان مرضة ثقيلة ومات بها عاجلا فلما سمعت بخبر السو تراكم علي الحزن والالام ومن زيادة غمي كنت قابلا الي تجرع كاس الحمام فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان سعدي لمتغير• فقلت اني فرحت اولا لوجودي كذا رجلا راوفا ودودا لكنه اختطف مني عاجلا فبعد ذلك بجملة ايام طلبت امراته ان تسافر في مكان زوجها فانطلقت اليها وكلمتها ان كان يحسن بعينيها

فتاخذني معها نظرا لمحبة زوجها الفايقة نحوي فارتضت بذلك ووعدتني انها تاخذني معها فلما سمعت الي اين هي قاصدة السفر قلت ان هذه السفرة انها خايبة ومنحوسة فقلت في ذاتي اني راضي ان لاأربح شيا في هذه السفرة ولا تصيبنا مصيبة لان هذه السفرة هي مشومة ومتعوسة. فلما نهت وسقها استعدت الي السفر فركبنا المركب متوجهين الي نواحي جزاير كناريا وبعد ما سرنا وابتعدنا من بلادنا واذا بمركب مملي من الناس السرقا فصرخوا علينا ان نقف فلما علمنا انهم اعداءنا حشينا للوقت مدافعنا وتهيينا لمحاربتهم فاشتبك مابيننا الحرب وصرنا نقوص عليهم وهم يقوصون علينا امام مركبهم فكان حاملا ثمانية عشر مدفعا ومركبنا اثني عشر فقط فلما صار العصر ضعفت قوتنا وايسنا من نفوسنا لما راينا القتلة والمجرحين من الفريقين ومركبنا انصاب من ضرب المدافع ومابقي لنا رجا البتة ان ننجح ونظفر بهم فتقدموا حينئذ علينا وضربوا كلاليبهم

بمركبنا واستاسرونا وانطلقوا بنا الي بلادهم فلما دخلنا مينتهم ولقينا المرسي اصعدونا الي البر واتوا بنا الي مكان موقوف لبيع الاسرا وهو دار قضا ملكهم حتي يبيعونا فقبطان المركب الذي استاسرنا جعل نظره علي ثم انه اخذني الي خاصته مملوكا حتي اخدمه

فلما تمثلت حالي وماذا جري لي وكيف اني ساقضي حيوتي في رق العبودية تحت يد اناس اعفيا جايرين حزنت حزنا عظيما جدا وللوقت تذكرت كلام والدي فتاسفت وقلت يا ليتني ماسافرت لاني لو سمعت مشورة والدي لما حلت بي هذه الغايلة ثم ان مولاي القبطان اخذني الي داره لاخدم اعياله فحصلت علي وضيفة افضل مما افتكرت ان يحل بي وبما اني كنت منتظرا الي ساعة غفلة حتي اهرب بها مولاي القبطان رخص لي بالذهاب الي ساحل البحر وللوقت شملني فرحا عظيما جدا عندما سمعت هذا منه مفتكر ربما اعثر بمركب اصپانيولي او پورتوكيسي ساير في هذه الاقطار فاتضرع اليهم فياخذوني معهم فخاب

ظاي بعد ذلك لانه جعلني داخل دار فيها جنينة حتي
احرثها واسقيها وانظمها وغلق علي من خارج ولما
كنت اخلص من شغلي حالا اباشر بغسل الدسوت
والاوعية واكنس المطبخ ولما كان يرجع من مغازاته
كان يرسلني صحبة رجل اخر الي مركبه وهو راسي
في المينا لنحرسه وما كنت اجد ولا واحد من بني
جنسي ان اعلمه بامري حتي يفرج لي كربتي ولم
ازل انا جاعلا فى بالي الهريبة ومقلبها علي اوجه
كيف ومن اين وباي وسيلة وكنت التفت يمنة
ويسرة قصدي ان احظي برجل انكليزي او فرنساوي
او اصپانيولي او واحد اخر غيرهم فما كنت اري
حتي ولا اسمع خبرا ما عنهم فاستقمت علي هذه
الحالة مدة سنتين كاملتين وانا اخدم بتعب وشقا
سوي انني كنت اسلي نفسي واوعدها بتخيلي اي
ربما غدا او الشهر الاتي يمر من هاهنا مركب فاسافر
به واخلص من هذا الشقا

فبعد مدة من الزمان افتقر مولايي وانفلك وما

بقت له حيلة حتي يسافر كعادته فامرني يوما ان انطلق واصطاد له سمكا من البحر ثم ارسل معي فتي اسمه ملا حتي يقذف ويسحب القارب واستقمنا علي هذا المنوال نصطاد سمكا في كل سبة مرتين او ثلثة لما يكون البحر هاديا والجو صافيا اما انا فكنت انسر جدا بالفتي ملا الذي كان ياتي معي لانه كان يعينني في الصيد ويسليني والمذكور كان من اقربا مولايي القبطان

فذات يوم من الايام امرنا ان ننطلق ونصطاد كعادتنا فلزمنا طريقنا وركبنا القارب مستعدين الي الصيد وكان الضباب عاقدا وشابورة كثيفة حتي لا احد كان يستطيع ان يري رفيقه ولاجل ذلك عدمنا البر وما بقينا نراه ابدا ولسنا ناظرين شمسا حتي نقذف ونرجع وراء فاستقمنا نعالج ونقذف العشية والليل كله حتي شروق الشمس فما نري نفوسنا الا ونحن في الغبة بعيدين من الارض مقدار ستة اميال ولما فك الضباب في ذلك اليوم عرفنا اين نحن حاصلون

فبدينا نجد بكل بتعنا ونقذف مستعجلين حتي
نصل الشاطي لان بطوننا لصقت بظهورنا لشدة
جوعنا وضورنا فلما اتينا الي الدار واعلمنا مولايي
القبطان بكل ما حصل خصوصا عن الجوع الذي
خورنا قام للوقت وارسل ورا نجار مامرا له ان يعمل
طارمة في وسط الصندل الذي له لكيما نضع
فيه قوتا يكفينا اذا تهنامرة اخري في البحر وامره
ايضا ان يصلح السكان ويثبت الصواري ويهندم
الصندل جيدا فلما فرغ من عمله دعانا للوقت وقال
لنا هوذا قد خلص عمل الصندل فاستعدوا الان
لتمضوا وتصطادوا فامتثلنا امره وقلنا له حبا وطاعة
ثم انه ارسل معنا ثلثة انفار اخر وحضر لنا زهاباً
وافرا واعطانا ايضا ثلث بندقيات خارقات وبارودا
ريحاني ورصاصا وخردقا عسانا نحظي بوحش من
وحوش البر او البحر ففي اليوم الاخير عزمنا علي
النزول في البحر فتزهدنا وركبنا الصندل متكلين علي
الله وكلما نحتاجه صحبتنا القلوع والماونة والاكل والشرب

وغير ذلك فلما سرنا قليلا تغير راي ارفاقي لان مولايي امرنا ان ننطاق الي ناحية وهم مضوا بنا الي ناحية اخري ولما لحظت ان ذلك من حسن سعدي فرحت جدا وللوقت بديت ان افتكر مدبرا الي طريقة استطيع بها افر من بين اياديهم وانجي بنفسي لاني اكدت في رايي ان في هذه المرة اقدر ان اخلص نفسي من رق العبودية• فلما سرنا مقدار ميلين مالوا الي البر وربطوا الصندل ثم اخرجونا كلنا الي الشاطي مع الذخيرة كلها التي تزهبناها معنا وتركوا صبيا صغيرا يحرسها اسمه كسار لان قصدهم كان ان يقنصوا علي الوحوش الحايمة في تلك البقاع ثم اني ميلت الي الصبي الذي كان دايما ينطلق معي الي الصيد وقلت له انطلق بنا الي داخل البحر لنصطاد فلعبت عليه واقنعته بان هناك يوجد سمك كثير اما هو فصدق كلامي وذهب الي الأوعية واتي باكل وافر وشرب وايضا جاب معه بندقية واحدة مع بارود ورصاص وقليل من الخردق زاعمين اننا نريد نقوص جاموس البحر

ثم اننا تحوجنا من كل الاشيا التي كانت هناك وما هو
ضروري لنا فركبنا الصندل وقلعنا انا والصبي كسار فلما
سرنا مقدارا ما وعدينا القلعة بدينا نصطاد وهناك
رايت سمكا واهيا لكنني اظهرت للصبي كانه لا سمك يوجد
في ذلك المكان لكيما ابتعد اكثر من البر ومن ارفاقي
ايضا ودمنا نقذف زاعما لها اننا نلحق المكان الذي
يوجد فيه صيد وافر وعلي ذلك المنوال سرنا بعيدا
مقدار اربعة اميال اخرة فلما رايت اننا قد ابتعدنا
جدا والبحر خالي من المراكب قلت هذه هي فرصتي
وروجتي وبها اخلص من ضيقتي فقلت وقتيذ للصبي
الصغير كسار هلم والزم السكان قليلا حتي اعدل
الشراعات فكان ذلك مني حيلة فسمع مني وتقدم
وكان وقوفه ورا الطارمه فتقدمت علي الفتي ملا بصناعة
وهو جالس علي حرف الصندل فقبضته بغتة وقذفته
في البحر والمذكور كان سباحا موصوفا اقشر ولا واحد
يقدر ان يلحقه في السبح فلما راي نفسه انه في الما
تقدم حالا الي الصندل مرامه ان يصعد عليه ظاناً

اني اتمازح معه فاخذت البندقية في يدي وقلت
له احضر يا ملا ان لا افرغها في راسك وارجع من
عندك لاني عالم انك قادران تسبح وتخرج الي البر
وتخلص نفسك فالان انا ما اريد ان اضرك ولا
افعل معك رداوة لانك خليلي وانت تعلم هذه
هي ساعتي وغايتي ان اخلص نفسي من رق العبودية
فلا تتعب وتجد تابعا لي تظن انك تصعد علي
الصندل لان ذلك هو من المستحيل فلما سمع مني هذا
الكلام دار وجهه من غير ان يجاوبني بادني كلمة وبدا
يفوج طالب للخروج الي البر فالتفت بعد ذلك الي
الصبي كسار فرايته يرتعد لشدة خوفه لانه ظن
اني اريد اقذفه ايضا كما قذفت الفتي ملا فشجعته
وقويت قلبه قايلا ان كنت امينا ولست بخاين فانا افعل
معك كلما هو حسن وجيد ولا اذيك ابدا. فلما
رايت اني مالك حريتي واني انعتقت من عبوديتي
اجتهدت ان اخلص بنفسي تماما ليلا ياتي احد طالب
اثري فنصبت الشراعات وثبتها وكانت الشمس قد

مالت فتوجهت الي الناحية الجنوبية طالبا بلاد البربر وفي الهجعة الاولي من الليل تغير رايي ودرت الصندل قاصدا ان اسير قريبا من البر ليلا اتيه وكانت ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب حسن هواها وجاد صفاها والبحر هادي والصندل ساير كانه خيل نجادي فعملت حسابي قبل ما شق الفجر بثلث ساعات فرايت اني مبتعد من مملكة مراكش نحو ماية وخمسين ميلا فاستقمت قالعا خمسة ايام متوالية من غير ريح يضاددني ولا احد يعيقني الي ان تغير الريح وصار ضدي فمنعني عن السير. فافتكرت حينئذ وقلت ربما يسعي في اثري طلب وانا لست بقادر ان اسير فيمسكوني ويكون الامر الذي استحسنته وفعلته سببا لعذابي وهلاكي وبعد ما قلبت ذلك في فكري وانا ابحث عن تدبير ما كيف اني افعل حتي لا يراني احد ما اري والانفسي قدام نهر صغير يصب في البحر فدرت الصندل ورسيت في مخلطه ولا اني عارف اين انا حاصل وما هي تلك الارض ولا اني واجد

انسانا ما حتي اساله اي قبيلة حالة هناك فاستقمت علي ظهر الصندل منتظرا غروب الشمس حتي اذا خرجت الي البر لا احد يراني وكنت ايضا معتازا الي ما للشرب لان الما الذي كان معنا نفد كله فلما مالت الشمس واظلم الوقت سمعت نهما وهمر وحوش ضارية مختلفة وقلت ان هذه الارض هي ملجا الوحوش ولافيها ساكن فالتفت الي الصبي فرايته يرتعد من عظم خوفه وكان يكلمني وهو يرجف قايلا اسالك يا سيدي ان لا تخرج الي البر في هذه الليلة لاني خايف عليك جدا من هذه الوحوش الداهية التي همرها يزعزع الصخور وانثني يقول لي طاوعني ولا تخرج مع رعبة ورهبة. فاجبته قايلا اذا ما خرجت الان نحو كلامك افهما هو من اللازم اني اخرج غدا صباحا ومن اين تعلم انه لن يعثر بنا اناس اشر من الوحوش واردي منها فقال لي الليل مجهول والنهار محزور وبه تقدر ان تخلص نفسك ان استطعت لان اذا اتي عليك احد في النهار وانت ناظره فتقوصه وترميه

في مكانه او اذا سمع صوت البندقية فيفر هاربا ولا يستجري ان يتقدم اليك واما في الليل فانت تحت الخطر فاستحسنت رايه ورايته انه صوابا فطاوعته ومكثت تلك الليلة في مكاني ولكن من استطاع ان يغمض عينيه من وعوعة الوحوش ونهمها فنحن كنا علي ظهر البحر ولا لهم استطاعة ان يفترسونا هكذا ارتعبنا فكم بالحري لوكنا علي البر قريبين منهم فماذا كان يحل بنا. فلما اصبح النهار واشرقت الشمس اهتميت ان اخرج الي البر واتي بماء عذب لشربنا وقلت اريد ان اخاطر بنفسي واخرج بين الوحوش والبربر واتي بما ونروي به ضمانا. فقال لي كسار لا تخرج انت ولكن اعطني الجرة فانا اخرج واتي بما وانت استرح هاهنا فسالته لماذا تريد انت تمضي وانا استقيم هاهنا فاجابني اذا كان يوجد هنا اناس بربر فليقتلوني وانت تستحيي فلما سمعت منه هذا الكلام اثربي جدا وازدادت محبتي له فقلت ان كانت هذه مودتك لي وانت تريد ان تتهاون بنفسك

وتستحيني فاقول لك الان اننا نخرج جميعا الي البر وان كان صادفنا احد وقوي علينا فنموت جميعا والا فناتي بماء ونروي ضمانا قلت هذا ونهضت واعطيت للصبي كسرة خبز وقدمنا الصندل الي الشاطي فخضنا وطلعنا الي البر وما اخذنا معنا سوي سلاحنا وجرتين لاجل الما فاما انا فاستقمت قريبا من الصندل خوفا ليلا ياتي الشعب البربري في شخاطيرهم ويسرقونه او يدهورونه فوقفت حارسا له والصبي كسار انطلق يجول في ذلك البر وابتعد مني مقدار ميل فبالجهد كنت المحه فبعد جملة دقايق ما اري الا والصبي مقبل الي وهو راكض علي قدر استطاعته فظننت ان وحشا اراد ان يفترسه او واحدا من البربر هجم عليه فتدرعت واقبلت نحوه ناويا ان اخلصه من الذي هو ساعي باثره او اني اموت قبل ان اراه ميتا امامي فلما اقترب مني شاهدت شيا معلقا علي كتفه فلما تحققته رايته وحشا يشبه الارنب لكنه مشكل الالوان وله ارجل طويلة (فاظن انه المريعي)

ففرحت به جدا وسالته من اين لك هذا فقال
لي اني اصطدته فقلت له اليوم نشويه ونسر نفوسنا
بلحمه فقال لي اني وجدت مياه عذبة واهية وما
عثرت لا بوحش ولا بانس. فلما شويناه واكلنا وتنعمنا
وطابت نفوسنا تحصرت وقلت يا ليتنا نصادف
مركبا من مراكب الانكليز فربما يحن قلب القبطان
علينا وياخذنا معه ويكمل فرحنا. فتمثلت وقتيذ
بتلك الارض وفرزنتها جيدا فوجدتها انها مستحكمة
مابين مملكة مراكش ومملكة السودان فلما خميتها
وجدتها مقفرة وسكانها قليلين لكنها مملوة من ساير
الوحوش الضارية وبعض من السودان يقصدونها
ليس لاجل الاستقامة فيها بل لاجل انهم يقنصون
علي الوحوش الهايجة هناك فتعلقت وقتيذ علي
اكام كان هناك وتشرفت يمينا وشمالا فرايت من
بعيد قمة جبل تنريف الكاين في جزاير كناريا
فقصدت الانطلاق الي تلك الجزاير لاني علمت اني
قريب منها فركبت يوميذ الصندل رفقة الصبي

كسار وكان الريح مضاددا لي وبمقدار ما كنا نجد
ونقذف فكان الريح يرجعنا وراء فلما رايت اننا نتعب
من غير فايدة وماعدا ذلك اننا نرجع الي ورا قدمت
الي الساحل وكنا نسير قريبا من الشاطي وبعده
سرنا جملة ايام والامواج تلعب بنا ولانعلم الي اين
نحن سايرون سوي اننا طارحون اتكالنا علي الله
عز وجل وسرنا علي هذا المنوال جملة ايام وفي صباح
ما قدمنا علي ارض عالية ورسينا قدامها فطلبت
انا بعد ذلك ان اقدم الي البر فقام كسار وتبصر
جيدا لان عيناه كانتا حادقتين وقال لي ابعد من البر
ليلا نبيد فاجبته لماذا فقال لي اما تنظر الداهية
التي هي امامنا علي البر فقلت له ما هي هذه الداهية
فاجابني ان اسدا هاكرا علي جانب ذلك التل
محتجبا تحت ظل صخرة فنهضت انا لاحقق كلامه
وتشرفت جيدا واذا بهصمصم اي اسد عظيم الخلقة
مهيب الصورة مخوف الغايلة راقدا حسب ما قال
فالتفت الي كسار وقلت له اخرج الي البر واقتله

فاجابني كيف استطيع ان اقتله فقبل ما ادنو منه يوثب علي ويفسخني نصفين وياكلني فقلت له ان كنت خايفا استقم هاهنا وانا اخرج واقتله فقمت واخذت بندقيتي وحشيتها رصاصتين واشبعتها بارورا مع انها كانت مدرهمة ونخرتها وخرجت الي البر فحبيت له واتيت من قدامه وحكمت الحبابي في جبهته قاصدا ان اقوصه في راسه فطلقت للوقت النار فاتي الرصاص في ركبته ففتتها لانه كان جاعلا يديه اثنتيها علي منخاريه كما تفعل القطة لما تنام فاستيقظ الاسد وهام ان يقوم لكنه سقط علي الارض عاجلا غير متحرك وبدا يجعر بصوت مرعوب حتي الارض كادت تتزعزع من ضجيجه فاستعجلت وحشيتها مرة اخري وقوصتها في راسه فوقع بعد ذلك علي الارض فلما راي الصبي كسار اني قتلته طلب مني ان يخرج الي البر فاذنت له فخرج وفي يده بندقية صغيرة فاقترب من الاسد وهو ينازع فقوصه في راسه اما انا فاستخيفت علي البارود

والرصاص الذي دهورناه فى الباطل لان لحمه لا يستطيع احد ان ياكله ولا فيه نفع ابدا فصعد وقتين كسار علي الصندل واتي بساطور كان صحبتنا وتقدم الي الاسد مرامه ان يقطع راسه فعالج فيه مدة فما استطاع ان يقطعه لنظرا لصغر سنه فترك راسه واستقبل علي رجله فقطعها واتي بها الي الصندل وهو مفتخر بانه قطع رجل عدوه . فافتكرت وقتين وقلت ان جلده ذو ثمن فلنخرج اليه ونسلخه فخرجت انا وكسار ودمنا نعالج النهار كله في سلخه ثم اننا اتينا بالجلد اخيرا الي الصندل وفرشناه علي سطح الطارمة حتي يجف وبعد يومين يدبس جيدا وجعلته مفرشا لي وكنت ارقد عليه

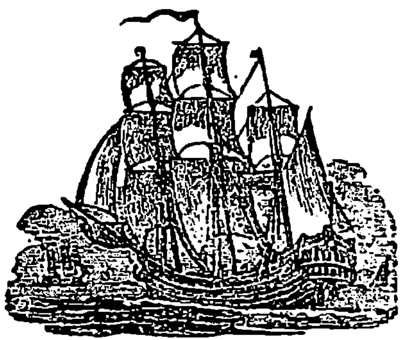
فقلعنا من هناك وتوجهنا ناحية الجنوب مقتاتين تقندا ليلا يفرغ متاعنا وبسيرنا كنا نلازم البر نظرا لافتقارنا الي الما العذب وكنا نشتاق ان نلتقي مع مركب من مراكب اوروپا فكان يخطر في بالي اننا ندخل الغبة عسانا نحظي بمركب ما . فذات يوم من الايام ونحن

سايرون قريبا من الشاطي راينا اناسا واقفين علي ساحل البحر ينظرون الينا فمعنا نظرنا بهم جيدا فوجدناهم انهم سودان عرايا فطلبت وفتيت ان اقدم الي البر اما كسار فصرخ باعلي صوته قايلا ارجع لا تقدم اليهم ليلا يبيدونا فما اعتبرت انا كلامه لكنني درت الصندل متوجها الي البر فلما راونا مقبلين عليهم كل واحد منهم هرب الي ناحية وابتعدوا منا جدا والمذكورون كانوا من غير اسلحة ولا في ايديهم عصي سوي واحد منهم كان ماسكا بيده عصا طويلة فقلت لكسار اعصا تلك التي ماسكها ذلك الرجل بيده فقال لي لا لكنها خشت اي رمح قصير وقال لي ايضا ان السودان يحذفون هذه الخشوت من بعيد ويقتلون بها فبديت انا اتكلم معهم باللغز والاشارة وفهمتهم اني طالب منهم اكلا فاوموا الي ان اقف في الصندل فسرع اثنان منهم الي النزل وغابا نصف ساعة واتيا بلحم بقر يابس وقليل قمح مقلو ومن عظم خوفهم وضعا الاكل الذي

اتيا به علي ساحل البحر وابتعدا جدا منا فخرجت
انا للوقت واخذته الي الصندل وطفقت اشكرهم
جميعا واستكثر بخيرهم علي حسن معروفهم الذي
فعلوه معنا وبعد مخاطبة قليلة بالرمز توالفوا معنا
واقتربوا منا وبينما نحن نتكلم معهم ونستفهم منهم وهم
يستفهمون منا واذا باسودين عظيمين الخلقة هابطين
من اعلي الجبل وكان واحد منها داركا رفيقه ان
يقتله وهو محتد وتقدما الي السودان الواقفين
قريبا منا واختلطا معهم وبعد ذلك خرجا من
بينهم وهما جاريان واحد ورا الاخر فالمدروك الخايف
انحصر في البحر وبما انه ما بقا له مفر ان يهرب من
امام وجه داركه طرح نفسه في البحر وبدا يسبح
فلحقه عدوه طالبا ان يغرقه فارتفعت عليها الامولج
ونحلت قوتها وما بقت لها جرات ان يفوجا فاقبل
حينيذ المدروك الي الصندل عازما ان يخلص
نفسه فانا اذ رايت ان ياتيني منه مضرة استعديت
ان اقوصه في راسه فقبل ما اباشر بذلك اتت

عليه موجة متعرمة كانها تل وغطسته الي قعر البحر فنهض من حلاوة روحه طالبا ان يخرج الي البر وقبل ان يصل اتت عليه اخري وتعالت عليه فغطس وما بان له اثر وفي الاثنا رايت من بعيد ضبعا كبير الخلقه متوجها نحونا فخرجت اليه وحبيت له وقوصته فلما سمعوا السودان صوت البندقية انذهلوا واخذهم العجب خصوصا لما راوا الضبع ملقيا علي لارض وهو يجعر بصوت مرعوب فاعطيتهم حبلا اواشرت لهم بان يقتربوا منه ويوثقوه من رجليه ويسحبوه الي شاطي البحر ففعلوا كما امرتهم • فتقدمت انا وسلختة فاعجبني جلده ولما راوا السودان اني ما افتكرت عن لحمه طلبوا الجثة مني اما انا فاعطيتها لهم فوقعوا كلهم عليها مدهوشين وطفقوا ياكلونها نية من غير طبخ ولاشوي وبعد جملة دقايق رايت ايضا ضبعا اخرا لكنه هرب وما استطعت ان اقوصه. فلما راوا ذلك السودان انبسطوا منا جدا وانطلقوا واتونا بما عذبة حتي نشرب وايضا جابوا

لنا صحبتهم سعدا وقمحا مقلوا فاكلنا وبهجنا نفوسنا
ثم اننا سافرنا من هناك متكلين علي الله وما نعلم
الي اين نحن سايرون وبعد ما قلعنا احد عشر
يوما كشفنا كاپ دي ڤرد اعني الراس الاخضر
وبما ان المسافة كانت ما بيننا مضوية خفت ليلا
تطلع علينا ريح عاصفة مضاددة لنا فتعيقنا عن
الوصول الي هناك وكان الامر كذلك فتنهدت
وقتيذ وكادت روحي تفارقني من عظم غمي وهمي فما
اري الا وكسار يصرخ الي قايلا التفت الي وراك
وانظر المركب فارتعبت جدا وقلت انا لله وانا اليه



راجعون اننا نخلص من مصيبة فنقع في واحدة

اشر منها لاني ظننت ان مولانا القبطان ارسل
مركبا يبحث عنا وبعد برهة قليلة كشفنا المركب
فوجدناه انه پورتوكيسي . فاجتهدت انا وبديت
اقدف بكل بتعي حتي لحقهم وكان تعبي كله
باطلا لانهم كانوا ناشرين قلوعهم كلها والمركب كان
سايرا كمثل النشاب لاعتدال الريح ونسمها معهم ولا هم
نظرونا حتي يخففوا الشراعات وينتظرونا وللوقت
تذكرت ما فعل ذلك القبطان اذ قوص المدفع
لاجل الاعانة ولما سمعوا البحريون اتوا الينا وخلصونا
من الغريق فاخذت انا ايضا البندقية وحشيتها
جيدا وقوصتها وعطيت بتقويصها غلامة انني منضاق
فلما سمعوا صوت البندقية وقفوا المركب وانتظرونا
وبعد ثلث ساعات وصلت اليهم وقريتهم السلام
فسالوني بلغتهم الپورتوكيسية فما كنت افهم
كلامهم ولا ماذا يقولون فلما راوا انني ما اعرف
اللغة الپورتوكيسية كلموني باللغة الاصپانيولية
والفرنساوية فاشرت اليهم اني ما اعرف ان اتكلم

بهذه اللغات فتقدم بحري من وسطهم والمذكور
كان انگليزي فسالني قايلا من تكون انت ومن
اين موافى فاخبرته اني رجل انگليزي كنت مستعبدا
في البلد الفلانية واخبرتهم بقصتي كلها وكيف
هربت ونجيت نفسي من رق العبودية فحالا اصعدوني
علي مركبهم وقبلوني بكل محبة وقطروا الصندل
بمركبهم وسافرنا جميعا ولم نزل نسير اياما وليالي
حتي وصلنا مدينة برازيل بعد اثنين وعشرين يوما
منذ اني صادفتهم ثم دخلنا مينة دي تودوس لوس
صانطوس اعني مينة جميع الاوليا فشكرت افضال
القبطان الذي صار سبب حيوتي والمذكور ما ارتضي ان
ياخذ مني ادني شي وغير ذلك اعطاني عشرين دينارا
ثمن جلد الضبع وثلاثين دينارا ثمن جلد الاسد
وقال لي ان كنت تريد تبيع الاشيا التي معك
فبعها لي وانا ادفع لك ثمنا جيدا فرضيت وبعت
له كلما كان صحبتنا في الصندل فجمعت في الاخر
فلوسي وكان عددها مايتين وعشرين دينارا. فلما

درت المدينة وتعارفت مع بعض سكانها عجبتني واعتمدت ان اقطن فيها وامتنع عن السفر فاستحسنت رايا واشتريت حقلا قريبا من حقل رجل انكليزي مولود في برازيل وجمعنا الاثنان وعملناهما حقلا واحدا شركة ما بيننا فاستقمنا سنتين نزرع خضارات وما اشبه ذلك وفي السنة الثالثة زرعناه تتنا وقصب السكر فعج التتن وصار كانه زورحتي اننا جمعنا منه كوما معرما وعملناه كله شكوكا وطخخا فانطلقت يوما الي القبطان الذي جابني معه اذاني سمعت انه جاء وقلت له ان لي مبلغ دراهم مع والدي في لندن فاترجاك ان تعمل معي معروفا وتاتني بها لما تجي الي هنا فقال حبذا وانما اكتب مكتوبا لوالدك عن هذا الداعي وانا اتيك بالفلوس فكتبت حينئذ مكتوبا لوالدي واعلمته عن كلما جري لي واني محتاج الي فلوس الخ .

فسافر القبطان الي لندن ومضي الي ابي وسلمه مكتوبي فقراه وفرح بسلامتي والقبطان ايضا اعلمه

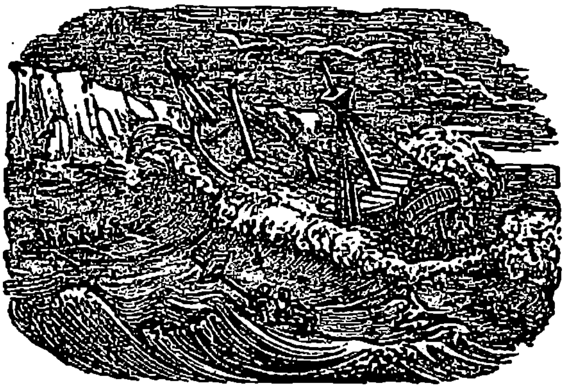
بماجري لي وكيف انه صادفني واتي بي الي برازيل فقام ابي وسلمه الفلوس التي ربحتها مع ذلك القبطان وامراته الارملة وايضا ارسل لي من عنده اشيا وافرة مثل كسوة وما اشبه ذلك ولما سمع اني قد ابتعت حقلا ارسل لي عددا لفلاحة الارض مثل مر وفاس ومنجل الي اخره• ثم اني وسعت عملي في الحقل وكنت اتمتع بالعيشة التي وصفها لي ابي اي ابي لا غني ولا فقير لكنني منتصف الحال. وبعد مدة استطمعت وما كانت ترضيني تلك العيشة فاستقمت ساكنا في برازيل اربع سنين متوالية وبها تعلمت لغة تلك البلاد وصنعة الزراعة وايضا اختلطت مع تجار صاحبين اعتبار• فاتي الي يوما ثلثة منهم وقالوا لي انهم لهم مادة ان يشاوروني بهاسرا• فبعد ما اختليت معهم قالوا لي اننا قد ابتعنا عبيدا ولا نحن قادرون ان نبيعهم هنا فاهتدينا علي راي اي اننا نوسقهم في مركب ونرسلهم الي كينيا فان كنت تريد ان

تسافر معهم بصيغة مباشر عليهم فتكون مشاركا لنا من دون انك تصرف ادني درهم ولكن بمناظرتك فقط فلما سمعت هذا منهم وداولته في عقلي فوجدته مناسبا لي واني اكسب من هذه المادة مبلغا وافرا فاتفقت علي رايهم وقلت لهم اني انطلق فذهبوا ان يشهلوا شغلهم وانا قمت ايضا وهييت نفسي الي السفر. ثم وسقنا العبيد المقول عنهم في المركب وتودعنا من بعضنا وركبت المركب في اول يوم من شهر ايلول سنة الف وستماية وتسع وخمسين مسيحية وتوجهنا ناحية الشمال واستقمنا سايرين اياما وليالي والامواج تلعب بنا ونحن في الغبة بعيدين من الارض جدا وفي يوم من الايام اتينا الي جزيرة فرنندي لوريما وفتناها وسرنا من الناحية الشرقية منها. فلما عدمنا مشاهدتها قامت علينا ريح مرعوبة وزوبعة مخوفة حتى كاد المركب يغوص من عظم الامواج وتلاطمها واستقامت الريح علي تلك الحالة اثني

عشريوما غير هادية والامواج تلعب بنا تارة تصعد بنا الي العلو وتارة تهبط بنا الي العمق ولا كنا نستطيع ان نتوجه حسب مقصودنا ولكن حيث ما تشا الريح تحذفنا ومن ذلك الاضطراب مات منا عبد واحد وايضا طفل وبحري كانا يغسلان ظهر المركب فمالت عليهم موجة ونشلتها وما عاد لها وجود فلما راق الهوا وبطلت الزوبعة راينا اننا قريبون من ناحية كينيا فارتاي القبطان واراد ان يرجع فقاومته انا وقلت له لاتفعل ذلك ولكن الاجدر بك ان تميل الي جزاير بربادوي فحسب ظننا اننا نستطيع علي الدنو من تلك الجزاير باثني عشريوما فهكذا نحن غيرنا راينا وسرنا ناحية الشمال قصدنا ان نصل جزاير ليوارد والاان ريح عاصفة قامت علينا كالاول وسحبتنا وانطلقت بناغصبا الي ناحية الغرب واذ راينا اننا مغتصبون خفنا لىلا نلقي علي احدي جزاير البربر فيهلكونا او يدق المركب بصخرة فيتكسر ونحن نغرق . وفي

ذات يوم صباحا ونحن خايفون وزايطون وكل واحد منايشير مشورة صعد بحري علي الصاري ليستشرف فصرخ باعلي صوته قايلا ارض ارض وقبلما نزل من الصاري دق المركب في صخرة وانفتحت بطنه حالا وامتلا ما واشرف علي الغرق فلمارايت هذا الحال واين انتهت اخرتي وان هذه الساعة هي اخرحيوتي وبها افارق هذا العالم الغرار جثيت علي ركبتي رافعا لحاظي الي السما وانا مكسور القلب والرعبة جعلتني ارتعب وبديت اتضرع اليه تعالي ان يشفق علينا وينظر الي حالي ولا يهلكني معدمماتي وكنت اطلب ان يغفرلي ما ارتكبته من المعاصي ان كان بالفكر امابالقول اوبالفعل ورفقتي ايضا كانوا واقفين علي ظهر المركب مترقبين الموت في كل رمشة ومانعلم اين نحن حاصلون وعلي اي ارض نحن قادمون هل هي جزيرة ام برواسع مسكون ام مقفر فما كان لنا رجا ثابت بالمركب انه يستقيم كذا مهلة طويلة وما يغطس نظرا لملوه بالما فظهرت

لنا تلك المادة كانها عجوبة وفيما نحن منتظرون الموت في كل لحظة اعتمدوا البحريون وحلوا القارب وقدموه الي حرف المركب عازمين اذا غطس المركب فيصعدون عليه ويخلصون نفوسهم من الغريق فبعد دقايق قليلة امتلي العنبر ما وانفلق من وسطه وبدا يغطس اما البحريون فطرحوا نفوسهم في



القارب واخذوني معهم وكنا الذين نجينا ستة انفار فبدينا نتوسل الي الله ان يخلصنا ليلا تاتينا موجة وتحدرنا الي عمق البحر فافتكرنا ايضا ان هذا القارب لايستطيع ان يخلصنا لان موجة صغيرة من تلك الامواج قادرة ان تحدرنا الى العمق

لان البحر كان هايجا جدا والامواج تتلاطم وترتفع كانها
جبال فاردنا ان ننصب شراعا فما كان لنا وان كان
لنا فمانقدر ان لنصبه لانه ما ينفع شيا والمقاديف
ما كانت تساعدنا وفي الاثنا ونحن ملتبكون
الاوموجة عظيمة تعالت فوق روسنا وهبطت علينا
واحدرتنا الي قعر البحر نحن والقارب معا
اما انا فما بقي لي مجال ولا حيلة سوي انني
اصرخ اليه تعالي القادر علي خلاصي ولما كانت
الامواج تغطسني فكنت احبس علي نفسي ليلا
اغطس وذلك كان ايضا من غيرفايدة ولما كنت
في عمق البحر تصورت تصورا مرعوبا لاجل افراح
ملكوت السموات وعذابات جهنم الابدية فانتصبت
هذه كلها امامي بمدة جزوية واناحاصل ما بين
الحيوة والموت فما بقيت اوعي علي حالي ولكن
من حلاوة روحي كنت اخابط واعالج بكل جهدي
وما اعرف اين اناحاصل علي الشاطي اوفي عمق
الابحار وبما اني كنت دايخا ما استطعت ان اري

شيا حتي ولاضوالدنيا ثم اني جاهدت بكل اقتداري
حتي ادنو من البحر وكان علي صعب ان احبس
نفسي مدة طويلة وانا في وسط المياه فذلك كان
ليس من ارادتي بل اغتصاب وما زلت علي هذا
الحال موجة ترفعني وموجة تحطني الي ان قذفني
البحر الي الشاطي وانا مابين للحيوة والموت نظرا
للمياه التي دخلت في بطني والتعب الذي
قاسيته فعند ما دقت رجلي في الارض استعدلت
وركضت علي قدر استطاعتي لكنني ما خلصت
بنفسي لان قبلما ابتعدت من الما ادركتني موجة
كانها جبل فصبت علي وسحبتني ورا واحدرتني
الي العمق فللوقت اناحبست علي نفسي ليلا
اغطس ولما نشلتني الي فوق واخذت نفسه اتت
علي موجة اخري واخذتني سرعة وقذفتني ايضا الي
الشاطي فانا كنت افوج بكل مجالي ليلا ارجع وراء ايضا
وابيد فلما نضبت المياه دقت رجلي فى صخرة
فتكربشت بها بكل استطاعتي حتي نضبت المياه كلها

وعلي هذا المنوال لما كانت تاتي علي الامواج كنت اتكلب بالصخرة ولما تنضب المياه ازحف الي ناحية البر ومع هذا كله ما خلصت من العنا والخطر لان في تلك الاثنا وانا طالب البر ما اري الا وموجة مهولة رجعت علي وسحبتني الي ورا وزجتني في العمق مقدار عشرين او ثلاثين ذراعا الا انها اصعدتني حالا الي فوق وقذفتني ايضا الي الشاطي الي ناحية صخرة عالية فتعنقشت عليها للوقت وتمكنت بها الي ان خسفت وغاصت ثم اتت بعدها موجة اخري الا انها كانت صغيرة فما قدرت ان تسحبني ولا تاثر بي فنضبت حالا وقبلما تاتيني اخري صعدت علي اعلي الصخرة التي كنت مكربشا بها وانا في حال العدم فنهضت قايما وابتعدت من الشاطي وتطلعت يمينا وشمالا فرايت مرجا مخضرا قريبا من الشاطي فانطلقت اليه وتسطحت عليه وانا تعبان لهثان ما لي مروة ان ارفع يدي او انقل رجلي

فلا قلم ولا لسان يستطيع ان يبلغ عن الفرح الذي شملني لما خلصت من الغريق فرفعت يدي وقتيذ وطفقت اعطي الشكر لله علي انعامه الجزيلة التي فعلها معي وكيف انه ردني من العدم الي الوجود من بين ساير ارفاقي الذين كانوا في القارب فقمت وقتيذ بعد ما استرحت قليلا وعصرت ثيابي ولا عندي. ثياب اخري حتي اكتسي بها وصعدت علي مكان عالي وتشرفت يمينا وشمالا حتي اعرف ما هي الارض التي خرجت عليها وماذا ينبغي لي ان افعل فيها بعد فرايتها خرابا ولا فيها من يسكن فللوقت هجست بالجوع والعطش وانا خالي من الاكل والشرب وما عندي خشت حتي اقتل به طيرا او وحشا واكله سوي كان معي شطب قصير (اي دواية) وكيس ملي تتنا ومطوي كبير كناية عن سكينة صغيرة.

فلما مالت الشمس واظلمت علي الدنيا ازددت رعبة خوفا من الوحوش الضارية ليلا تاتي علي ليلا وتفترسني فايست وقتيذ من عيشتي وقلت انا لله وانا

اليه راجعون اني خلصت من البحر فاريد ان اقع
بشي اتعس واهول منه • فحتمت عند ذلك في
رايي وقلت اني عديم للحيوة ومالي خلاص من الموت
ولامفكةمنه ابدا فسرت حينيذ وانا اتكبم لعدم النور
طالباماء حتي اشرب فاخذت قليلامن التتن الذي
معي وجعلته في فمي كما تفعل البرابرة اذ
يستعملون للخشنة حتي لا اشعر بالجوع فاتيت الي
شجرة شامخة قد عكفت اغصانها وانها مستديرة
كانها قلعة فصعدت عليها وقلت اني اريد ابات
عليها هذه الليلة وغدا يفرجها علي الله فرقدت
ونسيت العطش الذي ضامني والجوع الذي خورني
فغطست في لجة النوم ومن تعبي ما انتبهت الي
طلوع النهار • فلما اشرقت الشمس صعدت علي
اعلي شجرة وكانت الريح قد كلت وهمدت فرايت ان
الامواج قد قذفت المركب علي الصخرة التي طرحتني
عليها الامواج اول مرة بعيدا من الشاطي قليلا
فنزلت حالا من اعلي الشجرة وتوجهت الي الشاطي

فرايت ايضا القارب مطروحا علي شاطي البحر
بعيدا مني مقدار ميل واحد فاعتمدت وقتيذ ان
اسبح وامضي الى المركب لعلي اجد فيه شيا ميوكل
فلما انتصف النهار وبطلت الريح هبوبها والبحر
همد هيجانه خلعت ثيابي وسبحت متوجها الي
المركب متقصدا ان اصعد عليه فلما دنوت منه
ماوجدت له منهاج ولا طريقة حتي اصعد عليه
فدرت حينيذ حواليه ملتمسا حبلا حتي اتعنقش
به وكان الامر كذلك لاني وجدت حبلا متدليا واصلا
الي الما فمسكته وصعدت به الي فوق المركب
فرايت الكلب الذي كان معنا بعده حيا وبدي
ينعوص كانه يشكي لي من شدة جوعه فتاملت
وقتيذ بالمركب فرايته خاليا من انس وعنبره
مملوا بالما مع الطارمة والكرار فجانبه الواحد كان
مرتفعا وعديم الما والاشيا الموضوعة فيه كانت
يابسة ولما كنت مدورا فيه وجدت ماونة وافرة
موضوعة داخل صناديق مقفولا عليها ولضبط

شغلها وحسن خشبها تعالي الما عليها وما دخل فيها
لاني لما فتحتها وجدت الاشيا التي فيها يابسة والمياه
ما مستها ابدا. فاردت ان انقل كل ذلك الي البر
الا اني ما استطعت ولا كانت لي فرصة ايضا ان افعل
ذلك سوي اني اهتميت ان اخذ كلما هو ضروري
ولازم لعيشتي ففتحت وقتيذ صندوقا اخر فوجدت
فيه مربعات مملوة روم اي عرق السكر ففتحت
قزازة وشربت منها قليلا وشرحت نفسي فلما افتكرت
رايت ما ناقصنى شي سوي قارب حتي انقل
فيه كلما استطيع عليه واذهب به الي البر فقلت
في عقلي ماذا افعل حتي اخرج هذه الاشيا الي البر
فجا في بالي ان اعمل طوفا فاستحسنت ذلك الراي
واهتميت وقتيذ وبديت الم الاخشاب الموجودة في
المركب والقيها في البحر مع روس صواري كانت مربوطة
علي ظهر المركب واردت ان انزل ايضا ثلثة
براطيم غليظة جدا واربطهم واصيرهم طوفا. فجيت
اولا ووضعت برطوما في الوسط والاخرين كل

واحد منها في ناحية وتقدمت الي الاخشاب وبديت اشبكها علي تلك البراطيم واربطها ربطا وثيقا في حبال المركب وصيرت من تلك الاخشاب طوفا عظيما ولما انتهيت من عملي طلعت علي الطوف فوجدته بغوص في الماء ولا له قدرة ان يحمل ادني شي ثم اني صعدت مرة ثانية علي المركب وقطعت روس الصواري المنصوبة وكسرت ايضا اخشاب من المركب واضفتها كلها علي الطوف مع تعب وعنا لا يوصف ثم خلعت الواحا ايضا من المركب ورصفتها علي وجهه وبعد ما ربطت الاخشاب كلها ووثقتها مع بعضها صعدت عليه لاجرب هل يحمل الان شيا فوجدته انه يحمل كلما احتاج اليه فصعدت وقتيذ علي المركب واخذت ثلث صناديق من صناديق البحريين ومليتها ارزا وخبزا مقرقشا وجبنا ودليتها ووضعتها علي الطوف واخذت ايضا خمس شقق لحم معزي مقدد ومليت صندوقا اخر من الشعير الذي كان هناك

وبينما انا افتش عثرت بصندوق فيه قزايز مملوة عنبري من كل صنف عنبري الورد والقداح والقرفة وما اشبه ذلك وايضا وجدت دمنجانات (اي قرابات) مملوة ايضا عرق الزبيب مكررا٠ وكل هذا الاشيا نزلتها ووضعتها علي الطوف وفي تلك الساعة بدا المد يسفح فوجدت ايضا لبسا كافيا لي فاخذت علي قدر استطاعتي. ولطمعي صعدت ايضا علي المركب لان عيني كانتا علي عدد النجارة حتي اشتغل بها واقضي زماني وافعل مرامي وفيما انا ابحث وجدت حسب غايتي عدة النجارة بكمالها لم ينقص منها شي فجمعتها ونزلتها كلها ووضعتها علي الطوف فالتفت وقتيذ الي الاسلحة وبديت ابحث عنها ثم نزلت في الطارمة الكبيرة فوجدت بندقيتين زرزوريتين وطبنجتين وتنكات مملوة من البارود الريحاني عديم الوصف وجرابا مملوا خردقا وسيفين قد اكلها الصدا. وايضا وجدت ثلث تنكات اخرة مملوة بارودا اثنتان منها بارودهما



روبنصن كروزي علي الطوف

جيدا والثالثة قد دخلها الما وانتقع بارودها وهذه كلها نزلتها ووضعتها علي الطوف وايضا نزلت صحبتي ثلث مقاديف ومنشارين وفاساً ومزربة (اي مطرقة) فوظبت كل شي في مكانه علي الطوف وتوجهت الي البر والكلب معي فالذي جعلني ان اصل الي البر بهذا الثقل هو هذا اولا البحر كان هاديا ثانيا المد كان سافحا ناحية البر ثالثا الريح كانت معي فبعد ما سرت ميلا واحدا لحظت ان الطوف ابتعد من المكان الذي صعدت اليه وقتما خلصت من الغريق ورايت ان المياه قد طفحت علي الارض وملت واديا كان هناك وجعلته كخليج صغير اماانا فاستعديت للوقت وحكمت الطوف ان يدخل في ذلك الخليج لان مرامي كان اني اقدمه الي الشاطي حتي اخرج منه الامتعة بسهولة الا انه اخيرا دق بالارض وشهل علي القاع وانا مبتعد من الارض وبعد قليل وانا محتار بامري كيف اني اعمل تعالت المياه ونهضته وطاف مرة ثانية ثم اني اتيت

به الي الشاطي حسب مرامي وكان هناك كهف داخل اكام فانشرحت وقتيذ لوجودي المحل ان اضع فيه ماونتي وامتعتي لاسيما لقربه من الاكام حتي اني اصعد عليه واكتشف علي الجزيرة كلها. فصعدت وقتيذ علي الاكام لاخم الارض ان كان فيها ساكن ام لا فرايت من بعيد جبلا عاليا وحوليه تلولا صغيرة فاعتمدت ساعتيذ ان انطلق الي هناك واصعد عليه واتشرف علي الارض كلها واخمها جيدا فهبطت وقتيذ ودخلت الكهف واخذت طبنجتين وجعلتها في حزامي وحملت البندقية علي عاتقي بعدما تحوجت بارودا ورصاصا وخردقا عساني اعثر بصيد• ثم اني انطلقت وصعدت علي الجبل وتفرست يمينا وشمالا فرايت انني ساكن في جزيرة محتاط بها البحر من كل جانب فتطلعت الي الناحية الغربية منها فرايتها كلها محجرة والجزيرة كلها استبانت لي عقيمة ومحلة ولا فيها من يسكن الا انها مشحونة بالوحوش والطيور

وكانت غريبة مني معرفتها لاني ما كنت اعرف اجناسها واي نوع منها يصلح للاكل ولما كنت راجعا اصطدت واحدا وكان كبره وريشه يشابه الصقر

ثم اتيت الي الطوف واخرجت منه الاشيا التي اتيت بها من المركب ورصيتها كلها داخل الكهف بالترتيب وقضيت ذلك النهار كله فى النقل والحط فلما مالت الشمس وانا مللت من التعب اردت ان انضجع واريح نفسي فخفت ليلا ياتي وحش علي ليلا ويفترسني وانا في لجة الكري فاستعديت وقتيذ وعملت كل همتي ونقلت اخشاب الطوف واصعدتها الي البر واتيت بالالواح وشبكتهامع بعضها وعملتها دايرة واخذت الصناديق وسندت الالواح بها واتيت بباقي الاخشاب والالواح وطبقتها عليها وعملت عشة عظيمة فنمت تلك الليلة نومة هنية مستريحا من اتعابي مطمانا علي نفسي فلما لاح النهار واشرقت الشمس وانا نسيت التعب الذي قاسيته نهارامس خطر في بالي ان انطلق

مرة اخري الي المركب واتي بما تناله يدي واقدر علي حمله قبل ان تقوم زوبعة ويكبر البحر ويتكسر المركب وافلس من الاشيا التى فيه. فنهضت وقتيذ واتكلت على الله ونزلت في البحر وعمت حتي وصلت الي المركب فصعدت عليه وبديت اجمع الاخشاب منها اكسراء ومنها خلعاء حسبما يمكنني ووثرت ان اربط طوفا يكون اكبر من الاول واقوي منه حتي انقل عليه الاشيا التي بها غرضي وانها تكون تحرز فنزلت الاخشاب التي خلعتها وربطتها مع بعضها كما فعلت بالطوف الاول فنزلت اولا عدد النجارة وثلثة جربان مملوة مسامير من كل جنس وجرابا مملوا من المسامير القبقابية وعشرين بلطة وطاحونة للقهوة وهاونا للدق وجرابين مملوين من الرصاص المصبوب لاجل البندقية وبندقية اخري صشمية وبرميلا بارودا وجراباكبيراء مملوا خردقا لصيد الطيور وماعدا ذلك نزلت ايضا لبس البحريين كله والشراعات وجمعت للجنة وجواجيم ومخاديد

ومطارح شتي والنتيجة اني ما تركت شيا من الفرش وايضا نزلت جملة صناديق مملوة ماونة فرصيت ذلك علي الطوف واستقبلت الي البر عاجلا خوفا ليلا ياتي وحش من الوحوش في غيابي ويفسد ما قد جمعته وذخرته هناك فتسلمت وقتيد البر وقدمت بسلام وبديت بخروج الاثاث والماونة ورصيتها فوق التي اتيت بها نهار امس فلما دخلت الكهف رايت قطة رابضة علي احد الصناديق فمددت اليها البندقية لاري انها تخاف فما فز قلبها ولا تكلكلت من مكانها ففتحت صندوقا واخذت كعكة ورميتها لها فتناولتها وبدت تاكلها فلما انتهيت من عملي اخذت بعض من الشراعات ووصلتها مع بعض ونحت اوتادا وربطت بها الاطناب ونصبت خيمة عظيمة ثم اني اتيت بصناديق فارغة وصفيتها حول الخيمة من داخل وعلقت اسلحتي علي العمد وفرشت فرشتي في وسطها ونمت تلك الليلة متهنيا ومطمانا علي نفسي

فلما اشرقت الشمس نهضت من فرشتي ورمت الانطلاق الي المركب واتي بما تناله يدي فكسرت ريقي وقتيذ بلقمة خبز وذهبت الى المركب كعادتي وبديت بتخليع الاخشاب وتكسيرها ثم نزلتها علي البحر وربطتها مع بعضها وعملت طوفا عظيما كالأول والثاني واتيت الي قلوس المراكب فقطعتها ونزلت معها زناجير المراسي ونزلت ايضا براميل مملوة سكرا ودقيقاوبارودا وايضا جملة صناديق فيها قزايز مملوة من كل اصناف المكيفات فنظامت ماجمعته جيدا علي الطوف وقصدت البر ومن اجل ثقل الحمل ما صدقت اني استطيع ان اخلص بالطوف سالما الي البر وفيما انا متفكر ومشكك تعالت الامواج علي وكانت تلط الطوف حتي انه اشرف علي التفليش وغرق مني بعض من الامتعة فلما رايت انا ذلك كنت اقوي نفسى واشجعها واقدف بكل بتعي حتي وصلت الي البر بعد ما كلت قوتي واشرفت علي العدم . فلما استرحت قليلا قمت

ونقلت غنيمتي الي الكهف وسحلت اخشاب الطوف علي البر . فاستقمت علي الجزيرة المقفرة ثلاثين يوما تسعة عشر يوما انظم حالي في الكهف والخيمة واخم الارض واصطاد من الطيور واقوت نفسي واحد عسر يوما اشتغل علي ظهر المركب وانقل كلما عثرت به وقدرت علي حمله والاتيان به . فلما انطلقت في المرة الثانية عشر بدت الريح تقوى وكانت تهب من ناحية البر فصعدت علي المركب ودخلت الطارمة وبديت افتش لعلي اجد اشيا اخرة نافعة لي ففتحت خزانة فوجدت فيها صندوقا مملوا من امواز للحلاقة ومقاصيص للخياطة وغيرها وسكاكين من كل جنس وكيسا مملوا من المعاملة ذهبا وفضة فاخذت كيس الفلوس ورميته في الصندوق وجمعت فوق ذلك اشيا اخرة ونويت علي ان اعمل طوفا اخرا باستعجال ولا اتباطي ليلا بكبر البحر وافلس من الكل فلما نزلت اول خشبة رايت ان الريح قد قويت وهبت من البر والجو تجلل

بالسحاب واظلم فافتكرت للوقت ان يدي ماتلحق
علي عمل الطوف ولا اقدر ان انجي به الي البر ويحتمل
اني اعدم نفسي فالاجدر بي اني اترك كل ماجمعته
واخلص بنفسي فقط فطبيت وقتهن في البحر
وبديت افوج واموج وبالجهد اني وصلت الى البر
وبعدما صعدت من البحر بدقايق قليلة قويت
الريح واشتدت جدا والبحر كبر وتلاطمت الامواج
وتعالت وصارت كانها جبال عالية. ثم اني نمت تلك
الليلة قانعا بما اقسمه لي تعالي واني حاصل علي
كلما تحوجني اليه الضرورة من الاكل والكسوة فلما الاح
النهار واشرقت الشمس نهضت قايما واستشرفت
علي المركب ان كان باقيا ام لا فما وجدت له
اثرلان الامواج تعالت عليه واحدرته الي عمق البحر
فقطعت وقتيذ رجايي منه واستقبلت ان اوضب
امتعتي وانظم حالي فاعتهدت ان احصن لي مكانا
واحتوي فيه خوفا ليلا ياتي وحش علي وانا راقد
فيفترسني لاني افتكرت وقلت لابد من وحوش

ضارية تسكن هذه الجزيرة• فالارض التي نقلت الحوايج فيها كانت مالحة ومصبخة وعديمة الما العذبة ولا تنفع الي الزراعة فعزمت ان ابحث عن عقار يكون مخصبا جيدا وفيه ما حتي اباشر فيه الزراعة القوتي فوجدت عقارا حسب غايتي وقريبا منه جبل عالي ففرحت به جدا من اجل اني اصعد عليه واستشرف علي البحر ومن هناك اقدر اري اذا كان مركب سايرا في هذه النواحي فاعمل اشارة له. وفي ناحية هذا الجبل كانت شقيفة واسعة وبابها مستحكم ناحية المرج فاتيت بخيمتي ونصبتها قبال باب الشقيفة وعرض المرج كان نحو ماية ذراع وطوله مايتين وقدام باب الشقيفة كانت الارض معشوشبة. والبقعة كلها كانت زهية تحيي القلوب فنويت ان احوط بهذه البقعة سورا مستديرا خوفا ليلا ياتي وحش ويدوسني وانا راقد فقمت وقطعت اوتادا غليظة عالية ونحت روسها واتيت بها وشكختها حوالي البقعة وجعلت

المسافة بين الوتد والوتد مقدار ست خطوات واتيت بالقلوس التي اتيت بها من المركب فربطتها في الاوتاد باستدارة وعملت الاحبال والاوتاد كلها كمثل الزرب الذي يستعملونه العرب حول خيمهم وكان علوه ذراعين ونصف فلما انتهيت من بنا السور وحصنت محلي جيدا بديت بنقل حوايجي واثاثي ورصيتها كلها في الشقيفة داخل السور وبعد ذلك بديت اوسع الشقيفة وانظمها والتراب والحجارة التي اخرجت منها عليت الارض بها وسطحتها جيدا • فذات يوم من الايام وانا ماشبك في شغلي حدث برق ورعد مخوف ومطر هاطل يعمي الابصار فخفت علي البارود ليلا يوج من البرق وليس انى اعدمه فقط ولكنه ينشر ذخيرتي كلها وربما يقتلني ايضا • فبديت افرقه في صناديق واكياس وادفنه داخل الشقيفة وكان كله نحو قنطار ولصف • فكنت كل يوم اخذ بندقيتي واذهب اصطاد كلما هو يصلح للاكل واتي الي منزلي

محملا واصنع لي ماكولات مفتخرة من صيدي واسر نفسي• فذات يوم من الايام وانا قانص كعادتي رايت قطيعا صغيرا من المعزي فركضت وراهم اماهم فهربوا مني لانهم كانوا مستوحشين فسعيت وراهم بين الصخور والوديان حاسبا لهم لعلي اقدر ارمي منهم جديا فاتيت ورا صخرة ورايت من وراها معزة ترضع جديا فقعدت الزناد وقوصتها فوقعت حالا علي الارض وهي تخبض بيديها ورجليها فلما تقدمت عليها وحملتها علي عاتقي وسرت بها لحقني الجدي الذي كانت ترضعه وما فلك تابعا لي الي ان دخلت منزلي وهو ايضا داخل ورايي فقبضته حيا وربطته ولما قدمت له حشيشا ورايته مايقدر ياكل خفت ليلا يموت واعدمه فقمت ذبحته وسلخته وملحته•

فمن هذه الانعامات كلها ما اقتنعت لكنني تكرهت من عيشتي وتمرمرت جدا من وحدانيتي. واوقات متواترة كانت الدموع تهطل علي

وجنتي كانها سيول عند ما اتذكر احبابي وخلاني واقاربي واري ذاتي مفترقا عنهم جالسا في هذه الجزيرة المقفرة ولا اري واحدا يانسني وهذه الافكار ومثلها كانت تجعلني اتدمر علي تدبيره تعالي والوم قضاه وافعاله العظيمة واحيانا كنت افتكر افكارا صالحة واوبخ نفسي علي عدم شكرها والومها هكذا قايلا الويل لك يا نفسي الشقية حقيقة انك عديمة الشكر وناسية انعامه تعالي الكلية المقدار اليس ان سكنتك هاهنا متوحدة افضل من انك كنت تغرقين في البحر بجملة الذين غرقوا وما نجي منهم ولا واحد ولماذا اذا تدمرمين وتشكين من عيشتك وتتكرهين من حيوتك لانك ما خلصت من الموت فقط ولكن المركب بجملته دفع اليك حتي تاخذين منه كلما تحوجك اليه الضرورة لاجل المعيشة • فلما انا نجيت من الغرق وطلعت الي البر كنت متفكرا في اي يوم انا ومن ذلك اليوم كنت ملازم للحساب خوفا ليلا اتيه من

حساب السنة ولاجل نقصاني للحبر والورق والاقلام اخذت خشبة طويلة وبديت اخط بها كل يوم خطا وكان اول حسابي اليوم الثلاثون من شهر ايلول سنة الف وستماية وتسع وخمسون مسيحية فكنت كل يوم اقوم صباحا واخط فيها علاما قبل ان ابدي بعملي ونهار الاحد كنت اميزه واعمله اطول من الخطوط الستة نظرا الوفق للحساب ولما ينتهي الشهر ابدي بحساب جديد وعلي هذا النحو عملت حسابي شهريا وسنويا• فلما كنت ذات يوم افتش في الصناديق التي اغتنمتها من المركب وجدت فيها اشيا كثيرة النفع لاسيما اني وجدت حبرا وورقا وربطات اقلام وافرة وايضا وجدت بركلين (اي بيكارين) وعددا تخص علم الهندسة وقبلكات ودرابين (اي نظارات) وكتاب علم سفر البحر وثلاثة كتب مقدسة وكتب روحية عديدة• ولو اني امتلكت كل ما انا مفتقر اليه واني تحوجت جيدا فلم ازل اري نفسي ناقص اشيا عديدة• فحبري

الذي كان يسليني واني اكذب منه كل ما يصادفني بدي يتناقص يوما بعد يوم وكنت ايضا محتاجا الي ابر وكشتبانة وخيطان حتي ارقع ثيابي • واني كنت محتاجا جدا الي مر وفاس ومجرفة حتي اعزق الارض وافلحها • فبعد ما فرغت من عملي المنزل واسترحت منه وانا كل يوم اجول في وسط الجزيرة متقصدا ان اصطاد من كلما اراه ويعجبني خطرت علي بالي بلادي ورايت حالي كمديون ومجروم ومحبوس في هذه الجزيرة وكنت اتامل في عيشتي تارة اري ذاتي حاصل في شقاوة وبلية وتارة في سعادة ورفاهية فافكاري كانت متقلبة علي هذا المنوال

الافكار المكربة	الافكار المفرحة
اني لقيت علي جزيرة مقفرة ولاعندي من يسليني حقيقة انني بايس ومنكوس الحظ لاني قطعت من صحبة بني البشر	فاحمد الله الذي نجاني من وسط راكبين المركب جميعهم فالذي اصعدني الي البر ورجع الي حيوتي هوقادر ان يريني وجه بني البشر ايضا

انني صرت كناسك متوحد وابتعدت من المخاطبة مع بني البشر * وبعد ايام قليلة ستهتري ثيابي وابقي عرايانا كمثل البهايم	انني حاصل علي ذخيرة وافرة وانا مالك زماني متهني بعيشتي * فالان البس هذه الثياب التي حصلتها واكتسي بها واذا اهترت فانا مغتني عنها لان الجزيرة حامية كمثل بلاد العبيد
فجبخانتي مزمعة ان تفرغ مثل البارود والرصاص فباي شي استط ان احصن نفسي واخلص من الوحوش الضارية	فانا اتبصر واتلمح يمينا وشمالا فما اري فزعا ولا خوفا بالكلية لا من وحوش ولا من بني البشر كما هو حاصل في افريقية والجزيرة خالية من كل نوع من الذي اعددته فمن من اخف اذا

فوظبت نفسي وبديت ان اكتب كلما فعلته وحل بي يوميا من يوم صعودي الي هذه الجزيرة حتي ارتحالي منها

جرنال روبنصن كروزي

في سنة الف وستماية وتسع وخمسين مسيحية في اليوم الثلاثين من شهر ايلول قدفتني الامواج الي البر فخرجت علي الجزيرة طفرانا ورفقتي كلهم غرقوا وبلعهم البحر وما بان لهم وجود

فى اليوم الاول من شهر تشرين الاول انشرح صدري قليلا وانبسطت لما عاينت المركب شاهلا علي صخرة قريبا من البر

فمن اليوم الاول من تشرين الاول الي اربعة عشر يوما فيه كنت مشتغلا بعمل الاطواف ونقلت الاشيا التي نالتها يدي وفي طول تلك المدة كان الهوا مسقعا باردا والارض دايما مبلولة من الندا الساقط

في اليوم الخامس والعشرين منه هبت رياح عاصفة وهاج البحر والامواج تعالت كانها جبال وضربت المركب وكسرته اربا اربا حتي ان الوسق الذي فضل فيه عدم كله وما بان منه شي سوي الواح من خشب المركب وفى هذا النهار وظبت الاشيا التي اتيت بها ورصيتها في الكهف الذي وفقه لي تعالي

في اليوم السادس والعشرين منه جلت الجزيرة باحثا علي مكان جيد حتي احل فيه فاتيت الي

مكان حسب غايتي وقت غروب الشمس وهندسته في اليوم الثالث من شهر تشرين الاخر اصطدت ثلاثة طيور يشبهون الوز ولحمهم نغم يفوق لحم الدجاج وبعد نصف النهار هييت لي مايدة حتي اكل عليها

في اليوم الرابع منه عملت لى نظاما وترتيبا جيدا حتي اسلك فيه وذلك اني اقوم صباحا واخذ بندقيتي وادور في الجزيرة مقدار ثلث ساعات واصطاد من كلما اراه ويعجبني وبعد ذلك ارجع والازم شغلي الي الساعة الحادية عشرة اي الي قبل نصف النهار بساعة واحدة• وفي الساعة الحادية عشر اترك عملي واولع النار وابدي اطبخ ما تشتهيه نفسي وبعد ما اتعدا وانبسط انضجع وانام مقدار ساعتين واقوم بعد ذلك واغسل وجهي وارجع الي شغلي

في اليوم الخامس منه اخذت بندقيتي وانطلقت لاصطاد فعثرت بقطة برية فقوصتها فما انتفعت من لحمها شيا ابدا سوي انني كسبت جلدها

فكان ناعما كجلد القاقوم فواظبت علي الصيد منهم وجمعت جلودهم واخيرا عملت منهم كركا فلما رجعت في ذلك اليوم رايت طيورا برية واهية كثيرة الاجناس فاصطدت منها قدر احتياجي ورجعت الي منزلي محملا٠

في اليوم السابع عشر منه ابتديت ان احفر داخل الشقيفة قصدي ان اوسعها لكني اخيرا التزمت ان اترك هذا العمل نظرا لنقصاني العدد مثل المخل والمعول والزنابيل

في اليوم التاسع عشر منه وجدت شجرة شاهقة وقد عككفت اغصانها وجللت الارض فاهل برازيل يدعونها شجرة الحديد نظرا لصلابة خشبها لانه يفوق خشب الشمشار اي البقص والسنديان اي البلوط فاردت ان اقطعها فخفت علي فاسي ليلا يتثلم ويتطبق حده فلاجل عازتي اليها التزمت ان اتهاون بعد ذي واقطعها فبديت اضرب بها فاسا حتي كلت منها قوتي وبالجهد اني قطعتها ولقيتها علي الارض

في اليوم الثالث والعشرين منه التزمت ان ارجع الي رايي الاول واكبر الشقيفة نظرا لعازتي اياها ليس فقط ان اوضع كل ماونتي فيها لكنني ابني داخلها كرارا ومطبخا واوضة للرقاد واستقمت اعافر فيها واحفر نحو ثمانية عشر يوما • وكنت دايما ابات في الخيمة ماعدا الايام التي تقع فيها امطار فكنت ادخل وابات في الكهف

في اليوم العاشر من شهر كانون الاول جلست خارج الشقيفة مسرورا لكوني فرغت من شغلها وظبت حاجتي فيها ولما كنت متاملا ماذا اعمل حتي الهي نفسي سمعت طقطقت وخفقة عظيمة ظننت ان الجبل قد تشقق فدخلت وقتيذ الشقيفة فرايت ان السقف قد هبط وامتلت الشقيفة حجارة وترابا فحمدته تعالي اذ اني كنت خارجا فلو كنت داخلا لقتلت وردمت بالتراب ولا بان لي اثر ولا ذكر فباشرت وقتيذ بنقل التراب والحجارة منها وسطحتها خارجا داخل الحصن الذي عملته

في اليوم العشرين منه نظفت المغارة جيدا ووظبت كل شي في مكانه وبديت ان اعمل لي مايدة عوض التي تكسرت بخسف سقف الشقيفة

في اليوم السابع والعشرين منه طردت ورا معزي وجديين في الجبل فقبضت منهم ثلاثة واتيت بهم الي منزلي وربطتهم من اياديهم وكنت احط لهم الاكل قصدي ان يوالفوا علي واخيرا حليت الحبل من اياديهم وسبتهم فما هربوا لما راوا نفوسهم سايبين لكنهم استقاموا في مكانهم غير فازعين مني واين ما ذهبت كانوا يلحقوني ويربعون ورايي • فافتكرت اني اصعد الي الجبل واقبض منهم احياء واتي بهم واعلفهم واجعلهم ان يوالفوا علي نظير هولاء حتي اذا نفدت ماونتي اذبح منهم واعول نفسي بلحمهم.

من اليوم الثالث من شهر كانون الثاني الي اربعة عشر يوما منه كنت مشتغلا في كمال بنا السور حول منزلي فنجزته وانطلقت اجول في

الجزيرة قصدي ان افهمها جيدا فبينما انا ساير
رايت زغاليل حمام صغار بين الصخور فاخذتهم
واتيت بهم الي منزلي فكنت ازقهم كل يوم ثلث
مرات ولما كبروا وطلعت اجنحتهم خلفوني وطاروا
وما رايتهم بعد ذلك • فذات يوم اصطدت بعضا
من جنسهم فذبحتهم وطبختهم فكان لحمهم لذيذا
جدا لا باس فيه • فافتكرت يوما ان اعمل لي
برميلا لقضي حاجتي وعمدت ان اعمل واحدا
فخابطت مدة طويلة فما كان يطلع من يديه ان
اضبط صنعته لاني بمقدار ما كنت اجتهد واعدل الواحدة
فكانت تهوي ولاتلتحم ببعضها نظرا لغشمي بصنعة
النجارة ولما كنت اركبه ظاننا اني حكمت صنعته
فاجربه واملية ماء فكان يخر من كل جانب فتركته
بعد ذلك واستقبلت ان اصب لي شماعا لانه مضي
زمان طويل وانا ارقد في الظلمة من غير ضو • فاخذت
الشحم الذي جمعته من لحم المعزي وكانت
عندي خيوط فاخذت منها وفتلت فتايل وصبيت

لي شماعا كثيرة وكل ليلة كنت اشعل واحدة وارقد في الضو

فلما كنت اتخبش بحوايجي رايت جرابا فيه ترابا وتوالي شعير فنفضته خارج الشقيفة مرادي ان امليه بارودا• وقبل ذلك بثلاثة ايام وقع مطر وافر والارض رانت من كثرة المياه وتلك الشعيرات انغرزت من غير علمي • وبعد شهرزمان رايت في ذلك المكان جملة قصلات شعير نابتة فتعجبت واخذني الاندهاش لاني نسيت اني نكثت الجراب خارجا وبعد ما بلغت حملت اثنتي عشرة سنبلة فحفظتها حتي اعمل منها تقاوة• ودايما كنت اتفحص من اين اتي هذا الزرع هل كانت مسكونة هذه الجزيرة قبلا اما اتوها اناس وحلوا فيها• فمن هنا افتكرت ان حيوة الانسان ليست شيا اخر سوي كمثل الاعمي الذي ياكل نصيبه• وكنت اتامل بزيادة عن هذه الشعيرات كيف نبتت من ذاتها في ارض بوار فمن عظم جهلي اذ

انتكرت من هو الذي زرعها فاثبت وقتيذ ان المعجزات لم تزل موجودة علي الارض فقلت ربما ان الله امر بنبتها من غير تقاوة لمنفعتي حتي اقتات منها في هذه الجزيرة المقفرة • حقيقة ان هذا الامر اثر بي جدا وجعلني اهطل دموعا منسجمة لتفكري بعظم رحمته تعالي نحوي وكان فمي لم يمل من تسبحته تعالى علي انعامه المسكوبة علي ولست اني وجدت هذه السنابل فقط لكني وجدت ايضا قريبا منها قصلات ارز نابتة فعظم اندهاشي من ذلك جدا فحتمت في رايي انه لابد ان ارزا وشعيرا مزروعا فى هذه الجزيرة ولذلك اجتهدت وبديت ادور الجبال واتبصر في الصخور قصدي ان اري سنبلة واحدة فقط فمارايت ولا واحدة وفيما انا متفكر بهذا الامر خطر في بالي الجراب الذي نكشته وكان فيه بواقي شعير وارز وللوقت همد فكري وعرفت حقايق هذا الزرع واصله• وفي غاية شهر حزيران قشقش الزرع فاتيت وحصدت الشعير

والارز ودقيتها وذريتها وحفظت الغلة حتي ازرعها ثاني سنة فاستقمت علي هذا المعدل ازرع واحصد اربع سنين وما كنت اذوق منها ولا حبة واحدة قصدي ان تكثر التقاوة وازرع زرعا وافرا • ففي غاية شهر نيسان كملت بنا السور داير منزلي وسديت الباب خوفا ليلا ياتي احد علي او وحش فيفترسني لاني كنت فزعانا جدا فقمت وعملت لي سلما حتي اصعد عليه وادخل منزلي. فنجزته في اليوم السادس عشر من شهر نيسان ثم اني نصبته علي السور ولما كنت اصعد الي فوق حالا ارفعه الي فوق ولما اريد النزول كنت ادليه الي تحت وانزل عليه حتي لا احد يستطيع ياتي الي ويدخل منزلي من غير سلم • فاعمال البشر كلها باطلة اذ لم يكملها الله فمن هو الذي يستطيع علي الوقوف لما يبسط يده تعالي ولعمري ولا واحد لاني ذات يوم وانا داخل باب الشقيفة حدثت زلزلة مخوفة فهجست ان الجزيرة ارتجفت رجفة قوية والجبال

صرصرت وتزعزعت ففزعت انا وركضت الي السور
وصعدت عليه لاني ماكنت عارفا ماذا حدث ولما
صنت قليلا عرفت ان هذه الخضة هي من الزلزلة
ولما كنت واقفا علي السور ارتعدت بي الارض ثلث
مرات متداولة ° وفي تلك الاثنا انفصلت صخرة
من الجبل وتدحرجت وسقطت في البحر ففزعت
جدا وكنت مترقبا للموت في كل لحظة وكنت
اظن ان الجزيرة لابد انها تغوص في البحر من عظم
الرجفة التي حصلت والذي جعلني ارتعب اكثر
من ذلك هو هيجان البحر لان امواجه كانت تتلاطم
وتتعالي كانها جبال خلاف العادة فقلت انا لله
وانا اليه راجعون اني اخلص من مصيبة فاقع في
مصيبة اتعس واشد منها باسا ° فاستقامت الزوبعة
ثلث ساعات والارض لم تزل تختض وترتجف ومن
عظم الريح تقرمت اشجار شامخة من اصولها وبعد
ما كف الريح اتبعه مطر زخاخ حتي فاضت الارض
وجرت السيول كانها انهر فانطلقت انا حالا الي خيمتي

لاري للحال فوجدت فيها الماء مخاضة فرميت نفسي وقتيذ في الشقيفة وبدلت ثيابي اذا نها نصولت من كثرة مياه المطر • فالتفت الي منزلي فرايت ان المياه قد انحصرت فيه وصارت كانها غدير ومن خوفي علي السور ليلا يتهور عمدت وقمت ان احفر وناه اي قناحول السور من داخل وافتح له طريقاه واجعله ينضب الي البحر ففعلت ذلك وكان الامر كما اردت • فاستقام المطر هاطلا طول الليلة التابعة حتي الي الضحي العالي فارتايت حينئذ وقلت لما يمتنع المطر اباشر ببنا اوضة صغيرة في مكان رحب واحوط بها سورا ثابتا لان سكنتي هاهنا مخطرة لان اذا حصلت زلزلة مرة اخري فالجبل يهبط علي الشقيفة ويردمها وربما يقهرني انا ايضا

في اليوم الثاني من شهرنيسان ابتديت ان ابني الاوضة التي قلت عنها انفا الا اني اخيرا امتنعت عنها لاجل ان المجارف والمعاول والقداديم

تطوي حدها نظرا لقطع الخشب وحفر الشقيفة•
فاستقبلت علي عمل اخر اي اني انقر جاروشة
(اي رحي) حتى اطحن بها غلتي فاستقمت اعافر فيها
سبة كاملة واما تعبي فما كان بنقر حجارتها ولكن
يرد الفاس وتركيبه ° فافتكرت يوميذ عن ماونتي
وقلت ربما تخلص قبل ان اسعي لي بقوت فعملت
لي ترتيبا اني في كل يوم اكل كعكة خبز فقط لاغير
في اليوم الاول من شهرايار كانت الدنيا رايقة
والشمس شارقة والريح خامدت فانطلقت الي ساحل
البحر لاتنزه وبينما انا متبهنس رايت برميلا مملوا
بارودا ملقيا علي البر والواحا عديدة من خشب
المركب ايضا ملقية علي الساحل فظننت عن
خروج هذه الاخشاب انها من فتك الزلزلة فافتكرت
وقتيذ ان ارفع من بالي بني الاوضة التي حتمت
ان ابنيها واستقيم لابثا في منزلي
في اليوم الرابع فيه اصطدت سمكا الا انه كان زهكا وكثير
الزناخة وايضا اصطدت في ذلك النهار عينه فرخ دلفين

في اليوم الخامس منه انطلقت الي البحر واخذت قطع خشب من مقدم المركب والالواح التي خلعتها ونشرتها فربطتها مع بعضها بحبل ولما تعالي المد طافت وسحبتها الي البر باعانة الماء

من اليوم العاشر الي اليوم الثالث عشر منه نقلت من المركب اخشابا مكسرة ومساميرا وافرة

في اليوم الخامس عشر منه اخذت القزمة قصدي ان اقطع الرصاص المصفحة به بطن المركب من داخل فما قدرت علي تحصيله لانه كان غاطسا في الماء

في اليوم الرابع والعشرين منه انطلقت مستعجلا وخابطت بمقدم المركب قصدي ان انقل اخشابه الي البر وربما اجد فيه شياء ما وبينما انا متفكر في هذا العمل اتي المد سريعا ومنعني عن مرامي وما لحقت يدي ان تفعل ادني شي وفي فيضانه قذف الي البر جملة براميل مع صناديق البحريين وفي ذلك النهار ما اخذت شيا سوي اخشاب مكسرة

فاستقمت بعد ذلك اكسر به واعافر الي اليوم الخامس عشر من شهر حزيران من غير بطالة سوي انني كنت امتنع عن الشغل في وقت الاكل واحيانا اجلس استريح قليلا ثم اعاود الي شغلي ايضا فجمعت رصاصاً من بطن المركب كناية عن ماية صفيحة ماعدا الواح المركب وقوايمه والخشب المكسر

في اليوم السادس عشر منه انطلقت الي الساحل لاتنشط وفيما انا ماشي طيب النفس رايت زحلفة فسرعت اليها وقبضتها وهذه اول زحلفة اني رايتها في هذه الجزيرة وبعد ذلك انطلقت الي الناحية الاخري من الجزيرة فوجدت مثلها كثيراً وفي اليوم الثاني نظفتها وغسلتها ثم طبختها فكان لحمها لذيذا جدا ما اكلت مثله ابدا منذ صرت في العالم اذ انه كثير الدسومة لا باس به

في اليوم الثامن عشر منه استقمت داخل الشقيفة محبوسا لكثرة الامطار التي هطلت وفي ذلك النهار حصل برد شديد وسقعة لا توصف

في اليوم التاسع عشر منه وقعت مريضا من البرد وما استطعت ان اخرج خارج الشقيفة طول النهار وفي تلك الليلة التابعة ما استطعت ان انام من صعوبة الحمي والوجع

في اليوم الحادي والعشرين منه ثقلت جدا وتلخبط مزاجي واحيانا كنت اسهي ولا اوعي علي حالي ولما اصحي من غشوتي كنت اعطي من الضعف قوة واصلي لله حسب امكاني وابتهل اليه ان يلمسني برحمته ويشفيني من علتي

في اليوم الثاني والعشرين منه حصلت علي راحة فكر وفقت من عياي قليلا ومن اليوم الثالث والعشرين منه الي اليوم السادس والعشرين كنت اتعافي قليلا ثم ارجع الي ما كنت حاصلا عليه من العيا وكانت الحمى تاتيني وتردخني وبعد ما تفارقني كنت اشعر ان كل مفاصلي تفككت ومن ضيقتي كنت ابتهل الي الله هكذا قايلا يا الاهي ومولاي الضابط الكل علة كل شي

واصله ذو الجود الغير المحدود والخير العديم الوصف
انت الاله الذي لاتبغض شيا مماخلقته بل تحب
جميع اعمال يديك لاسيما نحن البشر الذين اظهرت
نحونا غور محبتك الغير المبحوث عن اثرها ارحمني
وهبني الشفا الكامل الاني مقطوع وعديم الانس
فلا تواخذني يا الهي بخطاياي ولا تجازني حسب
افعالي الدنسة لان رحمتك واسعة جدا ابسط
يمينك علي عبدك واعطني المعونة لان رحمتك
افضل من ساير الادويا والعلاجات التي نستعملها
وقد سلمت امري لك وانت دبرني حسب ايثارك
فبعد ما انتهيت من صلوتي وابتهالى للة تعالي
انضجعت ونمت وفي تلك اللياة اتاني عرق العافية
ولما استيقظت رايت حالي مجبولا في العرق
فاخذت وبدلت ثيابي وتحزمت وجلست وانا
جوعان لهثان لانه صارت لي جملة ايام ما دخل
في فمي ادني شي فقمت وقتيذ واخذت جديا
رخصا وذبحته واخذت رقبته وسلقتها وكنت

اشرب من مرقتها فسندت قلبي قليلا وبعده طبخت
من لحمه يخني واكلت ومن ذلك الوقت حسيت
ان العافية بدت تدب في ولما كان الغروب رايت
ان مزاجي تلخبط والنوم طار من عيني فخفت ليلا
ترجع الي الحمى مرة اخري. فافتكرت وقتيذ ان
اهل برازيل يستعملون التتن لاجل هذا المرض
ففتحت صندوقا قصدي ان اخذ تتنا قليلا
فوجدت علاجين الواحد لنفسي والاخر لجسدي
وهو اني وجدت تتنا وكتابا من الكتب المقدسة
التي وجدتها في المركب لاني الى ذلك الوقت ما
افتكرت عنها نظرا لانهاكي في الشغل ونظام
عيشتي فاخذت الاثنين اي الكتاب المقدس
والتتن وجلست علي فرشتي وبديت اجرب
كيف اني استعمل هذا التتن لاني كنت
مستجهلا معاطاته ° فاخذت ورقة واحدة ومضغتها
ولصعوبة التتن داخ راسي واخيرا اخذت ورقة اخري
ووضعتها في كباية وسكبت عليها عرقا وبعد ما

انتقعت جيدا اخذت ذلك العرق وتمضمضت به وشربت منه قليلا وقبل ما انضجع اخذت ورقة اخري واقيتها في النار وكنت اتبخر في الدخان الذي يصعد منها حتي تعبق وجهي ومنخاري من الدخان وحالا لفيت رقبتي وراسي جيدا وذهبت الي فراشي وتمددت حتي انام قليلا واذ كنت لم اجد راحة ولا استطع ان اغمض عيني نهضت قايما واخذت الكتاب المقدس وبديت اقرا فيه وبينما انا اقرا اتت هذه الأية قدامي ادعني في يوم حزنك فانقذك وتمجدني • فهذه الاية اولا اثرت بي لكني ازدريت بها عاجلا لان عقلي ما قطعها لما تاملت بكلمة انقذك فهذا الايقان كان غريبا مني• وقلت كما قالوا الاسرايليون لما وعدوا ان ياكلوا لحما هل يقدر الله ان يهيي مايدة في البرية • وعلي ذلك النحو بديت اقول هل يقدر الله ذاته ان ينقذني من هذه الجزيرة الخالية من ساكن ولم تزل تلك الجملة مرددة

في فكري وبعد ذلك ازدحمت منهاجدا وقلقت ٠
فالتتن والعرق اثرا في دماغي وجلبا علي نعاسا
ثقيلا فطلبت ان انضجع وانام وقبل ما رقدت
جثيت علي ركبتي ساجدا وطلبت منه تعالي
جلت اسماوه ان يكمل وعده الذي وعد به في
كتابه المقدس اي ادعني في يوم حزنك فانقذك
وتمجدني وانه وفقني ان اراه واطلب منه ٠ ثم اني
ملت الي الكباية وشربت قليلا من العرق الذي
نقعت فيه التتن وتصطحت علي فرشتي فوقع علي
سبات ونمت نومة ثقيلة وما انتبهت بعد نصف
النهار بثلث ساعات فحسب ظني اني نمت
يومين فنهضت من فراشي وغسلت وجهي
وانا مبسوط وطيب الخاطر جدا والمغص الذي
كان قابض علي ليلة امس فك عني وتلاشي
بالكلية وحسيت بنفسي اني جوعان فاخذت وقتيذ
اللحم الذي ملحته ليلة امس وركبت وطبخت
يخني وارزا وعملت ايضا سفودين كبابا لا باس بها



ادعني في يوم حزنك فانقذك

فمديت السفرة بعدما استوا الطبيخ وتهدا واكلت وزال عني ضيمي والمي

في اليوم الثالث من شهر تموز فارقتني الحمي الاني لم ازل ضعيف القوة ومالي مروة ان اتحرك من مكاني ولما كنت في هذه الحالة ضعيفا ومتاوها كان يخطر علي بالي ذلك الكلام اي اني انقذك واحيانا كنت ازدري بهذه العبارة واقول ان ذلك هو من الممتنع واحياناكنت ايقن لما اتذكر كيف اني خلصت سابقا من بلايا عظام اصعب من هذه الحالة واني خلصت من فم الموت الضريع ولما كنت متبحرا في لجج هذه الافكار ومتعمقا بها خاطبت نفسي هكذا قايلا ماهو فضلك علي الله اما تتذكرين انعامه التي سبغها عليك ولم تزل منفاضة حتي هذه الساعة اولا انه خلصك من اسر العبودية ثانيا من المخاطرات التي كانت راصدة لك والبحر الذي كان مستعدا ان يلقمك ثالثا اعطاك قوتا وافرا حتي تغتذين منه وتتمتعين

فاخبريني الان هل انك مجدتيه وعظمتيه لاجل انعامه واحسانه التي لم تبرح ملازمتك وحنوه الفريد المفضل عليك. فاذا ما اقتنعت من هذه الامور فكيف تستظرين الي اعظم منها فواجب عليك ان تشكري الله علي انعامه المسكوبة عليك حتي يلمسك ويمنحك الشفا الكامل وبعد ذلك ان شاء فينقذك

في اليوم الرابع منه قمت صباحا واخذت الكتاب المقدس وفتحت العهد الجديد وطفقت اقرا فيه فاخذت راحة وتعزية لما قرات وتاملت في كلامه وعملت لي قاعدة ان كل يوم اقرا اصحاحين كاملين الوحد صباحا والاخر عشية قبل ما اذهب وانام فاسترحت بهذه القراة من افكاري وقلقي وحصلت علي رجا ثابت ولما تعمقت في القراة وتفطنت معانيها بعد ان لهجت فيها مرارا متوالية اثرفي الكلام وجميع افكاري النجسة فارقتني حتي اني اخيرا طلبت ان اسلك طالما انا

حي في التقوي والعفافة وعبادة الله تعالي من غير تكدر ولا تمرمر وبعد ذلك طلبت منه تعالي ان ينور عقلي ويساعدني بروحه القدوس حتي الازم التقوي واثبت فيها واعبده الي اخر نسمة حيوتي ° فذات يوم وانا اطالع الكتب المقدسة وجدت مكتوبا هكذا انه رفعه بيمينه راسا ومخلصا لكي يوتي التوبة ومغفرة الخطايا ° فطبقت الكتاب حالا عند ما شاهدت هذه العبارة وفتحت يدي الي السما ضارعا وصرخت باعلي صوتي قايلا يا يسوع بن داود الذي ارتفعت راسا ومخلصا امنحني توبة فعالة حتي انجو من بحر ذنوبي وشكوكي فسقطت علي الارض جاثيا بعد ان فرغت خطابي وشرعت اصلي لله تعالي بقلب محتر وشكيت له امري وعند ذلك خطر في بالي ذلك الكلام اعني ادعني فانقذك اي انقذك من حمل اثامك ورجاستك الباهظة تلك التي اكتنفت نفسي الذليلة البايسة وليس انه ينقذني من وحدانيتي حسبما فهمت قبلا °

واخيرا اقتصرت هذا الامر اي ان الخلاص من الذنوب والجرايم هو اعظم من الخلاص من البلايا والمصايب

في اليوم الرابع عشر منه اخذت بندقيتي وتنقلت قليلا قليلا نظرا لضعفي لاني ما ملكت صحتي تماما ولم تزل بعض الالامات باقية في مثل وجع المفاصل ورخي الاعصاب وصداع الراس فاشكر الله ان الحمي انقطعت عني بالكلية وما عاودت الي مرة اخري • والذي كنت اتفكر فيه كان كله جديدا لان افكاري القديمة نظرا لقيامي وحدي في الجزيرة زاحت عني وكنت اتسلي في المواعيد التي وعد بها تعالي • فما بالغت جدا ذلك اليوم في المشي خوفا ليلا تحصل لي نكسة من شدة الريح التي كانت هابية في ذلك، النهار خصوصا من التعب فرجعت بعد قليل الي محلي وانا احس ان العافية بدت ان تدب في

في اليوم الخامس عشر منه قمت صباحا

فحسبت ان بقية المرض الذي كان ملازمي ليلة
أمس زال عني بالكلية وما كنت احس بادني
وجع ورجعت الي صحتي الاولي وعند ذلك
شكرت الله تعالي ثم قمت فطرت ونزلت الي
ساحل البحر واتيت الي الوادي المتصل بالبحر
حيث قدمت الاطواف التي اتيت بها من المركب
وبعد ذلك ابتعدت قليلا جايلا في الجزيرة
فتقدمت الي ناحية البحر وهناك وجدت من العلام
الذي عملته ان المد سافحا علي البر مقدار ميلين.
ثم اني انعكفت من الشاطي وتوجهت الي ناحية
اخري ابدا ما انطلقت اليها من يوم خروجي
علي هذه الجزيرة فجيت الي مرج مخضر والمياه
العذبة سافحة عليه فانشرح وقتيذ صدري عند ما
تنشقت رايحة الزهور المفتحة في تلك البقعة فبعد ان
جلست قليلا واسترحت من تعبي قمت ومشيت في
تلك الروضة فوجدت تتنا نابتا بين الحشايش
والزهور فاخذني العجب من ذلك ورايت

ايضا نباتات جزيلة غريبة مني معرفتها ولا افهم خواصها انها للاكل او للادوية • فبحثت عن عرق الشريس الذي يستعملونه الهنود ويعملون منه خبزا فما وجدت له اثرا ابدا• ورايت شجر العود والند والكافور شيا لا يحصي ورايت ايضا قصب السكار لكنه مهزول وقليل الريانة لقلة حراثته وسقيه ورايت ايضا نباتات جزيلة من كل جنس نافعة. فلما امسى الوقت لزمت طريقي واستعجلت في المشي واتيت الي منزلي ونمت تلك الليلة متهنيا مبسوطا

في اليوم الثاني الواقع في ستة وعشرين يوما من الشهر قمت صباحا كمثل عادتي ولزمت طريقي بعد ان تريقت ومضيت في الطريق الذي سلكت فيه نهار امس وفت المكان الذي وجدت فيه تلك الاشجار التي وصفتها ودمت سايرا الي ان اتيت الي مكان فيه روضة زهية كثيرة النباتات والزهور والاشجار عاكفة اغصانها كانها جنان

النعيم ومن كثرة الاشجار ولزها صارت كانها غياطل عاصية فرفعت لحاظي الي فوق فرايت الاثمار معلقة علي اغصانها من كل جنس وقد جاء اوانها ونضجت ورايحتها كانها عطر زكي فحمدت الله تعالي علي انعامه التي سبغها علي فقلت اين انا واين هذه الاثمار ومن هو الذي زرعها وهياها لي حقيقة ان العبد ما ياكل الا رزقه فمشيت قليلا فرايت بين الاشجار شتولا حاملة بطيخ مكاوي وسمرقندي وفريدوني وعبد اللاوي كلها نابتة ديي من غير سقي ورايت ايضا اشجار عنب واهية من كل جنس وقد عرشت علي الشجر الاخرة وعناقيدها قد نضجت والعنب كان عظيما جدا كل عنبة بقدر الباهم • فلا احد يقدر يصف الفرح الذي شملني عندما رايت هذه الخيرات التي ما تخطر علي قلب بشر انها توجد في هذه الجزيرة فطفقت اقطف واكل كمثل المدهوش لانني صارلي زمانا مديدا ما دخل في فمي اذني ثمر فخفت بعد ما اكلت

قليلا ليلا يتاتي لي حمي من اكل الثمر الكثير فافتكرت وقتيذ ان الثمر الذي اقدر ان ايبسه فاقطفه واسطحه في الشمس واحفظه للشتا فشهلت وقتيذ ذراعي مجتهدا جدا وبديت اقطف من العنب الناضج والتين المفلع واسطحه في الشمس ولما كنت مشتغلا في قطف الاثمار امسي علي النهار ومالت الشمس الي الغروب واذاني ما لحقت ان ارجع الي منزلي صعدت علي شجرة شاهقة وبت عليها وهذه اول ليلة اني بت خارج منزلي. فلما طلع النهار واشرقت الشمس نزلت من علي الشجرة وانا مشروح الخاطر وقصدت ان ارتحل من هذا المكان فلزمت كتف الوادي الذي كان هناك ودمت سايرا مقدار اربعة اميال واخيرا اتيت الي ارض رحبة واسعة كثيرة الاشجار والزهور اضرب من الارض التي كشفتها اولا وثانيا وفم الوادي كان متصلا بهذه الارض واذا اتت الامطار فمياه الجبال تنضب في الوادي وتفيض علي هذه الروضة

واخيرا تتشعب في البحر ° ووجدت هنالك ينبوع ما
عذب رايق كانه زلال خارجا من صدر الجبل المقتفي
بظهر الوادي وسايرا ناحية الغرب ففرح قلبي جدا
بوجودي هذه الروضة لاسيما لصحة مناخها وكثرة
مياها والارض كلها مخضرة كانّ جنايني فلحها
وسقاها° فدخلت وقتيذ في وسط الاشجار متمليا° في
انواعها واجناسها فرايت شيا جزيلا من شجر
الچكولاته والبردقان والليمون الحلو والحامض والترنج
لكنه غير مستوي فقلت هذا هو قصدي اني اصبر
عليه لما ينضج فاقطف منه واعصره واعمل منه
شربات واشرب وارطب فوادي به ° فقطفت قليلا
من الليمون الحامض وعنبا مقدار ما استطعت علي
حمله واتيت بالكل الي منزلي بعد ما غبت ثلاثة
ايام في هذه السفرة ثم اني اخذت العنب ولشرته علي
ظهر الصناديق قصدي ايبسه واحفظه للشتا

وفي اليوم التاسع عشر منه قمت صباحا
واستعديت ان انطلق الي الروضة فاخذت صحبتي

زكيبتين (اي جوالقين) قاصدا الانطلاق بهما الي الروضة حيث نشرت العذب ظاننا انه يبس وصار زبيبا فاعبيه للوقت واتي به الي منزلي فتسلمت طريقي واتيت الي الروضة فوجدت العذب الذي نشرته قد انداس وتلوث واكل منه كثيرا• فقلت لابد من وحش كبس هذه الارض وفعل هذا الفعل فاحتلت وقتيذ حيلة ونويت ان اقطف عنبا غير ذلك واعلقه علي اغصان الشجر حتي لا يستطيع وحش علي الدنو منه فقطفت وقتيذ عنبا واهيا كما حتمت وعلقته علي اغصان الشجر قبال الشمس حتي يجف وييبس عاجلا• وقطفت ايضا من العنب والليمون والتين واخذتهم صحبتي الي منزلي

وفي الغد افتكرت عن هذه الرياض الزهية وامكنتها وكيف انها مستحكمة في وسط جبال ممنوعة عنها الريح العاصفة واشجارها قد عكفت-واني ساكن في ارض خراب مقفرة خالية من الاشجار وقليلة

النباتات فافتكرت ان ارتحل من هذا المكان البايس واعمر شقيفة اخري في قلب الجبل الكاين علي لحف الروضة وفيما انا متفكر عن هذه المادة تغيرت ارادتي وقلت ان السكنة هنا وان كانت بايسة الا انها خير لي من الفراديس نظرا لاكتشاف البحر لان من هناك ما استطيع ان اراه فانا مر مركب بهذه النواحي مرة ما او ترميه الريح هاهنا فابصره واخلص نفسي من هذه الجزيرة وان انطلقت هناك وقدم مركب الي البحر فما اجده فاستحسنت هذا الراي واستقمت لابثا في مكاني القديم ونصبت لي خيمة صغيرة في الروضة حتي اجلس فيها في النهار

في اليوم الثالث من شهر اب جمعت العنب الذي نشرته علي الشجر اذ نشف وصار زبيبا عظيما فعبيته في الزكايب ونقلته الي منزلي ووضعته في الشقيفة وحفظته للشتا

في اليوم الرابع عشر منه بدت الدنيا تغيم وبدا المطر يهطل كانه مرازيب منحدرة ولذلك

ما استطعت علي الوقوف في تلك الخيمة التي نصبتها في الروضة من اجل ان الماء سري داخلها والريح اشتدت وكادت تقطع اطنابها وتمزقها فالتزمت حينئذ ان ارجع الي منزلي واتاوي في الشقيفة الي ان يكف المطر فتوجهت والمطر يصب علي واتيت الي الشقيفة وثيابي تنصول من المطر وانا في حال العدم فخلعت ثيابي المبلولة ولبست ثيابا اخري ثم ان المطر استقام هاطلا من ذلك اليوم الي نصف شهر تشرين الاول من غير انقطاع احيانا يثقل ويرخ واحيانا ينخل رفيعا وفي تلك المدة المديدة استقمت اكثر الأوقات داخل الشقيفة من غير ان اخرج خارجا

وفي اليوم السادس والعشرين منه كف المطر قليلا فاخذت بندقيتي وصعدت علي الجبل وبينما انا جايل رايت جديا رخصا فقوصته واتيت به الي منزلي فذبحته وسلخته وملحته وبعد ما خرجت ايضا مرة اخري وذهبت الي ناحية ساحل البحر

وجدت سحلفة عظيمة كبيرة الخلقة فجريت اليها واتيت بها ايضا الي منزلي فذبحتها وملحتها وكان لحمها دهيناجدا فعملت قانونا لاكلي هكذا اني اقوم صباحا واخذ كمشة زبيب وجوزا وكعكة خبز وافطر بها وفي نصف النهار اسلق لي لحما من لحم الجدي كان اما من لحم السحلفة واطبخ من الذي يكون عندي حاضرا وكنت كل يوم اشكل غداي من هذه الطبخانات مثل حامض حلو وخليه ولبن امه ومحشي وقرعيه وسفرجليه وملوخيه الخ وفي العشية كنت اسخن الطبيخ الذي يفضل من الغدا واسلق لي ايضا كم بيضة من بيض السحلفة واتعشي واشكر الله تعالي واستقمت علي هذا المعدل اياما متوالية وطالما كان المطر هاطلا وانا محبوس داخل الشقيفة كنت كل يوم اشتغل ساعتين او ثلث ساعات في حفرها وتوسيعها وفتحت لها بابا اخرا تجاه السور حتي ادخل واخرج منه فما كنت اعرف من اي شي انا مضطرب

وخايف لاني ما وجدت ولا وحشا ضاريا ابدا فاعظم الوحوش التي شاهدتها هي الجديان والمعزي

فاكتشفت علي ازمنة الصيف والشتا واطلعت علي حسابها وعرفت زمان الزرع والحصاد ثم اني فلحت لي ارضا وصلحتها واخذت تقاوة الشعير والارز وقسمتها نصفين فالنصف الواحد رفعته وخبيته ونصف الاخر بدرته واما النصف المبدور فخاس جوا الارض ومانبت زمانا طويلا وماكنت اعرف العلة من اي شي وبعد مدة طويلة نبت بعض منه والبقية تعطن وغزي

فاستحسنت رايا في شهر شباط ان ابحث عن ارض مخصبة تكون قريبة من منزلي وافلحها وازرعها زرعا وخريا فحظيت بارض جيدة حسب غايتي واخذت بقية التقاوة التي استحفظت عليها وبدرتها كلها واستقام المطر بعد ذلك هاطلا طول شهر شباط ونيسان فشبعت الارض من المياه وبعد ذلك لقحتها الشمس اياما متوالية فنبت الزرع

كله خير من الذي زرعته اولا • فبعد شهر زمان رايت ان الوقت موافق للزراعة اما انا فقد كنت خلفت سابقامن تقاوة الشعير والارز فاتيت وفلحت ارضامخصبة صغيرة وبدرت فيها تلك الحبوب التي خلفتها فمن غير شك نبتت كلها وصارت زرعا عظيما كانه مزروع في الشتا فمسكت هذا المعدل كل سنة ازرع مرتين واحصد حصادين

فقد كنت قلمت اغصانا من شجر الصفصاف سابقا وشتلتها حوالي منزلي فنبتت سرعة وبعد ثلث سنين صارت شجرا عالية تزهي القلوب من رويتها فلما رايت كيف انها انتشت اردت ان اقلم غيرها واشتلها حتي تكون امامي خضرة • فازمنة هذه الجزيرة منقسمة الى صيف وخريف وشتا وربيع كما في بلاد اوروپا واسيا وافريقية لكنها متغيرة لان الجزيرة كاينة في جنوب خصا الاستوا

فالزمان الذي يقع فيه الندا يصدف احيانا انه اطول من بقية الازمنة او اقصر منها فكنت

انا دايما اعتني واجمع قوتي في الايام الصيفية واذخرها لايام الشتا التي لا استطيع ان افعل فيهاشيا ولما كان يكثر المطر وتشتد السقعة كنت اغلق باب الشقيفة واولع النار ليلا ونهارا• ولماكنت افرغ من عملي في الكرم ومن حرث الارض وقطف الاثمار وحصد الغلة ودقها كنت اميل الي عمل اخر واشغل يدي فيه• فاولا اني جربت نفسي واردت ان اعمل لي زنبيلا فجمعت الشطبان من شجر الصفصاف ونظفتها من الورق وعطنتها في الماء جملة ايام حتي لانت جيدا فاخرجتها وعملت منها زنبيلا عظيما وكان ينفعني لكل شي مثل جلب الفواكة ونقل الغلة فيه وما اشبه ذلك• فاماهذه الصنعة فتعلمتها منذ صباي حين كنت في بيت ابي في مدينة يورك حيث كان قريبا منا اناس هذه صنعتهم فكنت انطلق الي عندهم قصدي التفرج علي شغلهم وكنت اتامل جيدا كيف انهم يشتغلون ومن كثرة ولعي في هذه الصنعة تعلمتها.

الاني ما تقنتها وكنت بعض امرار اشتغل معهم علي قدر فهي فانغرست هذه الصنعة في ضميري وفي ايام العازة نفعتني ولما كنت اقصد ان اعمل زنبيلا او مكبة فكنت اتاذي جدا نظرا لقلة العدد ويدي صارت عوض العدد • وفي اليوم الاخير انطلقت الي الغيض فوجدت اشجارا مناسبة لغايتي فقطعت مبلغا من الدناخيش وفسخت منها الشطبان ونظفتها وعطنتها في الما جملة ايام حتي لانت جيدا ثم اتيت بها الي شقيفتي وبديت في الشغل فصنعت لي من هذه الشطبان سراريد ومكبات ومشنات ومقاطف وزنابيل وسلات وسرابل وطبيقيات وكفات لتمليح السمك واشيا اخري التي تتعلق بصنعة نساجين المكبات والمشنات • حتي اني اخيرا كنت احط في هذه الاشيا التي نسجتها كل ماونتي وخيراتي

فاستقمت مداوم للحراثة والزرع والقلع وغرس الاشجار وتقليمها وما اشبه هذا العمل • وفي تلك

الاثنا وانا اعزق الارض خطر في بالي اني لما خرجت
الي هذه الجزيرة نويت ان اخمها كلها وما اترك
مكانا الا وانطلق اليه فنويت ان اكمل قصدي
فاجتهدت واخذت بندقيتي والفاس وكعكتين
وحفنتين زبيب ومليت الجراب بارودا واخذت كم
رصاصة مدرهمة ومليت جرابا اخرا خردقا واتكلت
علي الله وتوجهت في طريقي. فلزمت الطريق من
نصف الجزيرة مستعدلاً الي الناحية الشمالية ودمت
سايرا مشوارا طويلا واخيرا اتيت الي ساحل البحر
من الناحية الغربية التي قصدتها فصعدت علي
تل عال مستحكما علي ساحل البحر وكان النهار
رايقا جدا لا فيه ريح عاصفة ولا سحاب فتطلعت
امامي في وسط البحر فبان لي من بعيد ارض
بعيدة من جزيرتي مقدار عشرين او ثلاثين ميلا
فما كنت اعرف جيدا انها جزيرة اما بر واسع
اوانها مسكونة ام لا فتحيرت وقتيذ وقلقني ضميري
كيف اني اعمل حتي انطلق اليها فارتايت للوقت

وقلت ربما انها قسم من اميريكا فلمت نفسي وقتيذ
علي بطي همتي كيف اني ماجلت للجزيرة اولا
وخلصت من هذه الوحدانية الواقع انا فيها
لاني انا قريب من الناس ولا اعلم . فعزمت
ان اعمل لي طريقة وافر من هذه الجزيرة
التي صارت حبسي لاني في كل ساعة اترقب
الخلاص منها فنويت ان اربط طوفا واضع
فيه الشي اللازم واذهب اريه البر جيدا وفيما
انا متفكر كيف اعمل تغير رايي وقلت
اقف عندك ولا تفعل هذه الجهالة ليلا تبيد
لان لو كان هذا البر الذي اراه انه اميريكا
لكانوا مراكب الاصپانيوليين دايما يسيرون في
هذه الاقطار ولا ينقطعون وفى الاقل اني كنت
ابصر مركبا واحدا فقط فالان انني لي
هاهنا مدة مستطيلة فما وجدت ولا مركبا
فعجبنى هذا التخمين واستنسبت رايي • ثم اني
قلت ان كان هذا البر ليس هو اميريكا فحقا انه جزيرة

من الجزاير التي يسكنوها الغيلان § فامتنعت من عزمي الاول اي اني لا اذهب فلزمت وقتيذ الشاطي ومشيت قليلا وانا متنقل علي قلة مهلي وبعد جملة دقايق اتيت الي ارض قريبة من البحر وهي احسن جدا من الغياض والجناين التي بالغت عنها ونظرا للكبر فانها كبيرة جدا ومتسعة بمقدار ما تمد عينك وانها مخضرة وقد اشتبكت الحشايش والنباتات مع بعضها وغلبت عليها الزهور من كل شكل وقد امتلت الارض من رايحتها الفكيهة تفوق رايحة العنبر والعود وقد عكفت عليها الاشجار وناغت فيها الطيور والقمري والهزار ورايت من طيور الببغال ما لا يحصي عدده فتحارفت علي واحد واردت ان اقبضه حيا فما

§ الغيلان هم اناس ياكلون لحوم البشر كمثل الوحوش وقد يوجد منهم كثيرا في بلاد العبيد وقد قالوا البعض انهم لهم اذناب في اخر صلبهم فوق خواتمهم طوله اصبع او اصبع ونصف واخرون قالوا ان اكل لحم البشر ليس هو من فاعلية الاذناب ولكنه عادة اعتادوا عليها العبيد التايهين في البراري وروس الجبال كمثل البهايم والوحوش

كان يطالسني فدمت اجري وراه الا انه كان ثقيلا في طيرانه ولما اني مللت من الجري وراه وآني رايت انه من المستحيل ان اقبضه حذفت فيه عصا كانت في يدي فطرحته وسرعته فمسكته وبعد قليل رجعت اليه روحه ووعي فاخذته وانا فرحان به جدا وانطلقت به الي منزلي وكنت كل يوم اضع له الاكل واعلمه الكلام حتي آتنادم معه واشرح خاطري • فذات يوم اخذت بندقيتي كعادتي وصعدت علي جبل قريب من منزلي فرايت ارانب وثعالب شيا ماله عدد ولاحساب فاصطدت بعضا منهم الا اني ما انتفعت من لحمهم لان نفسي ما كانت تشتهيه لكثرة لحم الجديان والطيور والسحالف والزبيب والجوز الذي عندي وكنت كل يوم انظم مايدتي من اشكال الطبخات التي اخترعها واطبخها • فاعتمدت يوما ان لا امضي بعيدا من منزلي سوي مقدار ميلين فقط وان لا اتباطي اذا ذهبت خوفا ليلا ياتي مركب بغتة فما اراه

واستقيم محبوسا هاهنا وكانتا عينتي حادقتين دايما ناحية البحر مترقبا الي مركب ما مسافر وكلماكنت اعمل عملا قليلا فاقوم واتشرف علي البحر داعيا ياربي سهل امري وسخر مركبا ان ياتي هناوياخذني فنزلت يوما الي شاطي البحر وانا حامل بندقيتي حتي امشور قليلا فابتعدت مقدار ميل ونصف من منزلي واتيت الي ارض رحبة واسعة لا فيها تعلة ولا نصوة وفيها صدف من كل جنس ملونا ومشكلا ورايت فيها سحالف وافرة منها راقدة ومنها سارحة ورايت ايضاطيور مجنسة حتي اني ما كنت افهم اجناسها كلها فنويت ان اصطاد بعضا منها الا ان نيتي تغيرت وقلت اني استبقيها ذخيرة لي فاذا خلص قوتي وما بقي عندي شي اقتات منه للوقت اصطاد منها واتنعم وفي رجوعي رايت جديا راعيا في تلك الرحبة فجريت وراه ان اقوصه فمن عدالة الارض ما استطعت علي القرب منه حتي اقوصه هينا فدام جاريا وانا طارد وراه

الي ان حصرته في حضيض الجبل ثم عدلت عليه البذدقية وقوصته.

فبمقدار ما انشرحت بجولاني في هذه الجزيرة فعلي ذلك النمط انبسطت من منزلي مع انه كان مستحكما في اردي مكان من الجزيرة وارضه قفرة ومهجورة فداومت سفري بعيدا من منزلي مقدار اثني عشر ميلا الي المكان الذي عملت فيه رابية (اعني كوم من حجارة) علي شاطي البحر لاجل العلامة• فنويت في سفري الاخير ان اسلك ماشيا قاطعا في وسط الجزيرة الي ان اتي الي جانبها الاخر• وبما اني عرفت الجزيرة جيدا ما كنت اتيه فيها وبمقدار ما اغيب كنت ارجع مستعدلا الي منزلي. فذات يوم نزلت الي واد عميق قد عكفت فيه الاشجار وصار كانه زور عاص ومن كثرة الاشجار ولزها ما استطعت ان اعرف الطريق واخيرا اخذت الشمس دليلي وخلصت منه• وفي تلك الاثنا رايت ان الريح قد اشتدت والسحب اتصلت مع

بعضها واحتجبت عني الشمس ففزعت ليلا تمطر علي وانا في الخلا • فاستعجلت علي الرجوع وانا لااعرف الي اين متوجه لاني انخوذت ثم اني ارتأيت وجعلت البحر مقابل وجهي ودمت سايرا حتي تركت الساحل ومن هناك اتيت الي الخيمة المنصوبة في الروضه قبل ان تمطر علي وبعدقليل همدت الريح وراق الجو والشمس اشرقت كما كانت فخرجت من مكاني • اما كلبي فنهش جديا من الجديان الذين اعلفهم واراد ان يفترسه وياكله فجريت اليه وخلصته من فمه وعلي حسب ظني انه افترس جديين سابقا واكلها مع اني تعبت جدا بعلفها وكنت اصب لها الما واسقيها حتي يكبران ويوالفان علي وكنت مترجيا اذا نفدت ماونتي فاذبحها واقتات بلحمها حسبماكنت ناويا من البدء فاحتميت غضبا علي الكلب وقمت عملت له طوقا ووضعته في رقبته واخذت حبلا وربطته فى شجرة قبال خيمتي في الروضة وبعد

ما قضيت شهرا واحدا في هذه الغيبة تسلمت طريقي ورجعت الي منزلي

فلا واحد يستطيع ان يصف ابتهاجي واكتفايي لاني لما رجعت الي شقيفتي طرحت نفسي في الديدية التي عملتها سابقا الا اني ما خبرت عنها انفا واستقمت مرتاحا في شقيفتي ست ايام وفي هذه المدة شغلت يدي وعملت قفصاء للببغال ووضعته فيه • وفي اليوم السادس افتكرت بالجديان والكلب لاني طرحت لهم اكلا يسيرا واما الماء فكان كثيرا عندهم فقمت حالا وانطلقت قصدي ان اتي بهم الي منزلي فلما وصلت الي هناك وجدت الكلب جايعا جدا وبدا ينعوص ويهز بذنبه فحليته وناولته لحما مسلوقا وطرحت له عظاما واهية وربطته مثلما كان • فمن ذلك الربط تاب واعتبرني جدا وبعد ذلك صار وديعا وكان يرافقني اينما ذهبت ولا كان يفارقني ابدا ولا ياكل شياما لم ارم انا له شيا فياكل

فدركني الخريف وبدت الامطار تهطل وانا اخذت حذري من شهر ايلول وجمعت من الثمر ما احتاج اليه في زمان الشتا وخزنته كله في الصناديق وقفلت عليه • فقمت في ذلك النهار وخررت ساجدا على الارض وقدمت الشكر لله تعالى على افعاله الكلية المقدار التي فعلها معي وكيف انه عالني في هذه الجزيرة الخالية من البشر واكفاني من كل شي وكنت اقدم له المجد والثنا لاجل انه خلصني وسرني وحماني وعزاني وشجعني وجعلني ان اتكل على مراحمه العظيمة الشان وقدرني ان اصبر في هذه الحيوة الوحدانية الفانية وانرجا الحيوة المزمعة الباقية

حقيقة اني كنت اتامل في كل وقت كيف انني غاطس في بحر النعم ولا احد مترفه بحيوته مثلي لان كل واحد منهمك في همه وانا مالي هم ولا غم اجمع من هنا واكل من هنا وفي مدة استقامتي في هذه الجزيرة اذ كنت انطلق احيانا

الي الصيد او ان اكتشف علي الجزيرة كانت الافكار تقلقني وتضرب السودا في راسي وتنقبض روحي علي وكنت اشعر ان قلبي انفطر من شدة حزني وكابتي عند ما افتكر في اقامتي في هذه الغياطل والاجبال والبر واني متجنب عن صحبة البشر وكنت اتحصر واقول حقيقة اني مسجون داخل اقفال دهرية وحصن ابدية في بر مقفر خالي من الانس مقطوع الرجا وعديم الخلاص • فبهذه الحالة كنت الطم علي وجهي واصرخ وانثر دموعي كمل الولدان واحيانا ما كنت انتحب من صميم قلبي واهطل دمعا هموعا وانا ملتبك في شغلي ولشدة الكابة التي كانت تحصل لي كنت اترك عملي واجلس متاوها وكنت اتحصر وانين من صميم قلبي ولا عندي واحد يسليني ويشفي غليلي • وكنت اطرق وجهي الي الارض غير متململ مقدار ساعتين وانا ابكي بكاء مرا حتي كانت الدموع تهطل علي الارض وتبلها

فذات يوم وانا متنهد باشد مرارة حيث كنت انوح كمثل النسا الارامل فتحت الكتاب المقدس وبديت اقرا فيه قصدي التسلي وان ارفع عني هذا الوسواس والكابة واذ قرات سطرين اتي قدامي هذا الكلام اي انني لا اتركك ولا اهلكك • فوقفت في هذا المكان مستفحصا ومتفكرا في هذا الكلام وعبارته فقلت حقيقة انه لايتركني ولا يتخلي عني ولماذا انا هالك نفسي في العياط والمناحة فان كان هو عالني في هذه الجزيرة القفرا وافاض علي انعامه افما يستطيع ان يلهم قلب احد ويسخره ان ياتي الي هاهنا وياخذني فاتثقت ان الله قادر علي كل شي وانه يقول للشي كن فيكون• واستقمت متولعا في قراة الكتاب المقدس من غير ملل ولما كنت افتحه او اطبقه فما كان يخلي فمي من الصلوة لله تعالي وتمجيد اسمه طالبا منه في كل وقت ان يسهل عليّ ويهدي واحداً الي هذه الجزيرة كي ياخذني معه

فارتايت يوما وعملت لي ترتيبا جديدا اولا انني اوفي حقوقي لله تعالي واقرا في الكتاب المقدس بحسن براعة واجتهاد ووعي وكل يوم كنت اقرافيه ثلاثة امرار ثانيا اني اخذ بندقيتي واجول للجبال والغياض واصطاد من الذي تشتهيه نفسي وانه يناسب اكلي ثالثا اني اوظب شقيفتي واشتغل ما يتهيا لي وانظر حالي واطبخ من كلما اذبح واصطاد وفي هذه الامور كنت اقضي النهار كله والسهرة معا ° وفي ايام الصيف ما كنت استطيع ان اشتغل في نصف النهار نظرا للحر فكنت اقيل في وقت الحر واتقبل علي عملي وقت العصر فاشغل يدي اربع ساعات ° وبما اني كنت غشيما ومحتاجا الي عدد ومعين دمت في شغل جزوي مدة طويلة واستقمت اربعين يوما انجر بالاخشاب واعافر بها حتي عملت منها رفا لكي اضع عليه لوازمي وايضا عملت منها اشيا اخرة متعلقة بصنعة النجارة فهذه الاخشاب جميعها قطعتها من شجرة غليظة

عالية ومن هذه الشجرة شققت الواحا عريضة جدا فاستقمت اتافر بها جملة ايام واقطع دناخيشها واغصانها حتي اني نظفتها جيدا ثم اني نجرتها من كل جانب حتي انها خفت قليلا وقدرت علي تعتعتها فاستقبلت حينئذ علي صفحتها الواحده ونجرتها من الاول الي الاخر ومسحتها بالفارة وعدلتها جيدا ولما نجزتها قلبتها علي صفحتها الثانية وفعلت بها كالاولي وهكذا فعلت بالثالثة والرابعة

فاقبل علي شهر تشرين الاخر والزرع بلغ وقشقش فاستعديت حينئذ الي الحصاد وبعد ما فرغت منه نقلت الشخر وعرمت بيدرا واسعا • فاما الارانب والمعزي فكانوا يداوروني اذانهم ضاقوا طعم الكدس وكانوا مالين البيدر ولماكنت اطردهم من هنا فياتوني من الجانب الاخر فاحترت بامري كيف اني اهزمهم لاني افزع ان اقوص بهم البندقية ليلا تحترق الاكداس لاني ما دقيته الي الان فلوكان

دريخاه فلا باس فاستحسنت رايا واتيت بخشب وعملت سياجاه مستديراه وفي النهار كنت اقوم في الجرن واقوص بعضا منهم وفي الليل كنت اسيب الكلب من رباطه وكان طول الليل ينبح ويهربهم من الجرن وبهذا الفعل خلصت من السرقا الوحشيين • ولما اطمانيت علي البيدر من المعزي والارانب طلعت داهية اخري اضرب من الاولى وهي ان طيور الجزيرة كلها اجتمعت علي البيدر رفوفاه رفوفاه فخفت ليلا انهم ياكلون الغلة ويفضلون لي القش فقط فافتكرت ماذا افعل واخلص قوتي منهم فتهيا لي ما يفعلونه الفلاحون اي انهم يصطادون طيورا ويعلقونها وهي مايتة وكل طير حي يراها يفر موليا خايفا منها فاخذت وقتيذ بندقيتي واصطدت ثلاثة طيور وعلقتها علي روس عيدان وشكخت العيدان في الاكداس • فحقيقة ان هذا الراي كان صوابا ومعقولا لان تلك الرفوف العديدة كلها فرت لما رات ارفاقها معلقة

على روس العيدان وما عادت اتت بعد ذلك ابدا

وفي اخر شهر كانون الاول قشقش الزرع الثاني فحصدته كالاول ونقلت الاكداس وعرمتها على البيدر اذ اني ما دقيته بعد ولما انتهيت من الحصاد والنقل تناولت خشبة غليظة وبديت ادق من الجاذب الواحد وبعد ما انعمه اذريه وانقل الغلة الى الشقيفة واحكرها داخل الصناديق • فجمعت التبن بعد ان فرغت من الغلة وكومته في مكان وحده وعملته لوثا وطينت عليه ليلا ينتقع من المطر فاتيت وكيلت الارز فوجدته اردبين فقط وكيلت ايضا الشعير فطلع ثلاثة ارادب ونصف• فلحظت وقتيذ ان هذه الخيرات هي من عند الله الذي يعطي الانسان ما لم يعرفه وانه افاضها علي فقلت في نفسي الان ابدي اطحن واعجن واخبز واعول نفسي • فلما بديت في العمل امتحنت لاني لست بعارف كيف اني اطحن الشعير واذا

طحنته بالجاروشة التي عملتها فكيف اتخله ولا عندي تنور ولا فرن حتي اخبزه° فارتايت وقلت انه لي زاد يكفيني هذه السنة كلها واما الشعير والارز الذان جمعتها فازرعها في السنة المقبلة ايضا وفي هذه السنة اباشر في بناء تنور واحضره وانسج لي منخلا واحضرهما كلاهما للسنة المقبلة فاعتبرت هذا الراي وركنت عليه° فلما حان زمان للحراثة تهييت وعزقت الارض كلها وضفت ايضا عليها ارضاً اخري واسعة نظرا لكثرة التقاوة التي عندي ثم اني بدرت الشعير والارز وفضلت منها قليلا لاجل ان الارض ما كفت للتقاوة كلها فاستعديت حينيذ وبديت ان اعزق ارضا اخري قريبة مني فصلحتها وضفتها علي غيضي فعملت لي عقارا واسعا وكان فيه بعض حفر فمليتها ترابا وبدرت بقية التقاوة التي تبقت عندي وعوسجتها جيدا حتي لا معزي ولا ارنب يقدران يدخل فيه فاستقمت في هذا العمل ثلاثة اشهر° ثم اتي الشتا وبدا ينزل

الندا على الارض ويبلها والمطر تبعه وتكاثر جدا وبدا يهطل كانه ميازيب فالتزمت في تلك المدة ان انسج المنخل نظرا لبطالتي فاخذت حريرا كنت وجدته في صندوق وعملت طارة من خشب وفعلت مطلوبي ثم اتيت بطين ولختة جيدا وعملت منه تنورا متوسطا وفي هذه المدة التي كنت محبوسا بها داخل الشقيفة اجتهدت ان اعلم الببغال الكلام فدعيت اسمه يعقوب لانه صار لي زمانا طويلا ماتكلمت كلمة البتة في هذه الجزيرة فاريد ان ابدي خطابي مع هذا الطير وفي هذه المدة اخترعت اختراعات عظيمة • ثم انني اتيت بطين اخر وخمرته ودعكته وعملت منه طواجن وبواطي وسلطانيات وزبادي وانجانات ومراكن وحواليب وقلل وكيزان ودوارق وقدر وبرم وكل ما يتعلق بصنعة الفاخوري فلما اشرقت الشمس اخرجتها خارجا ونشرتها في الشمس وبعد ما قحلت ويبست عملت كورا وحرقتها في التبن الذي حفظته في اللوث • وفي هذه المدة

نفد الملح فاخذت بعضا من القدر ومليتها ماء من البحر وركبتها علي النار ووقدت تحتها الي ان نشف الماء واستقام الملح في اسفل القدر فجمعته ورفعته في الشقيفة وكان دايما ينفعني للطبخانات ولتمليح اللحم • ثم اني اهتميت ان اخبز لي خبزا فاتيت اولا بالشعير وغسلته وبعد ما نشرته ويبس لقيته وطحنته ثم نخلته وعجنته • واتيت الي التنور لاسجره فوجدته قد انفطر من وسطه فما انتفعت منه شيا سوي ان تعبي كله ضاع باطلا فافتكرت وقتيذ ماذا افعل لاني عجنت وقرب ان يختمر فتهيا لي ان العرب يستعملون غالب الاوقات خبز الملة فقمت حالا وجوفت الارض ووقدت نارا في النقرة التي حفرتها ولما تبصص النار وخمدت لهبته اتيت بالعجين وقرصته ارغفة وجوفت النار وفتحت الارغفة علي الارض وجريت النار وكومتها فوق الارغفة كما تفعل العرب ولما استوا قليلا نحيت النار وقلبتها ثم اني رجعت النار مثلما

كانت اولاً فعلي هذا النحو كنت اقابها واداريها الي ان استوت وتقمرت جيدا

فافتكرت يوما ان اعمل لي قاربا مثل القوارب التي يصطنعوها الهنود من قرم الشجر ولما استعدلت ان افعل مطلوبي رايت اني ناقص العدة وقلت ايضا فلاقدر واقول اني نجرتها وكملتها فمن هو الذي يسحبها معي وينزلها في البحر• وبينما كنت مفتكراً ماذا افعل خطر في بالي هكذا وجاوبت نفسي قايلا اني انجرها اولا ولما تكمل صنعتها فوقتيذ افتح لها خليجا صغيرا من البحر ولما يجي المد فيرفعها ويسحبها الي البحر فاعتمدت علي هذا الراي فاتيت الي شجرة عالية جدا غليظة وشرعت اقطع



فيها فدمت علي هذا العمل تسعة عشر يوما•

وفي اليوم العشرين لقيتها علي الارض فاستعدلت ايضا ان اقطع اغصانها وانظفها فجمعت منها حطبا واهيا لانها كانت شجرة داهية فاستقمت اقطع باغصانها اربعة عشر يوماء فنجرتها وعملتها علي هيئة السفينة وبديت اجوفها لاني قصدت ان احفرها حفرا من غير دق مسمار كمثل صنعة القصع فدمت اعافر فيها واشتغل مدة طويلة وما فكيت عنها حتي كملتها ولعظمها واتساعها كانت تاخذ مقدار ستة وعشرين نفرا فافتكرت في عقلي وقلت لما انزلها في البحر فامليها ماونة واسافر بها

فما بقي علي شي سوي اني القيها في البحر فكان ذلك من المستحيل لان المكان الذي كانت ملقية فيه كان مبتعدا من الشاطي مقدار مايتين خطوة وما عدا ذلك كان بينها وبين البحر اكام ممدود فبديت ان اعدل الارض واسمهدها قصدي ان ازحفها والقيها في البحر فكان ايضا ذلك من

الممتنع لاني لما اتيت اليها بعد ان قاسيت تعبا ونصبا لا يعبر عنه بتعديل الارض ماقدرت ان احركها من مكانها فقلت وقتيذ ماذا افعل اذن فخطر علي بالي ان امسح الارض وافتح خليجا لكيما ياتي الما الي عندها فعملت حسابي ورايت انه يقتضي لي ان احفر بهذا الخليج فى الاقل احدي عشرة سنة وهذا جعلني ان ارتدع عن الحفر فقلت وقتيذ عن نفسي ما اعظم جهلي اذ ابتديت بالعمل قبل ان افتكر عن غايته ولاجل اني ما افتكرت عن اواخر الامور صار عملي كله عبثا وباطلا.

فهذا الامركان في السنة الرابعة بعد لقيي علي هذه الجزيرة الخالية من الانس وفي تلك المدة جاء عيدي فما تغافلت عنه لكنني حفظته في الصلوة والعبادة لله تعالي اكثر مما كنت احفظه قبلا.

ولما كنت انظر يمينا وشمالا ربما اجد انسانا ما اتانس معه فما كنت اري الا البحر والارض والاشجار

فخاب رجايي ولا كنت اصدق ان اري بشرا ابدا ونظرت الي هذا العالم ورايته كانه شي غريب مني ولا لي مخالطة معه فيحق لي اذا ان اقول كما قال ابراهيم للغني هاهوذا بيني وبينك ايها العالم هوتة ثابتة • حقيقة اني افترقت عن شقاوته ولا كنت اعرف بشهوة للجسد ولا شهوة العين ولا فخر العمر ولا عندي شي احرص عليه لانني امير وملك متسلط علي المملكة كلها ولا احد يقاومني ولا يضاددني وامري جايز مهما اردت يصير حالا فان اردت قمحا فعندي بيدر وان اردت ان اصطاد فعندي من جميع الطيور فاصطاد منها ما تشتهيه نفسي واما للخشب فذلك شي بكثرة والزبيب معبي في الصناديق من كل جنس والفلوس التي عندي لقيتها حذاي كانها شي رذيل ولا كنت افتكر عنها ولو كان اتاني احد وعطاني عوضها كم حفنة تتن اوكيل دقيق لعطيتها له من غير توقيف لانها ملقية عندي من غير نفع ولا فايدة والنتيجة ان

ان هذه الامور جعلتني ان افتكر فكراء مستقيماء اي ان الاشيا المنسوبة لهذا العالم ليست مناسبة لنا مع انها مجعولة لافادتنا وبمقدار ما نكد ما ناخذ سوي الشي الضروري فقط

فهذه الافكار رطبت ضميري اكثر من قبل وكلما كنت اجلس واكل كنت اقدم الشكر والحمد لله تعالي علي الخيرات التي سبغها علي اذ انه بسط قدامي مايدة في هذا القفر وللوقت رايت جليا ان الاشيا الكاينة عندي اكثر مما اعتاز اليها وقابلت حالتي الحاضرة مع ما كنت مترصداء سابقا انها تكون فرايتها افضل فماذا كنت افعل اذا لو ما اخذت هذه الاشيا من المركب حقيقة كنت اهلك من الجوع قبل ان احظي بسمكة اوسحلفة فلاقدر واقول لو اني قبضت اشيا من الحشرات فباي شي كنت اطبخها هل كنت اقدر ان اكلها مثل شعب البربر الذين ياكلون لحم الوحوش والاسماك نية او كمثل الوحوش كنت امزقها باظافيري واكلها

من غير طبخ وملح • واخيرا، قايست وقيعتي بالذي
استوجب علي فقلت كيف اني كنت عديم
الشكر مع والدي وكيف اني رفست نعمة الله ولا راقبته
وكيف اني عدمت الاشيا العظيمة التي كانت لي
وكيف كنت بطرانا وزاهق تلك النعم العظيمة
التي انسكبت علي من السما وكنت اقتات من
تلك الخيرات كانها هابطة علي من السما بمادة عجيبة
اعجب مما جري لاليا اذ كانت الغربان تعوله وكيف
اني بعد الغرق لقيت وحدي في مكان خالي من
الوحوش الضارية والناس السافكين الدما وسكنت
مطمانا وحدي والنتيجة اني كنت اداول مراحم
الله في ضميري وافتكر عن انعامه الحسنة معي وبها
كنت اتعزي وازيح الغم والحزن عني واكتفي بما عندي

واما ثيابي فبدت ان تتخلقن وتذوب فتحفظت
عليها ورفعت لي مقدار اربعين قميصا من قمصان
البحريين وهذه كستني مدة طويلة ولما كانت الشمس
تحمي وتشتد حرارتها كنت اخفف اللبس عني

وفي الشتا والبرد كنت البس بشوت البحريين وعبيهم التي اتيت بها من المركب • اما عمامتي فاهترت ايضا فقمت وقتيذ وعملت لي قبعا من جلد المعزي وجعلت الشعر من خارج حذرا ليلا يبل المطرراسي وبعد ذلك خطر فى بالي وفصلت لي ايضا من جلد الماعز صديرية وخيطت لي ايضا شمسية لتمنع عني حرارة الشمس حين اجول في وسط الجزيرة وصارت لي ايضا نافعة اذ سترتنى من ما المطر وهكذا صار ضميري مستريحا وسعادتي كلها كانت اني اتضرع الي الله واشكره دايما علي مراحمه العميمة التي سكبها علي

هل استطيع ان اقول انه صادفنى شي غريب في مدة خمس سنين بعد هذا كلا لكنني كنت مشغولا دايما في قطف العنب وتخديره اي اعمله زبيبا وازرع حقلي قمحا وارزا وامون بيتي من كلما احتاج اليه من القوت وكنت سلطان زماني وبما انني كنت محتاجا الي قارب اجتهدت ان اعمل قاربا



٤٢٥

روبنصن كروزي في سفره الثاني

اخرا يكون اصغر من الذي تجرته سابقا وما استفدت منه شيا فاستقمت اعافر فيه مقدار سنتين فلما نجرته ورايته انه صغير الجرم واني لا استطيع ان اقلع به واخلص من حبسي هذا افتكرت ان امضي به حول الجزيرة واكتشف عليها لاني حتي الان ما اكتشفت علي نصف الجزيرة لكبرها ولكثرة اشجارها. فعملت جهدي ونزلته في البحر ونجرت له صاريا وسمرته في وسطه وعملت له قلعاء من قلوع المركب ونزلت فيه كم صندوق وملبتهم مما احتاز اليه في سفرى واخذت ايضا معي من البشوت والعبي حتي اتغطي بها واترد عني المطر وحفرت في جانب القارب مكانا ووضعت فيه بندقيتي وعملت لها غطاء لتحفظها من الماء ليلا تصدي فاخذت الشمسية التي عملتها من جلود المعزي وفتحتها في الموخر عند الدفة حتي تمنع عني حرارة الشمس • حينيد حتمت ان اسافر واطلع علي كبر مملكتي فدرت المركب الحربي.

وتوجهت الي السفر في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني في السنة السادسة من جلوسي علي تخت سلطنتي او اخذي اسيرا فدمت سايرا في البحر اكثرهما عزمت عليه ولكثرة الصخور المجاورة للجزيرة التزمت ضرورة ان اسير بعيدا ليلا ينكسر القارب

ولعظم خوفي من الصخور حتمت ان ارجع وراءً خوفا ليلا امتنع عن الرجوع الي الجزيرة ولما كنت مرتيبا ولا اعلم ماذا افعل قدمت الي خليج صغير وربطت قاربي واخذت بندقيتي علي كتفي وتعلقت علي اكام كان هناك ومددت نظري وكشفت اخر الصخور وحتمت وقتيذ ان انزل واسيز حسب مقصودي

فلما كنت متشرفا من الاكام رايت مجري ناصبا من ناحية الجزيرة داخلا في البحر سالكا بين تلك الصخور التي اناخايف منها وكان مجراه يصل الي اخرها فافتكرت وقتيذ ماذا افعل ففرزنت هكذا اي

اذا ملت ناحية الصخور فاقع تحت الخطر وربما ماء المجري يلقيني داخل البحر ولااقدران ارجع الي الجزيرة حقيقة لوما تشرفت من علي الاكام لكان جرى فيّ هكذا لان علي الجانب الاخر كان مجري اخر مياه سابرة داخل البحر مسافة بعيدة ورايت هناك لجة قوية تحت الارض فاجتهدت وقتيذ ان اعبر المجري الاول واتعدي اللجة • فاستقمت هناك يومين والريح كانت هابة هبوبا قويا من ناحية الشرق والشمال مضاددة للسيل ودافعت الامواج ودافقتها علي السن فلا كان يوافقني ان اميل الي ناحية الشاطي خوفا ليلا الامواج تلقي القارب علي البر وتكسره ولا كنت استطيع ان اقف مسافة بعيدة من الشاطي خوفا من المجري وفي ثالث ليلة همدت الريح وغلن البحر فخرجت خارجا حتي اعمل علاما احترازا لكل قايد مركب ونوخذة لان المجري قذفني حالا والقاني قريبا من الصخور• وبعد قليل دفعتني الامواج الي داخل وكانت

تقفس علي بعضها كانها تلول ولعظمها منعتني من القدوم الي الشاطي

ولما رايت حالتي المخطرة بديت انظر الي نفسي وقلت الويل لي اني عدمت فرايت مجري البحر سارعا من ناحيتي للجزيرة فتحققت وقلت لابد انها يتصلان ايضا فما بقي لي رجا سوي الهلاك لاني لوما مت غرقا فاموت من الجوع لان ذخيرتي فرغت

فمن يقدر يصف الغم الذي اكتنفني فكنت انظر الي مملكتي الصغيرة باعين مكسورة واني لست طايلها وللوقت عرفت قدرها اذ انها لا لها مثيل في كل المسكونة فتحصرت وقلت ما ابهجك يا ايها القفر وما الذ السكني فيك هل بقت لي قسمة ان اراك فيما بعد يا لشقاوتي وعدم حظي الي ابن اناساير ولماذا كنت ادمدم علي عيشتي واتمرمر من سكنتي في الجزيرة متوحدا فها الان اشا ان اعطي العالم كله واكون هناك • ولما كنت متشكيا

ومتنغصا مما حل بي ما رايت الا وقذفت داخل البحر مقدار اربعة اميال فاستقبلت علي المقاديف وبديت اقدف وانجف بكل بتعي حتي وهن عزمي وزالت مني قوتي قاصدا ان اسند القارب الي ناحية الشمال فلما انتصف النهار تغير الطقس وهبت الريح من ناحية التيمن حسب ما كنت متمنيا فشملني للوقت فرح لايوصف ولعظم نفخ الريح ضيعت الطريق ولا كانت معي القبلة حتي احكم مقدم القارب واوجهه تجاه الجزيرة فنصبت الصاري ونشرت الشراع ووجهت القارب الي ناحية الشمال بقدر امكاني. قصدي ان احصل علي المجري وللحال بدي القارب يسير بسرعة ولرواقة لما رايت اني قريب من المجري وبعد مدة قصيرة قربت من الجزيرة

فالذين اكتنفتهم الكابة كما اكتنفتني فليتاملوا بالفرح الذي حصل لي لاني رايت ذاتي كاني ولدت جديدا فكنت اشتهي الذي يقرا قصتي هذه يراني

كيف اني جعلت القارب يسرع في المجري وكيف اني نشرت الشراع ووقفت مبتهجا امامه• ولاعانة المجري بقي علي مقدار اربعة اميال حتي اصل منزلي وفي الساعة الرابعة بعد نصف النهار قربت من الجزيرة ووصلت الي حدود الصخور• فاذ رايت اني خلصت من الخطر افتخرت بنفسي ودرت القارب الي خارج كما فعلت سابقا ووجهته الي الناحية القبلية فللوقت هب نسيم حسب قصدي فعدلت القارب معارضا للمجري وانا واعي جداء وفي ساعة واحدة صرت قريبا من الشاطي وبعد برهة قصيرة خرجت الي البر وحمدت الله تعالي علي خلاصي فقدمت القارب الي الشاطي وربطته ورقدت قليلا فلما استيقظت افتكرت كيف اذهب بالقارب الي منزلي

فخرجت وتشرفت فرايت حالي لست بعيدا من المكان الذي قصدته ماشيا من منزلي فما اخذت معي سوي البندقية والشمسية وسرت علي مهلي

وفي العشية اتيت الي مينتي وانضجعت ونمت ولما
كنت غافيا جاء صوت في اذني فقمت مرتعدا نظرا
للصوت الغريب الذي سمعته يقول هكذا روبن
روبن روبنصن كروزي اين كنت روبنصن كروزي
ولاجل ثقل نومي انضجعت ايضا وانا نصف نايم
ونصف صاحي فافتكرت اني بالحلم سمعت هذا
الصوت ولما كنت متفكرا هكذا سمعت ايضا الصوت
ذاته يناديني قايلا روبنصن كروزي وذلك مرارا
متعددة • فانزعجت جدا وقمت مضطربا وفتحت
عيني جيدا لاري من هو الذي يصرخ علي فرايت
البيغال الذي علمته الكلام حاططا علي شجرة
وللوقت عرفت هو الذي صرخ علي لان الصوت
كان صوته • حيث اني سابقا كنت اعلمه ان يتكلم اما هو
فتعلم جيدا • وكنت اوقفه علي يدي واقرب
منقاره لوجهي وادعه يقول مسكين روبنصن كروزي
اين ساكن انت اين كنت كيف جيت الي
هنا وهكذا كنت اعلمه ان يقول ويسليني • فلو

اني عرفت ان الصوت هو صوت الببغال مع اني
ما عرفته عاجلا • فتعجبت ايضا كيف ان هذا
الحيوان اتي الي هنا ووكر علي هذه الشجرة
الصغيرة فلما تحققت انه هو الببغال الذي صرخ
علي مددت يدي اليه ودعيته ان ياتي الي فاتي
وحط علي يدي وهويقول مسكين روبنصن كروزي
كيف صار واتيت الي ههنا واين كنت يامسكين
روبنصن كروزي • فلما رايت ان الطير فرحان هكذا
بي لما راني فانا ايضا اخذته الي منزلي • وفي هذا
الوقت فارقني الجزع والارتعاب الذي نالني من
البحر ومع ذلك اني تخيفت علي القارب الذي
اشتغلت فيه مدة طويلة ولاجل ذلك استقمت
سنة كاملة مترفها بعيشتي وانا مكتفي بحالي لم
ينقصني شي سوي المكالمة . فذات يوم من الايام
احوجتني الضرورة ان ابتدع دواليب علي قدر
فهي ولاجل اضطراري صرت نجاراً بارعاً مع ان
عدتي منها ساقت ومنها تثلمت • فاملت الي الشجر

وقطعت عيدان ونظفتها جيدا وعملت منها مشنات ومقاطف وسلات عديدة ولو كانت غير متقونة الشغل مع انها نفعتني اذ كنت انقل فيها الاثمار وكل ما يلزمني الي منزلي وكنت اضع فيها الشعير والارز واغلال اخرة

اما بارودي فقرب ان ينفد وذلك جعلي ان افتكر باي شي استطيع ان اصطاد اذا نفد بارودي حتي اعيش نفسي فاردت ان اعمل فخاخا ومصايد حتي اصطاد بها المعزي المستوحشات واقبضهن احيا• واخيرا اهتديت علي راي فحفرت حفرا عميقة ووضعت فيها شعيرا وارزا ثم ذهبت• فجيت في اليوم الثاني الي الحفر فوجدت في احدة منها تيسا كبيرا وثلاثة جديان• اما التيس فكان وحشيا ولعظم عصافته ما قدرت ان اخرجه خارجا من الحفرة فافتكرت وقتيذ ماقال المثل ان الجوع يذل الاسد فصومته ثلثة ايام وما طرحت له شيا ابدا وفي اليوم الرابع قدمت له ماء قليلا وحفنة

شعير فوالف • واما الجديان فربطتها قدام منزلي ثم اني قلت وقتيذ ان اردت ان ابسط نفسي بلحم الجديان بعد ما تفرغ ماونتي فلازم علي ان اجمعهم وارعاهم واتي بهم الي منزلي وهذا التدبير الذي فعلته كان معقولا • فقلت ايضا اذا خلطت الموالفين مع المستوحشين فيستوحشون منهم ويهربون مني في الازوار فعمدت وعملت زريبة واسعة وسيجتها وزربت فيها المستوحشين وسبت الموالفين امام منزلي وكنت كل يوم اخذهم الي المرج وارعاهم وفي حر النهار اتي بهم الي مكان مستظل وامنع عنهم حرارة الشمس •

فافتكرت يوما ان اسيج ارضا تكون مخصبة وارعي فيها قطيعي فباشرت قليلا ومسحتها فكانت مقدار ميلين طولا وعرضا فارتدعت عنها لاني قلت اذا اردت ان اسيجها كلها فما افرغها اقل من خمسين سنة نظرا لشغلي وحدي فغيرت رايي واخترت منها مقدار مائة وخمسين ذراعا في

الطول ومائة ذراعا في العرض وسيجتها جيدا وقلت اذا نمي قطيعي فاضيف عليها بقعة اخرة فاجتهدت وقدمت يدي للعمل فبديت اسيج بهامن غير ملل ثلثة اشهر فاخذت الثلاثة جديان وربطتهم في اخر ارض منها وكنت ارعاهم قريبامني بقدر امكاني حتي اولفهم عليّ واحيانا كنت اضع شعيرا وارزا في راحة كفي فكانوا ياتون وياكلون من غيرخوف وانكار واخيراء بدوا يجرون ورايي لما يرون بشعيرا في يدي وفي مقدار سنة ونصف صارعندي نحو اثني عشر دابة من تيوس ومعزي وبعد ذلك بسنتين تكاثروا وصاروا مقدار ثلثة واربعين دابة ماعدا الذين ذبحتهم في طول هذه المدة•

وفي هذه الامور التي ابتدعتها وجدت خيرات واهية ليس اني اكثرت من لحوم المعزي والجديان فقط ولكن للحليب ايضا صار عندي بمقام الماء وكنت اصنع من ذلك للحليب سمناء وكشياء وجبناء واروب لبنا وكنت ابسط نفسي بهذه الامور واعيش

مترفها ما اعظم رحمة الله تجاه خلقه اذانه يعولهم ويعزيهم حتي انه في وسط المصايب العظام يهنيهم وبما ينساهم • وكيف انه يحلي مرارة الضيقات والمصايب ويجعل لنا سببا ان نعظمه في وسط الحبوس والامكنة المقفرة الخالية من ساكن كما هو حاصل لي الان • ما اعظم واشهي المايدة التي مدها امامي في هذا القفر الخالي من الجنس البشري اذ اني ما ترقبت اولا سوي الهلاك من الجوع

حقيقة لو راني احد وانا جالس واتغدي لكان يفقع من ضحكه علي لان في الصدر جالس جناب حضرتي وجلالي كانني حاكم فريد عصره ولا واحد يستطيع ان يتعرضني في حكمي ومشورتي وكل رعيتي تسمعني وتخضع لي والذي كنت اشا ان اشنقه فاشنقه حالا من غير مانع والذي اشا ان اطلقه فاطلقه • ولما كنت اتعشا فاتراي كاني ملك زماني اكل وحدي ولا واحد يجتري ويمد يده وياكل معي ابدا واما مشورتي فكنت اعقدها

مع الطاير الببغال وكنت اتخاطب معه عما يخص تدبير حكمي ولا واحد له اجازة ان يتكلم معه سوا حضرتي واما كلبي الامين فكان يجاس دايما من عن يمين عظمتي وقطتاني كانتا تجلسان كل واحدة منها علي ناحية من المايدة تنتظران لقمة تقع من يدي • فهتان القطتان ليستا من اللواتي اتيت بهن من المركب ولكن من اولادهن لان الامهات كلهن متن وطرحتهن في البحر بيدي والبقية هربن الي الزور وتهن بين الشجر واستوحشن وتكاثرن حتي لما كنت اغيب من منزلي كن ياتين ويسرقن ما يجدن قدامهن لحما كان اما خبزا ولما رايت انهن ما يكففن عني ربطت لهن وبديت اصطاد منهن في البندقية واطرحهن في البحر فقوصت اكثرهن والبقية تركني ولا اتين الي منزلي فيما بعد • فلنرجع الان الي ماكنا نتكلم عنه فيما يخص عيشتي فاقول انى كنت غنيا ومتمونا من كل الخيرات وما كان ينقصني شي سوي

المخاطبة وايضا كنت مفتقرا الي شي اخر وهو قاربي لاني ابقيته ورا الجزيرة بعيدا مني جدا ولا كنت اعرف باي مادة اتي به الي قدام منزلي

فالقبع الذي كنت اغطي به راسي كان كبيرا جدا وعاليا مخيطا من جلد المعزي ووصلته من ورا بجلد صحيح وردفته علي اكتافي ليس حتي يمنع عن ظهري المطر فقط ولكن ليرد عني حرارة الشمس ايضا فعملت ايضا صديري من جلد المعزي ولما فصلته جعلت الشعر ينكس الي تحت حتي اذا اتي مطر علي صدري يتدحدر ولا انبل• ونظرا للاحذية والجوارب فما كان لي ابدا لان الجوارب والاحذية التي اتيت بها من المركب كلها تخلقنت واهترت فقمت فصلت لي نعلين من الجلد وربطتها بحبال من غير خياطة ووثقتها في رجلي فكانا كريهين المنظر لنظير سكنتي وعيشتي وعملت لي ايضا كمرا عريضا كمثل كمر الجمّالة وشديت وسطي به وجعلت علي جوانبي جلدا

تخينا يرد ضربة الخنجر والسيف وعملت ايضا سيرا طويلا وتسلحت به علي كتفي الايمن وادخلته من تحت ابطي الايسر حتي اعلق به جراب البارود والرهش وكنت اعلق المقطف علي ظهري والبندقية علي كتفي واحمل في يدي الشمسية المعمولة من جلد المعزي • ولقلة الامواز طالت لحيتي وتدلت علي صدري مقدار ثمانية عقود فكل هذه الاوصاف من غير نتيجة ههنا لان ولا واحد كان يري مسكني ومعاطاتي فمن غير خوف وجزع قصدت السفر في وسط الجزيرة ودمت جايلا فيها مقدار ستة ايام واخيرا لزمت الشاطي واتيت الي المكان الذي ربطت فيه القارب فلما اتيت الي ذلك المكان ومددت نظري الي الصخور افتكرت ان ارجع في القارب خيرا من سفري في الارض• واذ رايت البحر هاديا والماء جاريا من ناحية المد قلت الان اقدر ادور بالقارب حول الجزيرة واتي به الي منزلي ولما نزلت فيه قاصد الرجوع خطر علي

بالى ذلك الخطر الذي حل بي سابقا ولخوفي وارتعابي املت الي راي اخر ولو يحصل لي منه عنا وتعب وهو اني اباشر في عمل قارب اخر فيبقي لي قاربان الواحد من هذه الجهة والذي اعمله جديدا في الجهة الاخري حيث انا ساكن

فالان اني اخبر عن منزلي فاقول انني من وقت خروجي علي هذه الجزيرة الي الان ما كففت من العمل فجوفت في باطن الاكام وصنعت كهوفا الواحد داخل الاخر وذلك حتي اضع فيها ماونتي• واما الاشجار التي غرستها امام منزلي فشدخت في الطول وظللت علي الارض وخارج هذه الاشجار كان ممدودا الحصار الذي بنيته وداخله كنت ازرع الشعير والارز• اما بستاني الكبيرة فكانت قريبة من الدار التي ابتنيتها لجمع الاثمار اليابسة وحكرها وهناك غرست كروماء اخرة وحصنتها جيدا وهذا العمل اخذني زمانا مديداء ونظمت لي مكانا اخر بين الشجر ونصبت خيمتي فيه

فقد اعلمتكم انه بعد خروجي علي هذه الجزيرة ما رات عيني بشرا ابدا فذات يوم من الايام وانا ذاهب لاجتس القارب في الجهة الاخري من هذه الجزيرة رايت رسم قدم انسان مطبوعا فى الرمل علي شاطي البحر باينة طبعة اصابعه وكعبه وكل قسم منه وكان كبيرا جدا فلما رايت ذلك اندهلت وتحيرت فنصت وقتيذ ربما اسمع حس احد في الجزيرة فما سمعت احدا ثم اني تشرفت يمينا وشمالا فما رايت احدا فمشيت علي الساحل وانا مرعوب ومتبصر في الارض لاري علامة اخري. فما رايت. فهذا الامر قلقني وازعجني ثم رجعت بعد ذلك الي منزلي خايفا لاني قلت لابد ان انسان داسني ليلا وتلك الليلة كلها ما نعست عيناي وكنت افتكر افكارا متنوعة عن هذه المادة وكيفيتها التي جرت لي فبالاختصار ان رجايي بالله القوي تراخي وبرد فقلت ان الله ما يريد الان ان يحميني بقوته ولو انه حفظني حفظا بديعا في

طول هذه المدة المديدة • ولما كنت متقلبا علي فراشي كنت اقول في قلبي ما اتعس عيشة الانسان وكربها لانها مملوءة من الاحزان والبلايا • وكيف ان محبتنا تتقلب علي ما يناسب الامور فنحب اليوم ما نبغضه غدا فهكذا كنت افتكر واثبت بنوع جلي لاني سابقا تدمرت لاجل كيفيتي اذ انني انفصلت من جميع معارفي وخلاني بل من جميع الجنس البشري فكنت اتنهد اوقاتا ما واتنفس الصعدا لما اري ان ولا انسان يسليني واين ما ادير وجهي ما اري سوي الخلا فقط • فلما لاحظت حال حيوتي سلمت امري لله وشكرته علي ما سكب علي من الخيرات الواهبة واكتفيت بما انعم علي ولا اجادل خالقي اذ انه يدبر الكل حسبما تقضي به حكمته الغير المتناهية وانه لايظلم احدا لكنه يسبغ نعمة علي الاخيار والاشرار ويمطر علي الصالحين والطالحين فلما معنت بنظري في هذا كله وجدت للوقت اني

ملتزم ان اتكل عليه اتكالا وثيقا ولا اقطع صلوتي وتضرعاتي لديه تعالي واسلم امري لمشيته الالهية وكيف ما يشا يدبرني .

فذات يوم صباحا وانا ملقي علي سريري خطرت هذه الكلمات المقدسة علي بالي وهي ادعني في يوم حزنك فانقذك وتمجدني • فقمت من سريري فرحانا وهذه الجملة اثرت في ولم تبرح من بالي فجثيت علي ركبتي وبديت اصلي واقدم الشكر لله تعالي ولما فرغت اخذت الكتاب المقدس لاقرا فيه فلما فتحته اتت قدامي هذه الكلمات الالهية وهي اصطبر للرب وكن فرحا وهو يقوي قلبك اقول لك اصطبر للرب • فهكذا تعالي اعطاني تسلية روحانية حتي انه يزيح عني ساير اسباب الغم والحزن

فبعد ما كان الخوف زاعجني ثلثة ايام وثلثة ليالي خرجت اخيرا من منزلي وحلبت المعزي وجبنت الحليب وبعد ذلك ذهبت الي المحل الثاني الذي

عمرته فحلبت ايضا القطيع الذي سبته هناك ولما انتهيت من عملي نزلت الي الشاطي مرة ثانية وبديت اقيس طبعة القدم علي قدمي لانظر ربما ان رسم هذا القدم هو من رجلي فوجدته اكبر من رجلي جدا • وهكذا رجعت الي منزلي مثبتا ان انسانا غريبا داسني وانا لم اعلم اوان الجزيرة مسكونة

فبديت افتكر ماذا افعل حتي اصون نفسي فداولت ذلك في ضميري والتمست اولا ان اخرج القطيع واذهب به الي قلب الزور حتي اذا اتي العدو علي لايجد له اثرا •ثانيا اني استعجل بدق الشعير وتذريه • ثالثا اردت ان ادثر ما عمرته ونصبته ليلا اذا اتي احد فيري ان هذا المكان معمرا فيعلم انه مسكونا فيتقدم الي منزلي ويبطش بي ويقتلني

اما عيني فما كانتا تتغمضان فاستقمت قلقا طول الليل واناخانس في سريري ومتقلب علي جانبي

الي ان طلع النهار وكانت صبحية رايقة • فقمت من عظم انزعاجي وتشرفت فقلت لابد ان هذه الجزيرة مسكونة نظرا لخصبها ومياها واشجارها وصحة اقليمها وليست بمهجورة كما ظننت سابقا • فللوقت لاحظت الي حالي فندمت كوني جعلت باب منزلي بعيدا من الحصار فاهتديت ان افتح بابا اخرا قريبا فشرعت في العمار وعملت الطريق مابين الاشجار التي غرستها منذ اثنتا عشرة سنة وقد عوسجت مع بعضها وفتحت في قلب السور سبعة متاريس وفي كل متراس وضعت بندقية كمثل المدفع • وبعد جملة ايام انتهيت من عملي وفي كل مكان غرست شجرا دايرمنزلي مقدار عشرين الف شجرة وفضلت ما بينها وبين الحصار مفارا حتي استطيع ان اري العدو اذا جاء علي وبعد سنتين كاملتين عرشت تلك الاشجار ومدت اغصانها وحبكت مع بعضها وفي مدة ستة سنين عكفت جدا وصارت كانها زور

عاص ولاجل صيانتي ما تركت مجازا للدخول او للخروج

فكل هذا التعب والنصب كان من افكاري المخوفة اذ اني رايت رسم قدم الرجل ولا اكتفيت بما فعلت بل فحصت عن مكان اخر في الناحية الغربية من هذه الجزيرة حتي اني اربي لي قطيعا اخرا فجلت حينيذ في الناحية الغربية حسب اختياري ولقيت نظري ناحية البحر لالنظر قاربا او شخطورا من البعد فرايت اشيا عايمة علي وجه البحر فما وكدتها جيدا ان كانت قوارب اما اسماك عايمة ثم اني ختمت وقلت ان رسم القدم الذي رايته ما كان مستغربا لان الجزيرة مندعاسة فقلت لابد ان هذه العايمة علي وجه البحر انها قوارب البربر فباركت الله لاجل انى طرحت علي الجانب الاخر من الجزيرة حيث ولا واحد من البربر حسب ظني انه اتي • فلما نزلت من الاكام الي الساحل حالا ثبتت رايي • فلا واحد يستطيع ان يلخص عن

انزعاجي وارتعابي لما رايت الارض مملوة من الجماجم والايادي والارجل وعظام الاجساد البشرية لاسيما اني رايت مكانا فيها تكية محتاطة كحلقة وفي وسطها اثر نار فعرفت وقتيذ ان هذا هو مجلس البربر الاشقيا لما ياتون باسرا ليذبحوهم وياكلوهم

فزاد ارتعابي وخوفي من هذه المشاهدة المرهوبة واغشت ذهني وحصل لي من ذلك وجع القلب فرجعت وقتيذ الي منزلي وانا مكتئب ودموعي هاطلة علي وجنتي فخررت علي ركبتي وشكرت الله لاجل انه اغشي بصايرهم وخلصني من بين اياديهم ولوان ضميري وسكنتي الطويلة في هذه الجزيرة حققا لي ان البربر لن ياتوا الي هذا الجانب من الجزيرة المحرش والا لي واسطة ان ادرك بها الاكتشاف مع ان هذه الروايات تجعلني دايما متحذرا • وبعد ذلك بسنتين شغلت نفسي في ثلثة اشيا وهم عمار قصري ونظام ملكي وتعديل الاشجار التي شتلتها ولو انها اخذت زمانا طويلا

فهكذا كيفياتي دامت مدة طويلة هادية
وغير مضطربة ولوان لخوف المريع الذي سببوه لي
البربر نزع الامور التي اخترعتها لاجل قضا مصالحي
فذات يوم اخترعت ان اعمل لي بوظا حقيقة
كان ذلك الامر من الممتنع لانني خالي البراميل
ولا استطيع ان اعمل براميل جديدة تقدر ان
تحفظها ولا كان لي رجا انهاتبقي سالمة لانني كنت
خالي الحلل حتي اغليها ولا كانت عندي ايضا
خميرة اخمرها بها • فقلت حينيذ ربما بعد جملة
سنين اني اقدر ان اعمل لي بوظا كما اجتهدت
وعملت اشيا اخرة فالان اختراعاتي صارت نوعا اخر اي
كنت افتكر ليلا ونهارا كيف انجو من بين يدي
البربر اذا اتوا الي هذه الجزيرة • فقلت اجتهد بكل
حيلتي والاشي بعض من قواربهم لما يجتمعون ويضحون
الذبايح الانسانية واخلص من بين اياديهم نفرا
حتي يخدمني • فتاجيداتي كانت متعددة في هذا
النوع بعد ان قلبتها وداولتها في ضميري واستحسنت

الافضل منها فخطر علي بالي مرة ما ان احفر حفرة تحت الموقد الذي يولعون فيه النار واضع فيه مقدار ستة ارطال بارود حتى اذا اجتمعوا حسب عادتهم فيوج ويحرقهم ولما كنت ناويا هكذا تغير رايي فقلت اني في هذا العمل اتلف بارودا كثيرا ولا استفيد شيا وربما يقتل قليلا منهم والبقية ينجون ويطلبون اثري فركنت هذا الراي وقلت انه ركيك وافتكرت فكرا اخرا وهواني اختفي في حرش قريبا من المكان الذي يجتمعون فيه واخذ معي ثلثة بندقيات وكل واحدة منها احشيها رصاصتين ولما يلتبكون في تضحيتهم الذبايح الانسانية فاطلق النار في وسطهم فاقتل في كل حشوة مقدار ثلثة اواربعة اشخاص واهجم علي البقية بطبنجاتي الاربعة ولا ادع واحدا ينجي من يدي فهذا التخيل اعجبني جدا حتي كنت احلم به في كل ليلة واري اني فاعل هكذا ولاجل اكمالي هذه الغاية كنت افتش علي مكان

لايقه لقصدي واني اقدر اختفي فيه حسب
ابشاري واكون اري البربر وفعايلهم السمجة
ولا ادع احدا منهم يراني فوجدت مكانا حسب
مطلوبي واخذت البندقيات وحشيتها رصاصتين
رصاصتين وذخرتها وحضرتها وكانت عندي
بندقية مدرهمة فحشيتها ايضا خردقا حشيا جيدا
وذخرتها وركنتها مع البندقيات وحشيت الطبنجات
خردقا خشنا وذخرتها وعلقت سيفي معها وهكذا
هييت نفسي للقتال مترقبا اتيانهم في كل ساعة
وفي اليوم الاخير صباحا بعد شروق الشمس
صعدت علي اكام شامخ وتشرفت جيدا لاري هل
اتي احد من اوليك البربر فكنت بالجهد اري لان
المكان الذي اتشرف منه بعيد من المكان الذي
يجتمعون فيه مقدار ثلثة اميال فدمت علي
تلك الحالة ثلثة اشهر كل يوم اتشرف من اعلي
الاكام فما كنت اري احدا سوي نالني التعب
من ذلك الامر والاجتهاد الفارغ

فالان اني حاججت ذاتي هكذا اي ان الافضل بي ان لا ابطش باحد منهم وابقي غير معلوم في هذا المكان من احد طالما اقدر احجب نفسي عن العين لان في فعلي هذا اي اني اقتل بعضا منهم اجلب علي الهلاك في الدارين لاني من اين اعلم اني اقدر ان اعدمهم كلهم فمن غير شك ان البقية يطلبون اثري فيقبضوني ولا يدعوني افلت من بين اياديهم وربما ينجي بعض منهم فيذهب ويجمع الوفا فياتون ويهلكوني او ياكلوني وانا في قيد الحيوة • وللوقت تذكرت كلامه تعالي اي لا تقتل فبديت افتكر انه لا يجب علي ان افعل هذا الامر اي ان اقتل الغير لان القتل مضادد لالتزاماتي المسيحية واكون مرتكبا خطية سفك دم انسان دم زكي • فاقول زكي نظرا الي بالتخصيص لانهم ما فعلوا معي شيا ولوانهم يقطعون بعضهم وياكلون الواحد للاخر فانهم ما ضروني فالافضل بي اني اسلمهم بيده تعالي الذي له الانتقام والجزا اذ انه

قاضي عادل وكلما يليق لحكمته الفايقة يفعل معهم • فللوقت خررت علي ركبتي وتضرعت اليه تعالي ان يغفر لي ما افتكرت ان افعله وينجيني من ايادي السافكين الدما وان يحميني ان لا اسقط في اياديهم

فرفعت من فكري ما كنت طالبا ان افعله ومن ذلك الوقت ما صعدت ابدا علي الاكام حتي اتشرف فاهتديت اخيرا علي راي اي ان احول القارب من مكانه فذهبت حالا واتيت به اذ كان مربوطا علي الجانب الاخر من الجزيرة ولميت كلما كان لي هناك من الامتعة وقدمت بها الي الناحية الشرقية وربطته في داخل كهف حتى لا احد يكشفه ولا يكون سببا للبحث عني • ثم جعلت قصري قلاية وكنت اعبد الله فيه ولا كنت اخرج منه سوي لما كنت اذهب واحلب المعزي والقطيع الصغير الذي نقلته في الزور وكان محفوظا خالصا من كل خطر • وفي ذلك الحال كنت متحققا

ان ولا واحد من هولا البربر اتي الي هذا المكان
حتي ولا ابتعدوا من الشاطي ابدا حيث انهم
اتوا مرارا متواترة الي هذه الجزيرة • ولما كان في
ذات يوم اتوا البربر المستكليين وخرجوا علي الجزيرة
حسب عادتهم فارتعبت لما رايتهم فتطلعت وراء
مع الانزعاج فافتكرت وقتيذ علي اي حالة انا حاصل
لاني لاقيتهم سرعة ولا انا متحضر وخالي الاسلحة
وليس معي سوي بندقية واحدة محشية بخردق
خشن وكيف ما ارتعب ويغشي علي اذ اري
قدامي نحو عشرين نفرا • فلو راوني للحقوني
مع سرعة جريهم ولا دعوني ان افر من بين اياديهم
فهذه الافكار بدت ان تضيق نفسي وتنحل
جسدي فحصلت في ذلك الوقت علي كابة عديمة
الشبه الي ان العناية الالهية ازالت عني هذا
الوهم من قلبي وبديت اتامل باقتدارات العناية
الالهية المقدسة التي لا يفهمها احد وقلت ما اعظم
تحنن الله نحو البشر وكيف انه يخلصنا خلاصا

عجيبا لما نعدم حسنا ورأينا بالكلية ونختار بامرنا ولا نعلم ماذا نفعل لما يتراكم علينا ورط الارتياب والعجلة ما اعظم الرشد المقدس الذي يرشدنا به تعالي خفية ويقودنا في الطريق المسهد لما نجتهد ان نخرج منه ونشماز منه

فاضطرابات الضمير واعتنائي في محافظتي عالجتها في الاختراعات الآتية وفعلي ضد اجتهادي السابق ٠ فامتنعت عن العمل الذي يطلع له حس مثل التجبير ودق المسامير وقطع الخشب وتقويص البندقية وارتأيت ان لا اشعل نارا ايضا ليلا احد يسمع صوتا او يري دخانا فيطلب اثري وبما اني كنت معتادا ان احرق فخاراً دخلت داخل الكهف الذي وجدته في الزور وكنت احرق كلما اعتاز اليه فذات يوما احوجتني الضرورة ان احرق فحما لاجل الخبيز والطبخ ولما كنت اقطع خشبا من الشجر لاجل ذلك القصد كشفت كهفا كان مستترا في الاشجار العاكفة فتقدمت علي

الشجرة التي كات ساترته فقطعتها ونظفت القصب والبردي اذ كانت ملزوزة مع بعضها فكشفت بابه ودخلت فيه وكان عاليا كافيا لي ان اقف داخله من غير ان احبي ولا راسي يدق السقف فلما دخلت قليلا رايته بدا يضيق واخيرا بديت احبي على يدي ورجلي ولما دخلته وجدت سقفه عاليا فوقفت وتحققته جيدا وبديت انظر في حيطانه فرايت واذا سقفه وحيطانه ترهج فحسبت انها مطلية بذهب ابريز او انها حجارة كريمة اومرصعة بالماس وهاج حقيقة ان ذلك الكهف كان من عجايب الزمان ولو ان مدخله مظلم • واما ارضه فكانت يابسة ومسمهدة وتري حصي ملونا مفروشا عليها ولا كان فيه وحش ولا دبيب اخاف منه فعيبه كان ضيق الباب فبديت ان افتكر واقول ان هذا المكان هو مناسب لحفظي وارتايت ان اعمله مخزنا لي فانطلقت حالا واتيت ببندقيتين مدرهمتين وثلثة بندقيات رصاصيات وعلقتهن داخله

واتيت بصندوق ووضعت فيه ستة ارطال بارود يابس وجرابا مملوا رصاصا وخردقا وبعد ذلك حولت غزالي من منزلي ونويت ان اسكن فيه مستامنا

فالان لي ثلثة وعشرون سنة منذ لقيت علي هذه الجزيرة القشرا واما افكاري فركنت اكثر من قبل وحصلت علي راحة عظيمة عديمة الوصف وجميع قلقي وارتيابي زال عني وفارقني بالكلية واردت ان اقضي وقتي في الابتهاج الوافر وان انبسط ولا افتكر عن شي البتة • ففي هذا الاوان تعلم الببغال لغتي وكان يلفظ الكلام لفظا فصيحا جليا فهذا كان لاجل تعبي واعتنايي ان يتكلم ويسليني لاني كل يوم كنت اقضي معه حصة واعلمه واما كلبي فعاش تسع عشر سنة ست عشر منها عاش معي في هذه الجزيرة وبعد ذلك مات • واما قططي فتكاثرن جدا حتي اني التزمت ان اقتل منهن واهرب البقية إلي الزور ماعدا ثلثة منهن حويتهن

ليصطادن للجرادين والفار وماعدا هولا حويت ثلثة جديان لالعب معهم وكنت اعلمهم ان ياكلوا من يدي وايضا حويت ببغالين اخرين وكنت اعلمها ان يقولا روبنصن كروزي لكنها ما برحا في اللغة والكلام مثل الاخر نظرا لقلة كلامي معها وكانت عندي طيور كثيرة مسكتها وقصيت اجنحتها وسيبتها داخل قصري ومع كل ذلك ان الصدف الغفلية كانت تلاشي بغتة تمتعات احوال هذه الحيوة الغير معلومة اذ انني ما كنت مترقبا لها ابدا• فاما هذا الزمان الذي انا مخبر فيه عن احوالي هو شهر كانون الاول وهو زمان للحصاد في هذه الاقاليم وكنت مستعدا لحصاد الشعير والارز وان ادقها واذريها قبل ان ياتيني الصيف الحر الشديد• فلما بدرت ذات يوم صباحا حسب عادتي لاذهب الي شغلي (وكان ذلك قبل مايشق الفجر) تراي لي من ناحية ساحل البحر وجة لهيب بعيدا مني مقدار ميلين فقلت لا بد ان البربر

اتوا الي الجزيرة وهم الذين عملوا هذا النار فلما بديت افتكر في هذا الامر تراكم علي خوف مرعوب وانزعاج لا يوصف لقربهم من المكان المزروعة فيها اغلالي

فبديت افتكر هكذا واقول ربما انهم يبتعدون من الشاطي ويرون الزرع فيعرفون ان هذه الجزيرة مسكونة فرجعت حالا الي منزلي وصعدت الي القصر ورفعت السلم الي فوق حتي لا احد يقدر ان ياتي الي • وحضرت نفسي للقتال فحشيت البندقيات والطبنجات وسلمت نفسي بيده تعالي وهو يحميني وينصرني عليهم وحتمت ان اقاتل الي اخر نسمة حيوتي • فبعد مقدار ساعتين قلقت ولا قدرت ان اهجع ساكتا في القصر محبوسا الا اني قمت حالا وصعدت علي الاكام حابيا ليلا يفقشني احد منهم فانضجعت علي بطني واخذت النظارة في يدي وميزتهم جيدا فرايت واذا تسعة انفار جالسين حول نار مضطرمة عرايا وباياديهم لحم الناس الذين قتلوهم وهم ينهشون به كانهم

كلاب مكلوبون وكان صحبتهم قاربان مربوطان
علي الشاطي وهم منتظرون تغيير الطقس حتي
يذهبون الي بلادهم • فلما رايت ذلك تحيرت
خصوصا لما رايتهم قريبين مني واذ عرفت ان
قدومهم مع هبوب الريح هدم انزعاجي وقطع
عقلي حالا اني اكون مطمانا طالما الريح مضاددة
لهم ولا واحد منهم ياتي الي ههنا بشرط ان كانوا
ما اتوا قبل عدال الريح التي انا في صددها •
وبعد برهة وجيزة تغيرت الريح فركبوا القاربين
وذهبوا في حال سبيلهم فلما رايتهم انهم ساروا وابتعدوا
من الشاطي اخذت بندقيتين معى وطبنجتين
وتلقت سيفي الكبير علي جنبي وذهبت الي
الاكام الذي كشفت منه اول مرة هولا البربر
فرايت ان ولا واحد بقي منهم في الجزيرة فذهبت
الي المكان الذي كانوا مجتمعين فيه فرايت بقايا
الذبايح وفضلاتها مثل دم وعظام وحشرات البطن
وجماجم وقطعا اخرة من الاجساد البشرية مخلوطة

مع بعضها فارتعدت للوقت وبديت ارجف من خوفي وغيظي وكانت اسناني تدق مع بعضها من الامور التي شاهدتها عيانا • فقصدت ان انتقم منهم حالما يطلعون علي هذه الجزيرة ولواني اعدم حيوتي فتراى لي ان اتيانهم الي هذه الجزيرة ليس متوافرا لكنهم في النوادر ياتون لما يحدث لهم حرب مع بعضهم ويمسكون اسرا كما بلغني الخبر عنهم وانا في اميريكا وكيف هي حالة امورهم فالان لهم خمسة عشر شهرا منذ اتوا الي هذه الجزيرة اخر مرة• واما فكري فما زال منزعجا ومضطربا لنظرا للامور التي شاهدتها والفعايل المقبوحة التي رايتهم يمارسونها امامي• ومن ذلك الوقت وصاعدا ما بقت لي جراة ان اقوص ببندقية فى تلك الناحية من الجزيرة حيث انهم يجتمعون ويتمتعون بلحومة بني البشر خوفا ليلا يسمعون صدفة ويرجعون علي بماية قارب وفي ذلك الوقت الله وحده يعلم ماذا يفعلون بي وماذا تكون غايتي ومن هذا

الوقت الي سنة كاملة ما رايت ولا قاربا تخايل امامي

وفي تلك المدة حدث امر مغم جدا يستحق له الحديث والاستماع• وذلك انه في اليوم السادس من شهر ايار بدت الريح تهب هبوبا مزعجا وصارت زوابع مخوفة وكانت الامواج تتعالي كانها جبال وفي طول النهار مابرح البرق لامعا والرعد هادرا ولما صار الليل ازداد جدا ولعظم خوفي اذ انني ظننت ان الجزيرة ستغوص في البحر من عظم الرعد والزلازل اخذت الكتاب المقدس وبديت اقرا واطلب منه تعالي ان يحفظني بيمينه ليلا اهلك بغتة وبينما انا اقرا بحرارة سمعت تقويص مدفع فخمنت انه صعاقة فقست في البحر ولما تفطنت فى الحس جيدا قلت ان ذلك الحس هو حس تقويص مدفع وليس هو صعاقة• فقمت علي رجلي حالا وانا مرتعب وطلعت علي الاكام فما اري الا ونارا وجت في البحر واخيرا اعطت حساقويا فثبت ان

ذلك الحس هو حس مدفع فلمحت الضو بارقا من المكان الذي القاني البحر عليه فما بقيت اعرف ماذا اعمل فقلت لابد ان مركبا جري له شي وراكبونه متضايقون وتقويص المدفع هو علامة ضيقتهم وحتي يسمعهم احد فيذهب اليهم وينقذهم • فلا احد يعلم ماذا حل بي من الغم والحزن ولا طالع من يدي شي حتي اعينهم • ثم جمعت الحطب اليابس الذي كان حاضرا عندي في ذلك الوقت ونصبت مصطبة عالية ووقدت عليها النار • فانا لمتحقق انهم راوا النار لانهم قوصوا مدفعا اخرا حالما قام اللهيب • وبعد ذلك قوصوا مدافع عديدة علي امرار وكان ياتي حسها من مكان واحد • ولما عرفت ان تقويص المدافع هو ضيقة اهل المركب وانهم في خطر دمت ساهرا تلك الليلة شاعل النار من غير انقطاع وحين طلع النهار همدت الريح قليلا مديت نظري فرايت شيا من بعيد عايما علي وجه الما فما كنت

قادرا ان اميزه ماذا يكون حتي وفي النظارة نظرا للشابورة الكثيفة التي منعتني عن غايتي • ثم بعد قليل اضمحل الضباب وقويت نظري وحدقت جيدا فرايت شيا واقفا غيرمتحرك فعرفت حالا انه مركب ملقي علي الصخور ولما اقتنعت وتيقنت ايقانا ثابتا انه كما اني زاعم ذهبت حالا واخذت بندقيتي وانطلقت الي الناحية الجنوبية من الجزيرة الي المكان الذي لقاني البحر عليه• وللوقت راقت الريح وهمد ضجيجها والضباب تلاشي بالكلية نظرا لحمي الشمس والبحر غلن وصار كانه بركة واقفة • ولسو حظي رايت ان المركب ملقيا علي الصخور المغطية بالما التي وجدتها لما ذهبت مرة ما في البحر وانا راكب القارب فقلت ماذا افعل حتي اكسب شيا من هذا المركب

فلما لاحظت عن كلما يخص هذا المركب المكسر وتحققت انه ولا واحد من راكبينه خلص تراكم علي الغم سرعة وصرت حزينا جدا كان ساير

احبابي ماتوا وتاوفت قايلا ياليت شعري انه خلص
منهم واحد اواثنان حتي كنا نعيش سوية ونعزي
بعضنا في هذه الجزيرة الخالية من الانس والجنس
وهكذا شوقي تحرك حتي لما قلت يا ليت شعري
انه خلص منهم واحد او اثنان بدات يداي ورجلي
ترتعش واسناني تصر مع بعضها ولما كنت متحيرا
ومغموما وجدت جثة ملقية علي الشاطي بعيدة مني
قليلا فقصدتها لاراها ماذا تكون فوجدتها جثة بحري
غريق وكان عليه صديري وقميص كحلي • اما انا فكنت
اشا ان اعلم من اية امة هو فمددت يدي في
جيبه فوجدت قرشين وسبيلا واذ رايت البحر
مغلنا اجتهدت وخاطرت بنفسي ان اخذ قاربي
واذهب الي هذا المركب اذ اني قلت ربما اجد شخصا
ما حياء علي المركب فاتي به الي البر وانقذه
فرجعت حالا الي منزلي وانا مفتكر هكذا وحضرت
كلما اعتاز اليه للسفر مثل عرق وخبز وزبيب وما
واتيت الي قاربي ووضعت كل شي فيه وتسلمت

بكلب حي ينعوص من اعلي المركب ويهز لي
بذنبه فدعيته الي فمن شدة جوعه طرح نفسه
في البحر قصده ان ياتي الي فمددت يدي واخذته
الي القارب ووضعت قدامه خبزا فاكل كانه ذيب
مدهوش وبعد ذلك صبيت له ماء في وعا فشرب
وطابت نفسه فطلعت وقتيذ علي المركب بحبل
لانظر شيا ما ينفعني فدخلت اولا في المطبخ
فرايت رجلين مايتين الواحد ماسك الاخر فقلت
كم مقدار غطس في قلب المياه هذا المركب حتي
غرقا هذان الرجلان فيه ولما كنت ذاهبا واتيا من
مكان الي مكان علي ظهر المركب لاري مافيه عثرت
بعدة براميل خمر فما كنت اعلم انها مملوة خمرا
ام عرقا ولا كنت اعرف كيف استطيع ان احدرها
في القارب لانها كانت كبيرة تفوق قوتي وعلي
ذلك النحو عثرت بصناديق عديدة فظننت
انها للبحريين فتحارفت علي اثنين ونزلتها في
قاربي من غير ان افتحها واري ما يوجد فيها ولما

كنت افتش عثرت بيرميل مملو كسير للحياة
فتحارفت عليه واحدرته في قاربي ونزلت في القمرة
فوجدت بندقيات عديدة فتركتهن ولكن اخذت
معي برميلا صغيرا مملوا بارودا واخذت ايضا زناداء
وصوفان ودستين وبكركا لغلي القهوة وهاونا لدق
الملح والفلفل وغيرهما فهذه كلها كنت اعتازها
جدا لاسيما الزناد والصوفان فعبيت كل هذه
الاشيا واخذت الكلب ولزمت طريقي راجعا الي البر
فبديت اقدف بكل بتعي فبالجهد وصلت الي
البر في الغروب بعد ان قاسيت تعبا ونصبا

فبت تلك الليلة وارحت جسدي المتعوب حاتما
اني اقوم صباحا وإنقل كل الاشيا التي اتيت بها الي
منزلي الجديد الذي وجدته تحت الارض ولا
انقلها الي القصر القديم فبعد ما ان عافرت ونقلتها
كلها بديت افتحها واري ما فيها فعجبتني غزوتي
اولا اني لما فتحت البرميل وذقت كسير للحياة
الذي فيه فكان خارقا ولا له نظير ثم فتحت

صندوقا واحدا فوجدت فيه اشيا متعددة نافعة لي وهي هذه صندوقا صغيرا مملوا قنزايزماء كزبرة البير ووجدت ايضا عابتين مملوتين حلويات واخرتين ايضا من جنسها وانما ما البحر عدمها ووجدت ايضا جملة قمصان جديدة فبهذه فرحت فرحا عظيما جدا ومقدار خمسة عشر منديلا من الكتان الرفيع وهذه ايضا وجدتها لقية لان محارمي تشرمطت ولا بقي عندي شي امسح وجهي به ووجدت ايضا ثلثه اكياس مملوة دراهم فرانسا ودبالين • ففتحت الصندوق الاخر فوجدت فيه ثيابا مخلقنة ومقدار رطلين بارود ذخير فالاشيا التي اتيت بها رايتها ما تحرز شيا ولا اقتنعت بها فالفلوس عددتها كالزبل ولا اعتبرتها ابدا لانها من غير نفع ولا فايدة يحصل لي منها • فاردت من كل قلبي ان ابدلها بثلثة ازواج صرامي انكليزية او بخمسة ازواج جوربات لان الصرامي التي كانت عندي تخلقنت كلها وذابت ماعدا الزوج الذي

نزعته من رجلي البحري المنكود الحظ الذي وجدته ملقيا علي ساحل البحر ففي الصندوق الثاني ما وجدت ذهبا ولافضة فتراءي لي ان الصندوق الاول كان لقايد اورذيس والثاني يبان ممافيه لرجل بحري من جملة البحرية وبما ان الدراهم كانت محقورة بعيني هكذا طرحتها علي جانب في المغازة كما فعلت بالفلوس التي اتيت بها من المركب الذي اتيت فيه وحتمت ان اردها الي اهل اصحابها اذا اردني الله الي بلادي• وبعد ما فعلت كل هذه رجعت الي قاربي واتيت به الي المينة القديمة وربطته في مكان حصين ولما رجعت الي قصري ورايت ان عندي كلما احتاجه افتكرت ان اقرمط علي نفسي ولا ابدرق هذه الاشيا واشحط بها ليلا اقع في العازة بعد ذلك• ولو اني كنت عايش عيشة مرفهة ولست مفتقرا الي شي لازم مع اني كنت قلقا جدا نظرا لهذيذي بالبربر واتيانهم الي هذه الجزيرة وكنت احتفظ جدا علي ذاتي فافتكرت ان

انا فعلت هكذا واستحضرت علي ذاتي فلا ينالني ضرر وهذا كله باطل لان البربر ما يجولون ابدا للجزيرة لاسيما هذا المكان القايم انا فيه

فذات يوم قمت صباحا بعد ان قضيت سنة ونصف في امان الله وتشرفت الي ناحيه البحر فرايت خمسة قوارب مربوطة علي الشاطي فانزعجت للوقت وبدا يرجف جسدي كله وارتخت مفاصلي ولاكنت اقدر امشي لعظم خوفي فتشرفت جيدا علي الشاطي فرايت البربر كلهم واقفين علي الشاطي فخلطني الندم اذ اني ما تجارفت علي هلاكهم قبل ما اتوا ولا بقيت اعرف ماذا اصنع فقمت داخل القصر غير متململ ولا جاعل سببا ان يعرفوني وحضرت نفسي حتي اذا اتوا علي فاكون مستعدا لمقاتلتهم فمكثت داخل القصر مدة وبعد ذلك حمي علي طبعي فما هضمت ان اصبر اكثر من ذلك لكنني اخذت سلاحي وبندقيتي وصعدت علي الاكام لاتشرف فصعدت وانا حابي ومتختل بين

الصخور ليلا يراني احد منهم فوقفت ورا صخرة ونظرت بالنظارة واذا هم مقدار ثلثين عبدا قد احتاطوا حول نار مضطرمة ناهشين باسنانهم كالكلاب لحم الذين اتوا بهم وذبحوهم وكانوا ياكلون اللحم بشهوة وينغنغون العظام والبعض كانوا ياخذون قطعاء من اللحم وياكلون ويرقصون وينطنطون كانهم ظافرون باعدايهم والاشيا التي فعلوها كانت هولا البربر بشعة وتقشعر لجسم

ولما حدقت نظري بهولا الناس غشيت من جزعي لاسيما لما رايتهم ساحبين رجلين من القارب ليفعلوا بهما ذلك الفعل الشنيع كما فعلوا بالاولين فحالا ضجعوا احدهما علي الارض وذبحوه بسيف من خشب حسب عوايدهم اليابسة وهذا كله كنت اراه جليا بنظارتي ثم تقدموا عليه كالذياب وبدوا يقطعون من لحمه ويضعونه في النار وياكلونه واما الاخر فكان واقفا علي ناحية منتظرا اجله كانه حمل مستعد للذبح والمذكور لماراي الاحوال وماحل

برفيقه اذ انه في دقايق قليلة تقطع اربا اربا واكلوه حزن وبدت الدموع تهطل من عينيه ثم تطلع حواليه وهو مضطرب من الموت ولما رأي له فرصة للهروب (وهم كانوا مشتغلين باكل رفيقه) تطلع يمينا وشمالا وهو خايف على حيوته وساب رجليه هاربا منهم كانه طير فزعا ليلا يلحقه احد ويقبضه ودام جاريا الي ان آتي قدام قصري القديم

فلما رايته داس ارضي وانه يكون سبب كشف حالي خفت جدا لاني ثبت في ظني لابد انهم كلهم يتبعون اثره ليقفشوه ثم يرون العمار فيعرفون ان هناك ساكنا. فتشجعت وقلت اني اريد افتك بهم واجعل جثثهم ماكلا لطيور السما ولحيوان البحر فما زلت متخبيا في مكاني طالب اخر الامر. وبعد قليل لاحظت جيدا ورايت واذا ثلثة رجال شردوا من البقية واتبعوا اثر الذي هرب منهم. اما انا ففرحت فرحا لا يوصف

عند ما رايت خفة جري المسكين الذي كان مستعدا ان يذبح ونهج امام طالبيه وسبقهم جدا فلاحظت عيانا اي اذا جري مقدار نصف ساعة فمن غير شك انه ينجي من بين اياديهم فبالاثني توجه علي للخليج الذي طلعت منه لما طرحني البحر علي البر فانحصر ولا بقا له مفر ان ينجي من بين اياديهم فقلت الان يقبضونه اما المذكور فكان يعرف يعوم واذ حصروه طرح نفسه في الخليج وعام مقدار ثلثين فوجة ثم طلع علي البر الاخر من الخليج وبدا يجري كانه ريح فلما اتوا الثلثة الطالبون اثره الي الخليج رجع منهم اثنان لانهما ما كانا يعرفان ان يعوما وذهبا الي جماعتهما

واما ثالثهم فكان متشجعا وبليطا وانما كان قليل الجري فرمي نفسه في الخليج طالب اثر الهربان فقاج وعبر الما حالا لانه كان سباحا اقشر ورايته انه حتم ان لا يرجع خلاه • فرايت حينيذ ان الزمان قد حان ان اقتني لي خادما ومعينا

ولحظت كان العناية الالهية الهتني ان اخلص
نفس هذا المظلوم فحالا وضعت سلمي باستعجال
واخذت بندقيتي ثم تخروطت من غير اجعل
سببا ان يلمحني احد. وبديت احبي واجري
من ورا التل وملت الي ناحية البحر قاصدا ان
اعيق اللاحق عن مرامه والنتيجة قطعت من
نصف التل وصرت ما بينها وقطعت اللاحق
وصرخت علي الهربان ان ينظر الي ورايه فلما
التفت وراي ارتعد مني اكثر مما ارتعد من
العدو الهارب منه فاشرت له بيدي ان يرجع
وللوقت وصل الطالب اثره امامنا فاردت ان اقوص
البندقية في صدره الا اني خفت ليلا يسمعون الاخرين
ويكون الامر الاخير اشر من الحاضر فبديت اخمن
ماذا افعل هل انهم يسمعون ام لا فقلت ولو
انهم يسمعون الحس فما يعرفون ماذا يكون . ثم
ان اللاحق وقف وبدي ينظر الي متعجبا من اين اتيت
ولما تقدمت اليه رايت انه اخذ القوس بيده

واخرج سهاما من مخلاته ووضعه فيه وتقبل علي من غير كلام ولا حديث قاصدا ان ينشبها• فلما رايت ضرورة حفظ الحيوة قوصته حالا ولقيته ميتا علي الارض في اللحظة التي كان يريد ان ينزع بها حيوتي فلما شاهد هذا الامر الذي كان هاربا وقف صامتا غير متحرك وفزع عند ما راي عدوه ملقيا علي الأرض مايتا لانه ظن اني اريد ان انزع حيوته مثله وانبهت ايضا لما سمع صوت البندقية ووقف متحيرا غير متحرك كانه امراة لوط• فالتزمت ان اصرخ عليه ايضا ماشرا اليه باجلي بيان حتي يقرب الي فلحظت انه فهم هذه الاشاره اذ انه قرب الي ولما ظن اني اريد ان اقتله كما قتلت عدوه وقف مني بعيدا• وكان تارة يتقدم الي وتارة يقف في هذا النوع الي ان فهمت جيدا• انه خايف مني ليلا اقتله فتطلعت اليه ببشاشة وجه ولم ازل ماشرا له ان يتقدم الي ولا يفزع واخيرا• جاء ووقف حذاي وخر ساجدا وبدا

يقبل الارض قدامي ووضع راسه بين رجلي وكان يرفع رجلي ويضعها علي راسه ففهمت ان هذه العبارة انها اشارة الحلف انه يكون عبداً لي الي الابد• اما انا فرفعته من الارض وفرحته وجعلته يفهم ان لا يفزع ابدا

ان العجب والانذهال الغريب الذي حل بخادمي لما راي كيف قتل عدوه من بعيد من غير قوس ولا سهام وكان يشتهي ان يعرف كيفية الامر فاشار الي ان اعطيه اجازة حتي يذهب ويري عدوه المايت فاذنت له بالذهاب وبقدر امكاني كنت الاطفه واعطيه مرغوبه • فلما مضي الي عند الجثة تحير جدا وبدي يقلبها يميناً وشمالاً منذهلا لانه راي الجسد مجروحا من داخل فلما شبع من تقليبه يمينا وشمالاً متاملا كيف انه جرح وصدره مفتوح هكذا اخذ منه ذلك القوس والسهم ورجع الي• ثم اني درت وجهي قاصدا ان اذهب الي محلي فاشرت له ان يلحقني لئلا يلاحظوا

البقية لفقد رفيقهم فياتون ويهلكونا • فرايت انه فهم هذا الامر جيدا بتاشيره لي ان قصده يحفر ويطمه حتي لا احد يراه وبالاشارة انا ايضا اعلمته افعل ما تريد • فتقدم مستعجلا وبدا يجرف الرمل بيديه وعمل جومة عميقة ودحرجه فيها من غير كلام ولاحديث وجر الرمل فوقه ثم دعيته ان ياتي ورايي فاخذته الي المغارة في المكان الاقصي من الجزيرة • ولما وصلنا الي مكان الامان ورايته تعبانا لهثانا وقدخور من الجوع والعطش .اعطيته رغيف خبز وحفنة زبيب لياكل وقلة ما ليشرب فاخذ ما اعطيته وبدا ياكل ويشرب وينسر لخلاص نفسه من الموت الضريع ثم اني عملت له فرشة مناسبة محشية بالقش واشرت له ان ينضجع عليها وينام فطاعني وتمدد عليها ليستريح • حقيقة انه كان جميلا ناعم الاعضا ومرتفع القامة واما عمره فخمنته نحو ست وعشرين سنة ووجهه كان بشوشا خصوصا لما كان يضحك فحلاوة الناس

البيض كانت عليه وشعره طويلا وأسود نازلا علي اكتافه وجبهته كانت عريضة قليلا وعالية وعيناه كانتا تغزلان كانها عيون الريم واما جلده فما كان اسود كجلد الاميريكانيين لكنه كان يضرب الي الكمودية وانه كان مدور الوجه ومنمنم الانف وصغير الفم ورفيع الشفتين وابيض الاسنان والنتيجة ان جسمه كله كان خاليا من العيوب كجسم ابيشالوم

فبعد ما نام مقدار ساعة ما وانا كنت وقتيذ احلب المعزي قايما قريبا منه ما اري واذا هو قايم بسرعة من علي فراشه فاتي الي. ولقي نفسه علي الارض ساجدا امامي وكان يومي الي ماشرا انه شاكر افضالي التي فعلتها نحوه اذ اني نجدته من يد عدوه ثم رفع راسه ايضا علي الارض. قريب رجلي الواحدة واخذ رجلي الاخري ووضعها علي راسه كما فعل سابقا موضحا لي بالاشارة انه خادمي ومملوكي وكان يفهمني بالاشارة ايضا انه يريد يخدمني الي اخر نسمة حيوته واذ رايت انا



١٩

روبنصن كروزي يخلص جمعة خادمه من يد القاتل

هذا منه جعلته يطمان علي نفسه ولا يفزع وعرفته بالاشارة ايضا انني فرحان به جدا وبعد مدة قصيرة بديت اتكلم معه واعلمه كيف يتكلم معي

وقبل كل شي جعلته يفهم ان اسمه جمعة من اجل اني خلصته نهار الجمعة وعلمته ان ينده لي معلم وفهمته ان هذا هو اسمي وعلمته ايضا ان يقول نعم ولا وفهمته ما هو معنا نعم ولا. ثم اعطيته حليبا في وعا فخار وخبزا فاخذت انا افت الخبز قبلا واغمسه في الحليب وبديت اكل قدامه قصدي ان يتعلم مني اما هو ففهم ما عملت واخذ الخبز وفته وغمس واكل حتي شبع ولما انبسط قام وبدي يستكثر بخيري ويدعي لي

فطول تلك الليلة جعلته يقيم معي ورقد مبسوطا ولما طلع النهار واشرقت الشمس امرته ان يقوم وياتي معي واشرت له اني اريد اعطيه لبسا كمثل لبسي اما هو ففهم ما عنيت له

وابتهج لانه كان عريانا بالزلط ولما سرنا قليلا واتينا
الي المكان حيث مدفون عدوه اشار الي موميا
لي بيده العلامة التي عملها علي قبره واشار الي
ان يحفر عليه لناكله فاذ رايت منه هذا قطبت
وجهي واظهرت له اني متقرزز من هذا الامر ومستبشع
جدا واوميت له كاني اريد ان اتقيي • ثم اشرت
له بيدي ان يمضي بنا فسمع مني طايعا وتسرسب
قدامي وبعد هذا اخذته الي راس الاكام ان
نكتشف هل ان البربر الذين اتوا به انهم ههنا
اما ذهبوا فتطلعت في النظارة جيدا وتشرفت
يمينا وشمالا في الارض التي كانوا مجتمعين فيها فما
وجدت لهم اثرا وما رايت ايضا ولا قاربا من
قواربهم وظهروا لي انهم لم يبالوا عن صاحبهم الذي
قتلته لانهم لو افتكروا عنه لكانوا فحصوا عنه او انهم
يتركون له قاربا حتي يلحقهم فيه بعد رجوعه
فاشتقت ان اطمان علي حالي واعرف هل
انهم ذهبوا اما لا فانحدرت حالا من الاكام

انا وخادمي جمعة بشجاعة وسرنا سواء الي المكان المدموم الذي يجتمعون فيه فلما وصلت الي هناك وشاهدت الامور المهولة أدركني الفزع وارجفني الخوف والجزع واما خادمي فما كان يبالي من ذلك الامر ولا كان يحسب له حسابا لانه واحد من اكالين لحم بني ادم • فوجدت بين هذه الاعماق قطع لحم قد اكلوا منها ورموا البقية لشبعهم والامعا كانت مختلطة بالدم شي يقشعر للجسم والمكان ينتن من رايحة جيوفة الامعا والدم الذي جري كانه سيل ولما كنت واقفا موخوذا بهذه الامور ما اري والا خادمي انكب لياخذ قطعة فانتهرته ثم طرحها من يده وتحصر وبدا يفهمني انهم اتوا الي ههنا باربعة انفار اسرا ليغتذوا بهم فاكلوا منهم تلثة وهو كان رابعهم فاشر علي نفسه واعلمني انه جري بينهم وبين ملكه حرب مدموم وقتل اناس كثيرون من الجانبين وفي تلك الوقعة قبض هوناته اسيرا مع كثيرين اخرين من جماعته وكلهم ذهب

يليق هدية للملوك فعطيت له ايضا طرطورا كنت عملته من جلد الارلب فلبق له جدا كانه اديب من ادبا مصر وهذه البدلة سميتها النظام الجديد واما خادمي المذكور لما راي ذاته مكسيا بدي ينظر الى نفسه يمينا وشمالا ويتباهي كانه ملك زمانه وكان ايضا يوعي لحوايجه غاية ما يكون

فاما افتكاري كله كان اين اسكنه حتي يرتاح راسي فنصبت له خيمة في الوسع بين السورين الذين ابتنيتهما وبما ان المجاز كان الي الكهف عملت كالعمارة السابقة وفتحت باباً من داخل وكنت اغلقه طول الليل وارفع السلم الي فوق خوفامن خادمي ليلا يقحم ويخون بي واذا تجاسر واراد ان ياتي علي فلا يجد له طريقا مالم يعمل حساً وبذلك انا استيقظ واقوم مضاددا اياه

وكل ليلة كنت اخذ العصي واضعها جنب السرير حيث انام • ولعمري انه ما كان يلزم الي

هذا الاعتنا الكلي لانه ولامعلم امتلك كذا خادما وديعا مطيعا عاقلا امينا كمثل خادمي جمعة ولا كان يعرف الغضب والمناكفة ولا الحقد بالكلية بل كان كامل الاوصاف مستقبلا علي عمله طالما له فرصة • ومحبته تجاهي كانت اكثر من محبة الولد لوالديه • لاسيما انه كان يريد يبذل حيوته لاجلي في كلما تحوج اليه الضرورة ودلايل شتي اوضح لي عن ذلك كافية لاقتناعي ان لا اتعب حالي في هذه المحافظات بالباطل

فبعد ثلثة ايام رجعت الي قصري متقصدا باي مادة استطيع ان اتي بخادمي جمعة من عادته البايسة اي اكله لحم بني ادم وانزع عنه تلك العادة الوحشية التي تملكت فيه من انتشايه فافتكرت ان اذوقه لحما اخرا وانزعه لخلة الوحشية وكنت اتكلم معه ضد عادته الملعونة السئية

فذات يوم قمت صباحا واخذته معي متقصدا لان اقتل جديا من القطيع واتي به الي داري

واطبخه وبينما نحن سايرون رايت معزة راقدة في ظل وجديين راقدين معها فاشرت لخادمي جمعة ان يقف غير متحرك وجيت قليلا وقوصت واحدا من الجديين فلماراي خادمى الفقير اذ كان واقفا قريبا مني والي ذلك الوقت ماعرف باي شي قتلت عدوه وكيف وقع مايتا فهكذا وقف مرتعدا ناظرا الي بحيرة فظننت انه يقع مغشيا لخوفه اماهو فما نظر الي للجدي الذي قتلته ولاسال ماذا فعلت لكنه بدي يخلع ثيابه وينظر الي جسمه هل اصبته ام لا ظاننا انني قاصد ان اقتله وللوقت تقدم الي وخر علي ركبتيه عاجلا وكان يتكلم كلام توسيل ويتدخل علي باياديه فانا بما كنت افهم ما يقول وفي الاخر فهمت انه يتضرع الي ان لا انزع حيوته

اما رحمتي تجاه فكانت عظيمة وكنت دايما افهمه واقنعه انني لن اقتله فمسكته بيده وانامتبسم فاريته للجدي الذي قتلته واشرت له ان يحمله

وكان يتفحص فيه يمينا وشمالا كيف انه قتل
ولما كان في تلك الحالة وهو منذهل حشيت
بندقيتي وللوقت رايت عقابا حاططا علي شجرة
واذ قصدت ان اعلم جمعه خادمي ما انا فاعله
دعيته ان ينظر الي فاريته العقاب وفهمته انى
اريد ان اقوصه وحالا طلقت النار وهو ناظر الي
وما راي الا والعقاب وقع من علي الشجرة فوقف
ايضا متعجبا وبمقدار ما فهمته فازيد من ذلك
تشوش فكره لانه ما رآني وضعت شيا في
البندقية ولهذا الداعي استقام جملة ايام خايفا ان
يلمس البندقية بيده الا انه كان يتقدم الي عندها
ويتفحص فيها ويتكلم معها ظاننا ان احدا
داخلها يجيبه• اما انا فا جتهدت ان انزع عنه
التعجب ولا اخفي عنه هذه الحركات المضحكة التي
كان يفعلها علي هذه الصفة ولما قل عنه التعجب
قليلا اشرت له ان يجري وياتي بالعقاب الذي
اصطدته فطاوعني وسرع عاجلا ليقفشه لانه كان

حيا وينطنط علي الارض ولما كان جاريا وراه اخذت البندقية لاحشيها متقصدا ربما اعثر بطير ما فاقوصه في رجوعنا فاتينا الي الدار سوية ومعنا للجدي والعقاب فركنت البندقية واخذت للجدي وسلخته وقطعت لحمه شقفا واخذت مقدار ثلثة ارطال ووضعته في برمة وسلقته ولما استوي نظمت المايدة وصبيت المرقة في طاجن وخليت اللحم في صحن وجلست لاتغدي فاخذت قطعة لحم وعطيتها لجمعة خادمي وكان ياكل منها ويلتذ فعجبه الاكل جدا ولما راني اني اضع ملحا علي اللحم واكل تعجب وكان يفهمني علي ان اكل الملح ردي ويضرني فاخذت قليلا وجعلته في فمه فلما ذاقه تقرز جدا وكان يعبس ويبزق ويتخوع منه وقام حالا وغسل فمه بما عذب. واذ اني اردت ان اريه كيف ان طبعه ضد طبعي اخذت قطعة لحم من غير ملح ووضعتها في فمي وجعلت في ذاتي اتكره منها وبزقتها حالا

واظهرت له اني اريد ان انقيي لاني اكلتها من غير ملح ومن هذه كلها ما اعتبر وبعدمدة طويلة قدرت ان اتي بطبعه الوحشي الي الطبع الانساني وكان ياكل اللحم فيه ملح وانما كان يضع فيه قليلا

وهذا النهار قضيناه بلحم مسلوق • ففي اليوم الاخير نويت ان اعمل لنا غدا منظما فاخذت اللحم الذي فضل من الجدي وقطعته شقفا واردت ان اعمله كبابا واذ اني خالي السفافيد اخذت اسياخ البندقيات وشكيت بها اللحم وضجعته علي الجمر اما خادمي جمعه لما راي باي صناعة شويته فتعجب لان هذا الامر كان خلاف عادة قبيلته المكروهة فلما ذاق طعم اللحم والتذ به اشار الي كانه راضي جدا بهذا الاكل ولما فهمت معاني كلامه انبسطت جدا لاسيما لما اشار الي اي انه لا ياكل لحم البشر طالما هو حي

ولماحان زمان للحصاد في ذلك الوقت نويت ان اوجه خادمي جمعه علي العمل وفي اليوم الاخير جعلته

ان يحصد شعيرا قليلا معي ويدقه ثم يذريه ففعل حسبما امرته وكلما كنت افعل كان يفعل نظيري لان شطارته كانت فايقة وفهمته اننا من هذا نصنع خبزا ونقتات به والنتيجة ان كلما كنت افعله امامه كان يتعلمه مني حالا ويفعله نظيري

فالان لاحظت اني اريد ان اطعم فمين عوض فم واحد فالزمتني الضرورة ان احرث ارضا اخري واضيفها علي الارض المحروثة قديما وازرعها ايضا شعيرا وارزا فحددت ارضا واسعة وعفجتها وقبلت جمعة علي الشغل وعطيته معزقة ليعزق بها الارض وكنت املقه علي ان ولا واحد يستطيع ان يشتغل مثله ولما عرفته ان هذا العمل هو لاجل قوتنا واننا منه نحصل علي للخبز فهي هو ايضا هكذا اي انه ظن اني اقدم له شغلا واهيا اكثر مما اشتغله انا ذاتي وانه ليس بمفتقر الي قوة ولا الي اجتهاد لانه شديد ولايمل من العمل وانما يريد ان احضر له شغلا واقول له اعمل هذا

حقيقة ان هذه السنة هي افضل واحسن من
ساير السنين التى قضيتها في هذه الجزيرة لان
بعد مدة قصيرة بدا جمعه خادمى يتكلم معي
ويفرج كربتي وعرف اسامي الأشيا التي كنت
استعملها واطلبها منه واسما الامكنة التي كنت
ارسله اليها حتي ان لساني الذي كان ساكتا
مدة طويلة غير متكلم ما عدا صلوتي لله تعالي
ومخاطبتي مع الببغال ما بقي يسكت الان في
تعليمي خادمي جمعة ومخاطبتي معه لاني حصلت
علي اكتفا غريب بهذا الجدع وكل يوم كان يرتقي
بالعفة والعقل والنزاكة وكنت احبه محبة فريدة
ونظرا لذاته فاني اصدق ان المحبة ما ضاعت به باطلا
وكان يخضع لي جدا نظرا لحسن معروفي معه
وكان يحبني اكثر من ساير اهله واقاربه

فذات يوم وثرت ان اجربه ان كان لم يزل
مشتاقا الي وطنه وفي طول اقامته معي علمته
الكلام حتي انه اخيرا كان قادرا ان يجاوبني جوابا كافيا

عما اسالة • فسالته هل ان الشعب الذي اتيت منهم انهم اشدا وينتصرون في الحروب ام لا فهذا السوال اعجبه وجعله يتبسم وعند ذلك قال نعم نعم هم يعملون حرب الاحسن فكان يريد ان يقول انهم يتحاربون احسن من الغير فقلت له ان كنتم انتم تتحاربون احسن من الكل فاي شي دهاك وجعلك تنقبض اسيرا

جمعة • ومع كل ذلك ان قبيلتي يحاربون جيدا

روبنصن • كيف تقول انهم يحاربون جيدا والحال انك اخذت منهم اسيرا

جمعة • انهم اكثر منا ولما حدث ما بيننا الحرب اخذوني اسيرا مع ثلثة اخرين ولكن في الهوشة الاخري التي صارت سابقا فجماعتي ضربوهم ضربة مهولة واهلكوا كثيرا منهم واستاسروا اكثر من الف رجل

روبنصن • لماذا ما فكوك جماعتك من ايادي اعدايهم

جمعة • انهم قفشونا وهربوا بنا عاجلا الي قواربهم وفي ذلك الحرب ما كانت لنا قوارب

روبنصن • حسنا قلت ولكن اخبرني ماذا يفعلون جماعتك بالاسرا الذين يقبضونهم • هل يذهبون بهم وياكلونهم كما فعلوا هولا

جمعة • نعم نعم ان جماعتي ياكلون لحم الانسان ايضا

روبنصن • الي اي مكان يذهبون بهم وياكلونهم

جمعة • ذهبون الي بلاد اخري حسبما يظنون انه مناسب لهم

روبنصن • هل ياتون بهم الي هنا

جمعة • نعم ياتون بهم الي ههنا

روبنصن • هل كنت انت معهم لما اتوا الي ههنا

جمعة • نعم اني كنت معهم قال هذا واراني لمكان الذي اتوا واجتمعوا فيه لاكل لحم اعدايهم في الناحية الشمالية من جزيرتي

فبقدر امكاني استخبرت من خادمي جمعه

وفهمت جيدا انه كان وحشيا كمثل اوليك وانه كان شريكا لجماعته لما ياتون الي ههنا ليتنعمون باكل لحم بني ادم كما اوضح لي هو ذاته وبعد ايام قليلة ذهبت الي المكان الذي اشرلي عنه ولما وصلنا حالا عرفه وقال لي انه اتي مرة مع جماعته واكلوا عشرين رجلا وامراتين وصبيا وبما انه ما كان قادرا ان يعدهم لي في لغتي اخذ حجارة وصفها قدامي موضحا لي عددهم بالتفصيل

ثم سالته ايضا كم مقدار بعيدة بلادهم من هنا وهل ان قواربهم ماتغرق في البحر لما ياتون الي ههنا فاجابني قايلا انهم ياتون الي ههنا من غير اذني خطر ولاسمع قط ان قاربا واحدا قدعدم منهم فافتكرت وقلت ربما لما يبعدون من الشاطي مسافة ما يصادفهم مجري قوي او ان الريح تهب بعد نصف النهار من جانب واحد فافتكرت اولا انهم يسافرون مع المد في ذهابهم ومجيهم واخيرا فهمت انه يحدث لهم اعانة عظيمة

ويندفعون حيث يشاون بواسطة جزر نهر اورونوك وللوقت عرفت ان مملكتي كاينة قدام فم النهر المذكور وتلك الارض التي كشفتها انها ترينيداد لانها كاينة في الناحية الشمالية من فم هذا النهر

فالاطلاع الذي اطلعني عليه خادمي جمعة سرني جدا وجعلني ان اساله سوالات هكذا متقصدا ان استوعب منه الطريق واهرب من هذه الجزيرة واحصل علي عشرة الناس البيض اما هو فقال لي نعم نعم اننا نروح في اثنين قارب فقلت ماذا يعني بكلامه اثنين قارب فتفكرت جيدا بما قال واخيرا فهمت انه يريد يقول اننا نذهب في قارب يكون كبيرا بمقدار قاربين وهذا كان لشطارته حتي لا نغرق في البحر

فاظن ان الانسان لايكتفي من شي لكنه دايما يتنغص ويتضايق من عيشته فان كانوا البشر يجتهدون ان يكونوا سعدا بارادتهم فذلك من

المحال ولا يحصلون عليه فالانسان الغني ليس هو الذي يمتلك اشيا واهية يل ان الغني الحقيقي هو المكتفي بما عنده فقبلما حصلت علي خادم افتكرت اني احقر مخلوقات الله الي ان امتلكته فالان هويسليني ويقضي لي الحاجة ولم ازل ادمدم واشكي من عيشتي واطلب الخلاص من هذه الجزيرة والحال ان الخيرات منسكبة علي ومكتفي بكل شي وكلما اعتازه اجده عندي والنتيجة ان من هذا الوقت تمسكت برجا اي انه يحصل وقت ما ربما اقربه وانجومن هذه الجزيرة مع هذا العبد

فالان بديت ان اهذب خادمي في معرفة الله الحقيقية واطلعه كيف ان ارواحنا عديمة الموت وانه يحق لنا ان نومن بهتعالي ونعبده لانه اتي بنا من العدم الي الوجود فقلت له اسمعني يا جمعة واعلم انه قبل ما خلق هذا العالم كان الله موجودا وهذه الاشيا كلها عملها بقوته وجلاله

لا له مبتدا ولا منتها وانه يتمجد من ساير المخلوقات
السموية الذين هم الملايكة ورؤسا الملايكة وان
هذه الارواح الممجدة محتاطة بعرشه تعالي
مرتلين له وممجدين من غير فتور ولا انقطاع فى
اصوات سموية والحان الهية فوجدت انه هين
علي ان اطبع في مخولته معرفة الله الكلية القداسة
والمعونة الالهية قدرتني ان اثبت له كلما
هو واجب واعانتني علي ان الخص له واضحا قوة
ارشاد العناية الالهية السرية واريه كيف انه
يصلي لخالقه ويعبده

ثم اني اطلت معه الخطاب فيما يخص فدي
العالم الذي صار بواسطة مخلص وان تعليم التوبة
كرز من السما وايضا الايمان بسيدنا يسوع المسيح
فادي العالم فبهذه الاطلاعات المتاصلة التى
استنتجتها من الكتب المقدسة التي قراتها لخادمي
جمعة اجتهدت ان افهمه بكل امكاني كل جزو
بمفرده اما هو بواسطة سوالاته واستقصاه جعلني

ان اتعمق في معاني الكتب المقدسة واستفيد منها اكثر من ان اجلس وحدي وادرس فيها بالسكوت

فالمخاطبات التي تخاطبنا بها سوية حصل لنا منها فايدة عظيمة وكلانا اطلعنا علي غوامض فريدة واشيا مناسبة لنا • واما جمعة فصارت له استطاعة من تلك القراة وبالغ في اللغة وكان يتكلم في لغتي جيدا ولوان لغته كانت مكسورة • ثم اني املت عليه وفهمته علي ان ذلك السر العجيب الذي شاهده كان من البارود والرصاص وعلمته كيف انه يقوص • واعطيته ايضا سيفا فانسر به جدا وسلحته بسلاح واعطيته زوج طبنجات ودبوز بيده والنتيجة ان جمعه كان يبان كانه عنتر ابن شداد يقحم علي ماية زلمة فيطرحهم

ثم اني اعلمته عن النكبات التي اصابتني وكيف انكسر بنا المركب واريته المكان الذي كان ملقيا عليه ثم اتيت به واريته القارب الذي

تعبت به وما استفدت منه شيا ولما اتينا اليه وجدناه مكسرا لان الشمس والمطر ندماه• فرايت ان خادمي نظر الي القارب وتحسر واستقام مدة صافناء به غيرمتكلم واخيرا قلت له يا جمعة ماذا جعلك تتبصر بالقارب هكذا فاجابني قايلا اه يامعلمي ان مشاهدة هذا القارب ذكرتني شياء وهو ان قاربا مثله اتي الي بلادي • اما انا فما فهمت معني قوله فبديت افحص عماقال فوجدت انه يقول ان قاربا مثل قاربي طرحته الريح نواحيهم ثم استخبرت منه جيدا هل كان فيه اناس بيض حسب قوله• فاجابني نعم نعم ان القارب كان مملوا من الناس البيض فقلت له كم واحد فعدهم باصابعه سبعة عشر• فقلت له ماذا جري بهم هل انهم عاشوا ام لا فاجابني نعم انهم عاشوا كلهم ولم يزالوا عايشين بين شعبي• ان هذا الاطلع ذكرني المركب الذي طرحه البحر علي الجزيرة فقلت لابد ان اوليك الناس هم اهل المركب

اذ انني ظننت انهم غرقوا جميعهم والآن انه بان
لي انهم قدتركوا مركبهم وركبوا القارب طالبين
البر والرب كتب لهم النجاة وعطاهم مقصودهم
وخرجوا علي بر الهنود الاكلين لحم بني ادم

فاذ ظننت ان قلة شفقتهم الواحد للاخر تلجيهم
ان يقتلوا بعضهم فكم بالحري يفعلون مع الغربا
وهذا الامر قلقني وحرضني ان استفهم منه عما
جري بهم فاخبرني متحققا إنه ولا واحد من قومه
اغاظهم ولم يزالوا عايشين بينهم والان لهم اربع سنين
قايمين معهم فى بلادهم • فقلت له من اين حصل
لهم هذا المعروف والاكرام وكيف صار انهم ما
قتلوهم ولا اكلوهم ليرضوا بهم شهواتهم • فاجابني
انهم ما ضروهم بادني شي لكنهم تخاووا معهم
ففهمت ان مهادنة كانت مابينهم ومن هذا الجواب
صارلي اتناق راسخ بالهنود • ثم قال لي ايضا ان
قومي ياكلون اوليك الناس الذين يستاسرونهم
في الحرب فقط وماعدا اوليك ما يكلمون احدا ان

كان هو من سكان بلادهم او من شعب اخر وهذه عادة . عندهم ان الاسرا كلهم يذهبون بهم الي ارض غير مسكونة ويغتذون باجسادهم

فبعد مدة من الزمان وبرهة من الاوان صعدت معه علي الاكام في يوم رايق ولما كنت متشرفا يمينا وشمالا ما اري والا جمعة يقمز ويرقص كانه مختل العقل ويقول يا له من فرح وسرور اني اري بلادي وشعبي والناس البيض بينهم وعلامة الفرح كانت ظاهرة علي وجهه فعيناه كانتا تلحلح كانها مصابيح وكان ينطنط كانه مشتاق ان يذهب الي بلاده • فهذا الامر اوقعني في الريب نظرا لخادمي جمعة ولا قلت له شياعن هذا الاكتشاف فقلت للوقت اذا ذهب هذا الي بلاده وحصل بين الشعب البربر فليس فقط انه يترك الديانة التي علمتها له لكنه ايضا يشيع امري بين قومه كيف اني نقدته وقتلت عدوه وبهذا المقال يجمع علي محفلا فيهجمون علي وانا في هذه الجزيرة القشرا فيطحنوني كما طحنوا اوليك الاسرا

ولما كنا ماشيين فى ذات يوم على الاكام عينه والريح كانت ملخبطة والطقس مضبب ولكثرة الاختبال ما قدرنا ان نري البر فسالت للوقت جمعة قايلا اما تشتاق ان تكون في بلادك وتحصل علي مرافقة اصحابك وخلانك فاجابني قايلا يا لها من ساعة سعيدة التي بها اشاهد بلادي واحصل علي مرافقة اصحابي وخلاني • ثم سالته ايضا ماذا تفعل هناك هل ترجع الي طبعك الوحشي وتاكل لحم بني ادم وتصير كالبهيم كما كنت سابقا فاجابني لا لا (وهو يهز براسه) لكني اقول لهم ان يعيشوا عيشة صالحة واعلمهم ان يصلوا ويتضرعوا الي الله وياكلوا خبزا ولحم المعزي ويشربوا حليبا ولا ياكلوا لحم البشر فقلت له ان تجريت وفعلت هذه فيقحمون عليك ويقتلونك لانك تعلّم خلاف اطباعهم وان لجاهم الامر فياكلون جسدك كعدو فاجابني ببشاشة وجه قايلا انهم لن يقتلوني لكنهم يريدون ان يتعلموا وقد تعلموا اشيا كثيرة من

الناس الملتحين الذين اتوا بالقارب • فقلت له
اتريد تذهب الان فتبسم للوقت من كلامي وقال
لي ما اقدر ان اعوم واقطع كل هذا البحر
فقلت له انني اعمل لك قاربا فاجابني قايلا
ان ذهبت انت فانا اذهب ايضا معك وان
بقيت انت ههنا فانا ايضا ابقي هنامعك• فقلت
هل تريد ان تغدر بي يا جمعة وتاخذني معك
حتي تاكلوني وتغتنموا بمعلمك الذي شفق عليك
وخلصك فقال حاشاوكلا اننا ما ناكل المعلم الذي
عمل معروفا معي واذا ذهبنا نحن الي هناك فاجعلهم
ان يحبوه واخبرهم كيف انه شفق علي وخلصني
من الموت الضريع واخيرا اخبرني بقدر امكانه
ما اعظم المعروف الذي يعملونه تجاه الناس الملتحين
الذين طرحتهم الامواج علي برهم • فمن هذا
الوقت صار لي ميل وافر ان اخاطر بنفسي واعمل
جهدي علي قدراستطاعتي والحق الناس البيض
الملتحين لاني ظننت عنهم انهم اصپانيوليون

او پورتوكيسيون وافتكرت انه اجدر بي ان اعمل طريقه واهرب من هنا واحصل علي مرافقة جيدة افضل من جلوسي هنا وحدي

فبعد جملة ايام كنا نشتغل اناوجمعة حسب عادتنا ونتخاطب عن بعض امور ولما طال ما بيننا الخطاب قدمت له كلاما وقلت له عندي قارب محبي اريد ان انعمه عليك ومتي اردت ان تذهب الي قومك فمن غير تقصير اركب واذهب • واذ اردت ان اقنعه واحقق له ما قلت له اخذته بيده وانطلقت به الي الجانب الاخر من الجزيرة حيث مركبي الحربي راسي فاخرجته للوقت من الما لاني دايما جعلته غاطسا تحت الما خوفا ليلا ياتي احد ويراه • فلما اصعدناه وركبنا مقذافيه ركبناه وبدا جمعة يقذف بكل بتعه ويجعل القارب يزرق كمثل النشابة فللوقت قلت لجمعة ماذا تريد الان هل تريد اننا نذهب الي شعبك ـ فقصدي بهذا السوال كان لاجربه وافرحه اما هو فبعكس ذلك عبس وجهه

واظهر لي انه مغموم من هذا الكلام فتعجبت منه
واستفهمت منه غايته فاوضح لي جليا اني اهزو به
لان قاربا مثل هذا غير ممكن انه يوصلنا سالمين
الي بلادي فاعلمته وقلت له ان عندي قاربا اخر
اكبر من هذا واوعدته اني اريد اريه اياه • وفي
اليوم الاخير اخذته معي الي المكان حيث القارب
الاول الذي نجرته ملقي قد كسرته الشمس والمطر
لانه كان ملقي هناك نحو اثنتي وعشرين سنة
فقال لي جمعة ان قاربا مثل هذا يودينا الي حيث
نشا ومن ذلك الوقت ثبت رايي علي ان اذهب
معه الي بلاده فاعلمته حالا اننا نذهب ونصنع
قاربا يكون يحملنا مع اكلنا وشربنا فانسر بهذا
الكلام ثم اردت ان اجربه فقلت له اذهب انت
وحدك الي بلادك واتركني وحدي كما كنت
سابقا • فهذا الكلام اثربه وظهرت الكابة علي وجهه
فقال لي ان جمعة يروح الي بلاده ويترك معلمه
هنا وحده لا ان هذا الامر بعيد مني قال هذا

وسكت وبعد برهة قال ان موت جمعة افضل له من ان يفارق معلمه • فتراي لي من هذا ان جمعة كان يراعي المعروف الذي عملته معه فلا كان يعدني كمنقذه فقط ولكن كصاينه ومربيه ولا كنت اظلمه ولااتعبه بل كنت احبه واريحه واعطيه ما يطلبه مني ولما كان يمرض اويحصل له عيا فكنت اداريه واصير طبيبه وليس كنت اعالج جسده فقط ولكن روحه ايضا فلاعجب اذا ان راعي لي المعروف وامتثل امري والنتيجة انه كان يشتهي الموت اكثر من ان يفارقني • فبعد ان قلت لجمعة في برارة حالما يخلص عمل القارب يحصل علي حريته ويذهب الي بلاده فالحافظ عينيه ارتني سايرتصوراته الملخبطة فللوقت نهض واخذ فاسه اذ كان يحمله بعض اوقات عوض السلاح وسلمه بيدي وقلبه مملو حتي ما كان يستطيع ان يتكلم • فقلت له ماذا تريد وماذا اعمل بهذا الفاس• فقال لي اقتل به جمعه لانه لا يقدر يعيش ولا

يسمع هذه الكلمات الكايبة • فقلت له لاي شي اقتلك •
فاجابني هكذا اه يا معلمي انك خاصت جمعة من القتل
واطعمته وسقيته وحويته وعلمته ان يعرف الله
ويعبده ويخافه والان يذهب ويخلي معلمه وحده
فهذا ضرب من المستحيل فالموت لجمعة اخير من
حيوته قال هذا وبدت الدموع تهطل من عينيه
وانا ايضا لما رايت محبته تجاهي حنت احشاي
وبكيت • ثم التزمت ان اسليه في اخير نوع وقلت
له ان كنت مكتفيا ان تقيم معي فمر حبابك
وانا انسر بمرافقتك وموانستك • فبكا جمعة
ونحيبه اقنعني علي انه يحبني محبة قلبية فقال
لي اني لا احسب حسابا عن اهلي ولا عن قبيلتي
وان معني كلامي اننا نذهب الي بلادي قصدي
ان تعلم قبيلتي وتهذبهم • فلما قال هذا انغرز
كلامه في ضميري وبديت افتكر وكيف اننا نفعل
ونحظي بالسبعة عشر رجلا الملتحيين الذين اخبرني
عنهم واذ ان العزم قوي في اخذت جمعة وانطلقنا

سوا طالبين شجرة غليظة تصلح لمرغوبنا فنقطعها
ونعملها قاربا ولما جلنا قليلا في الجزيرة عثرنا بشجرة
شاهقة غليظة جدا حسب مرغوبنا اما جمعة فاراد
ان يوقد نارا في وسطها ويجوفها فقلت له ان
فعلك هذا بعدمها علينا ولكن انا اريك كيف
اجوفها فذهبت به للوقت الي محلي واريته الميشار
والقداديم والمناقير وغير ذلك فقلت له بهذه
نقطعها ونعمل قاربا منها فاخذته معي وذهبنا
لنبدي بشغلنا فقطعناها ولقيناها علي الارض ثم
اعطيته قدوما وعلمته كيف ينجرها وبعد شهر
زمان اخرجنا منها قاربا عظيما• فاجتهدنا ان
نرميه فى البحر فاتيت بمطاوي وبراطيم خشب
ووضعتها تحته وبدينا نسحبه قليلا قليلا ودمنا علي
هذا المعدل خمسة عشر يوما واخيرا اتينا به الي البحر
فلا احد يستطيع يعبر الفرح الذي حصل لي لما
رايت مركبي الحربي في البحر فقلت بقي علي ان
اعلم خادمي جمعة ان يداري القلوع ويمسك الدفة

فالتفت اليه وقلت له ماذا تقول عن هذا القارب هل انه يوصلنا الي بلادك فاجابني نعم ان مثل هذا القارب يقدر يحملنا بكل ما عندنا فخرجت حينئذ متقصدا ان اقطع صاريا وافصل شراعا فاتيت الي شجرة صنوبر وقلت لخادمي جمعة تقدم واقطعها وعلمته كيف ينجرها ويعمل منها صاريا فمسكته الشغل وذهبت لافصل شراعا•فكان عندي شراعات وافرة ومن جملتها كان عندي شراع جديد تحفظت به جيدا مقدار ست وعشرين سنة واما البقية فما اعتنيت بها لاني ما افتكرت اني احتاج اليها ولما اتيت وقلبتها كلها وجدتها قد تغرت واهترت ما عدا اثنين فاخذتها وبديت افصل منها مرغوبي وبعد تعب كلي لنقصي الابر ومجاهدة عظيمة نجزت منها ثلث شراعات فاستقمت شهرين اعافر بهذا العمل منظم القارب ومصلح القلوع والصاري فلما عملت كلما يحتاج اليه القارب والسفر من النظام والقلوع وربط الحبال بديت. ان اعلم جمعة صناعة

البحر ولو كان عارفا كيف يوجه القارب في المقاذيف
مع انه كان عديم معرفة السفر بالقلوع وتعجب
جدا لما راني اوجه القارب الي كل جهة بالقلوع فقط
من غير مقاذيف • فبعد مدة من الزمان علمته
كيف يداري القارب ويديره حتي انه اخيرا صار
بحريا ما له نظير ما عدا في معرفة الدايرة الي
القبلة لان معرفتها كانت صعبة عليه • وانا ايضا
رايت ليس هو محتاج الي معرفة هذه القبلة لان
الواحد يقدران يسافر في تلك النواحي من غير
دايرة نظرا لرياقة الهوا والنجوم تتراي طول الليل
وفي النهار ايضا يبان الساحل ماعدا ازمنة المطر
التي لا يستطيع الواحد ان يخرج من وكره •
فهذه السنة التي اكملت بها القارب كانت السنة
السابعة والعشرين من اسري وحبسي اوجلوسي
علي تخت السلطنة • وكنت اعد السنين
من وقت صعودي علي هذه الجزيرة المشومة واقدم
الشكر لله تعالي لاجل مراحمه الجزيلة التي

سبغها علي وهذا واجب عليّ ان اعمله قبل كل شي لانه ما عدا خلاصه لي انعم علي خيرات وافرة وعزاني في طول هذه الحيوة وجعل لي سببا ان افرح في كل الاوقات التي كان يحصل لي فيها غم وكابة لاني لما طلعت من المركب واخرجت تلك الاشيا القلية معي قلت اني بالجهد اعيش سنة واحدة والحال ان الله تعالي تقدست اسماوه ابقاني الي الان حيا متعافيا ما نقصني شي والغاية اني استقمت علي تلك الحالة احفر وافلح وازرع واحصد واشتل واخترع اختراعات صنايعية واجمع العنب في زمانه واعمله زبيبا • وبعد ايام قليلة اتي زمان المطر فالتزمت ان استقيم داخل المغارة جملة ايام وقبل ذلك افتكرت واتيت بمركبي الجديد الي المينة حيث كذت اقدم الاطواف التي اخذتها من المركب• وهكذا استقمت محبوسا داخل المغارة لا استطيع ان اسافر الي غاية شهر كانون الاول • وفي شهر كانون الثاني بدت الضحاوي تطلع وكلما كانت

الايام تحمي والشمس تتعالي كنت احضر نفسي للسفر وعازما ان بعد عشرين يوما انقل الاغراض الي القارب

فذات يوم صباحا اذ كنت ملتبكا يتهيي الاغراض ندهت جمعة وقلت له اذهب الي السحل وانظر لنا كم بيضة من بيض الزحالف والرفوشة فلما ذهب وغاب عني قليلا ما اراه الا وراجعا مقهقرا كان عدو طالب اثره واذ رايته تعلق علي السور هكذا مستعجلا قاصدا ان ياتي الي نهضت من مكاني لاستقباله عاجلا طالب ان استخبره عن قضيته وقبل ان افتح فمي صرخ قايلا اخذنا يا معلم اخذنا يا لها من وقعة فقلت له ماذا جري اجابني اني رايت من بعيد ثلث قوارب اتية الي نواحينا فقلت له تشجع ولا تخف اما تتذكر ما قلت لك انفا اننا نجتهد ونصون نفسينا ونقاتل كل من ياتي علينا بقدر امكاننا ولو اني شجعه باحسن كلام فالمسكين اخطرب وانحلت مفاصله وكان يرتج

ويرتعد هكذا حتي اني بالجهد عرفت باي كلام اسند قلبه • فكان يتنهد ويقول اه يا معلم انهم اتوا الي ههنا لكي يحشوا علي جمعة حتي يقتلوه وياكلوه فقلت له لماذا تظن هكذا لانهم اذا اتوا الي ههنا ومسكوك واكلوك فيمسكوني انا ايضا وياكلوني والخطر الراصد لي هو كمثل خطرك • فان كان الامر كما نزعم فلنجتهد ونحارب علي ما تساعدنا قوتنا ونخلص نفوسنا من اياديهم • فالان ماذا تظن انت هل تقدران تحارب فاجابني قايلا اني احارب علي قدر امكاني وان احوجتني الضروره فاموت قدام رجليك ولكن الامر خلاف ما تظن لانهم كثيرون جدا فقلت ما يضر شي ان بندقياتنا ترعبهم وانا مستعد ان احارب الي اخر نسمة حيوتي فالان اخبرني ياجمعة اتريد ان تقف معي وتطيعني بكلما امرك به فقال لي اني ابذل حيوتي عنك وان امرتني ان اموت فاطيعك • فلما رايت اختضاعه واطاعته له اعطيته بندقيتين وحشيتها له

برش خشن كرصاص الطبنجة واخذت ايضا اربع بندقيات اخرات وحشيتها كلها رصاصتين رصاصتين وزدت فوق كل حشوة منها خمس رصاصات من رصاص الطبنجة ثم اخذت طبنجتين وحشيتها جيدا ووضعتها في حزامي واخذت السيف وعلقته علي جانبي مشموطا كعادتي وعطيت قدوما وعصاة طويلة لجمعة• فاستعديت هكذا واخذت النظارة وصعدت علي جانب الاكام لاستشرف واري الاحوال وللوقت رايت واحد وعشرين نفرا رويتهم كروية الاسود الضارية ومعهم ثلثة اسرا وثلثة قوارب وتراي لي كان ريسهم عامل هذه الوليمة الوحشية ليفرح قلوب احبابه الشريرة فاما الامور التي كشفتها هذه المرة كانت من عرض عملهم ولما رايت فعايلهم ندهت جمعة وارينه شجرة مغروسة علي جانب الزور قد ظللت اغصانها ماحولها وامرته ان يختل وراها ويتمعن كلما يراه ثم يرجع يعلمني ان كان يقدر ان يري ما يعملونه جليا فاطاعني وذهب

وبعد قليل رجع الي وقص علي قصة كايبة اي انهم كلهم جالسون حول النار وهم ياكلون لحم احد اسراهم وراي ايضا اسيرا اخر مربوطا ملقيا علي الرمل قريبا من المكان المجتمعين فيه واخبرني علي ان المربوط ليس هو من قومه بل كانه من الناس البيض الملتحيين الذين كان يخبرني عنهم دايما وكيف ان البحر طرحهم علي برهم • فلما سمعت هذا منه غامت في روحي وقمت تعلقت علي شجرة عالية وتطلعت بالنظارة فرايت الرجل الابيض مربوطا ملقيا علي الرمل وقد غطوه بثيابه وتراي لي كانه من سكان اوروبا فنزلت حالا من هذه الشجرة وقصدت ان اصعد علي شجرة اخري قريبة منهم اقدر ان اصيبهم اذا قوصتهم منها فخبيت بين العلقة والحلفة واتيت الي شجرة حسب مرادي وصعدت عليها بفراسة ليلا يكشفني احد ولما رمت مرامي اي اني حصلت في نصفها معنت نظري بهم فرايتهم جالسين حول النار وقد باشروا باكل

الوليمة المكروهة • فلما رايت هذا فار دمي والزمتني الضرورة ان لا اصبر ولا دقيقة لاني خفت ليلا يخلصون الجثة التي ما بين اياديهم ويباشرون بالاخر الابيض المربوط الملقي علي الرمل واذ انامفتكر في هذه الدقيقة كيف افعل ما اري والا قد رسلا اثنين من ربعها ان يذهبا وينجا المربوط الذي اشرت عنه ويقطعونه حتة وياتون بجثته مفصلة ويضعونها قدام الاخرين واذ قدموا اليه ليحلوا وثاقاته نزلت حالا من اعلي الشجرة وقلت لجمعة هذا وقتك يا جمعة اليوم اراك ياجدع الزم بندقيتك واتبعني وخذ القدر جيدا واطلق النار ولا تجعل صوابك يتدهور باطلا فقال لي انا عندك يا معلمي فاخذت انا قبلا بندقيتي وقلت قوص معي سوية وطلقت النار وهو ايضا طلق ورايي حالا فانا قتلت واحدا واصبت اثنين واما جمعة فاخذ القدر اخير مني فقتل اثنين واصاب ثلثة • فالذين ما اصابهم الرش ولا الرصاص نهضوا حالا من مكانهم مصروعين

ما يعرفون الي اين يتوجهون ولايعلمون من اين
حل بهم هذا البلا فلقينا من ايادينا البندقيتين
التين قوصناهما واخذنا اخرتين محشيتين وقوصناهما
ايضا بهم واذ كانتا محشيتين برصاص الطبنجات
قتلنا منهم اثنين اخرين واصبنا مقدار عشرة
فالذين اصابهم الرش خروا زابطين وعويلهم يشلش
كانهم وحوش ضارية قد حل بها البلا فقلت لجمعه
هذا وقتك ياجدع الق بندقيتك الفارغة من
يدك وخذ الأخري واتبعني فقال لي انا عندك
يا معلم فلحقني بشجاعة فجرينا ورا الذين انهزموا
طالبين انقراضهم وكنا نصرخ وراهم قلايع قلايع ثم
عكفنا الي الرجل المربوط الذي كان مزمع
ان يتقرب لنفكه فلما دنونا منه راينا اوليك الذين
كانوا يريدون ان يذبحوا الاسير هربوا مع ثلثه
اخر غيرهم ولقوا نفوسهم في قارب من قواربهم
فقلت لجمعة استعجل واطلق النار فيهم فقعد حالا
التلك واطلق النار فيهم فانا ظننت انه قتلهم كلهم

اذ اني رايتهم كلهم هبطوا في اسفل القارب وانما قتل اثنين وصواب واحدا صوابا مميتا ثم جريت الي المربوط وقطعت وثاقاته فنهض واقفا كانه راي ذاته انه فى الحلم فسالته فى اللغة البورتوكيسية من اين انت فاجابني باللاتينية كريستيانوس اي نصرانى ولخوفه ما كان يقدر ان يقف علي رجليه او يتكلم ثم سالته ايضا من اي بلد انت فاجابني اصپانيولي وبدا يتكثر بالخير والمعروف الذي فعلته معه فقلت له الان ليس هو وقت للحديث فلنتكلم بعد ما ننهي امرنا ولكن خذ هذا السيف والطبنجة واسعم في انقراضهم فلما سمع هذا مني تشجع وجري ورا اثنين وقطعها شقفا • ثم اني امرت جمعة ان يجري وياتي بالبندقيات التي خلفناها ورا الشجرة فذهب حالا واتي بها وهو طايش يريد ان يبيدهم كلهم فاعطيته بندقية وقلت له اسرع ورا البقية واقتل كلمن تستطيع • فما اري والا الاصپانيولي متشابكا مع واحد من البربر • فاستدار عليه البربري



جمعة يقبل اباه

ولهذا الامر اجتهدت ان اتبع اثرهم حاتما علي
ابادتهم كلهم فلقيت نفسي للوقت في قارب من
قواربهم وقات لجمعة اتبعني ولما نزلت في
القارب رايت اخر مربوطا من يديه ورجليه كمثل
الاصپانيولي وكان قريب الموت فاستليت السيف
وقطعت وثاقاته واقمته ولا كان قادرا ان يتكلم
كلمة من الخوف الذي خطله ونزع قوته سوى
كان يتنهد وينين انينا مرا فامرت جمعة وقلت له
تكلم معه وبشره ان القدر قد عبر عنه وانه لا يخف
ابدا لان اعداه هلكوا بجملتهم ثم اني اخرجت زق
الما وسقيته ولما شرب وسمع الاخبار المبهجة انسر
قلبه وجلس منتصبا في القارب فاشرت لجمعه
ان يستخبر منه فحالما سمع جمعة حديثه تطلع
بوجهه مندهشا كانه لقي لقية فالنغشة والحنو الذي
حصل له في ذلك الوقت تجعل كلمن يراه يفرح
ويبكي لاني ما اراه والا طرح نفسه عليه وعانقه
وبدا يقبله ثم نهض وبدا يقمز في القارب ويرقص

ويغني ثم صرخ باصوات عالية وصفق باياديه
ولطم علي وجهه وراسه وغني ونطنط ايضا كانه
موخوذ او مصروع ومن الشغافه انعقد لسانه حتي
ما قدرت ان استفهم منه • وبعد ما شفي غليله
اخبرني انه ابوه • ثم اجلسه حذاه في القارب
وحضنه وتكاه علي صدره وكانت دموعه هاطلة علي
وجنتيه فبعد نصف ساعة من الزمان بدي
يفرك يديه ورجليه وظهره ويدعكهم جيدا وانا
ايضا اخرجت قزازة العنبري وسقيته قليلا منها
ولما كنا ملتبكين في هذا الامر بعدوا عنا اوليك
البربر بقاربهم وغابوا عن النظر• ولعمري انا كنا
سعدا اذ ما لحقناهم لان الريح قامت بغتة وصار
اضطراب مزعج في البحر وكانت الامواج تتعالي كانها
جبال واستقامت العواصف ناسفة طول الليل ومن
المستحيل ان اوليك البربر نجوا من الغريق وبكل
ظني انهم هبطوا الي قعر البحر• ثم اني دعيت جمعة
وسالته قايلا هل اعطيت اباك كسرة خبز فهز

لي براسه وقال ما كان عندي لاعطيه فالرغيف الذي كان معي اكلته قبلما شرعنا بالقتال فاعطيته للوقت كعكة كانت في عبي وكمشة زبيب لياكل ويرد روحه

فخرج من القارب جمعة وسيب رجليه وجري كانه ريح وبعد جملة دقايق رجع بجرة ما وكعكتين كان قد فضلها من فمه فشربنا ماء وروينا نفوسنا فقلت لجمعة اعط كعكة لابيك وخذ الاخري مع جرة الما واذهب الي عند الاصپانيولي اذ انه كان جالسا تحت ظل شجرة ليستريح ولضعفه ما كان قادرا ان يقف علي رجليه فامرت جمعة ان يفرك رجليه وظهره واكتافه بالكسير كما فعل بابيه

فاخذ يمرغ به مقدار نصف ساعة ولما كان يفرك به كانت عيناه شاخصتين ناحية القارب حيث ترك اباه جالسا ولما اتجضع ابوه قليلا علي الارض لتعبه اتي كانه لمع لينظر ماذا حل بابيه ولما اتي فراه متكيا علي وركه فرجع ايضا الي الاصپانيولي

ليتم فرك جسمه • واذ انا اردت الانطلاق قلت للاصپانيولي دع جمعه يعينك وياتي بك الي القارب لكيما نذهب الى محلي فلما سمع هذا جمعه تقدم اليه وحمله علي كتفه وذهب به الي القارب ثم نزل ايضا ابيه واجلسه جنبه وبعد هذا خرج وزاح القارب لانه كان ثاهلا علي الشاطي وربط به حبلا وبدا يسحب وما وقف الي ان اتي بنا الي الخليج فتركنا هناك وذهب جاريا واتي بالقارب الاخر قبلما صعدنا كلنا الي البر ثم تقدم وحمل اباه وذهب به الي محلي كما امرته وبعد ذلك اتي وحمل الاصپانيوي ايضا وذهب به الي هناك واذ انا ما اردت ان يدخلوا داخل السور نصبت لهم خيمة من قلوع المراكب تحت ظل شجرة وعملت لهم مطارح ومخاديد من الحمري والقش وعطيتهم احرمة ان يتغطوا بها فكنت اقايس نفسي في ذلك الوقت بملك وحداني امره يجري علي الكل واني متسلط علي رعايا قد سلموا نفوسهم بيدي

وطنيت بذاتي اني قد حصلت علي شرف لا يوصف

فاجتهد في ذلك الوقت ان اعد اكلا لرعيتي فامرت جمعة وقلت له اذبح لنا جديا فقام ومسك جديا رخصا وذبحه وسلخه وبعد ذلك قمت انا وقطعته شقفا ووضعته في حلة وسلقته ورميت رزا علي المرقة وطبخت شوربا عظيمة وبعد ماتهدا نصبت المايدة في الخيمة وصببت الطبيخ وجلست معهم علي المايدة واكلنا سوية وانشرحنا مع بعضنا بعض اما جمعة فكان يلغى مع ابيه في لغته وايضا مع الاصپانيولي لانه كان يتكلم بلغة البربر كلاما مدرجا كانها لغته • وبعد الغدا امرت جمعة ان يذهب وياتي بسلاحنا والبنديقيات وفي اليوم الاخير ينطلق ويدفن جثات الموتى • وبعدما اتي قلت له اجلس وترجم لي مع ابيك لنستفهم منه فقلت له اساله ماذا يظن عن اوليك البربر الذين هربوا بالقارب هل يصلون بلادهم واذا وصلوا اما ياتون

مع عدد غفير فيطفون خبرنا فاجابني عن لسان ابيه قايلا انه غير ممكن انهم يخلصون من الزوبعة • وان قدرنا وقلنا ان البحر ما ابتلعهم فلا شك ان الريح ترميهم علي الناحية الشمالية التي يسكنوها اعدايهم وحالما يضعون ارجلهم في الارض فيهجمون عليهم الاعدا فيمزقونهم وياكلونهم • وقال ايضا فلنقرر ونقول انهم سلموا من البحر ومن ايادي اعدايهم وذهبوا الى بلادهم بالسلامة فالموت الذي حل بارفاقهم قدام عيونهم وزعجهم يجعلهم ان يشيعوا الخبر عما جري بارفاقهم وكيف انهم لوما هربوا لحل بهم ايضا الموت ويعلمونهم كيف ان نارا ورعدا نزل من السما وهلكهم ولا جري هذا الامر من يد انسان بل من يد روحين سموين قد ارسلا من فوق لابادتنا • وقد سمعتهم يتكلمون مع بعضهم وانا موثوق ويقولون ان ارواحا تنزلت من السما لمصادمتنا فمن يقدر علي الوقوف قدام هذه الالهة لانه يظهر لنا حقيقة ان كلمن

يذهب الي هذه الجزيرة فالالهة ينزلون نارا عليهم ويبيدونهم

فبديت اتحقق من ابي جمعة و الاصپانيولي عن بلاد البربر واقول لهم ماذا يحل بنا اذا ذهبنا الي عندهم فاجابني ابو جمعه محققا لي اذا ذهبنا الي قومنا فيعزونك ويكرمونك اكراما بليغا لحسن المعروف الذي فعلته معي ومع ابني • واما الاصپانيولي فقال لي ان هناك ستة عشر نفرا اصپانيوليين وپورتوكيسيين قد انكسر بهم المركب وطرحتهم الريح الي هناك • وقال لي ولوانهم متفقون مع البربر ومتحدون معهم في سلوكهم مع انهم منهانين وعايشين عيشة سنية لقلة الاكل الجيد واشيا اخري • ثم سالته ايضا عن سفرهم والي اين كانوا ذاهبين حتي جرت عليهم هذه المصيبة فاخبرني قايلا اننا وسقنا مركبنا من ريو دلا پلاتا وقاصدين هڨانا ولما حصل القدر وانكسر المركب خمسة منا غرقوا في البحر والبقية خلصوا بالقارب وانا واحد من الذين خلصوا • فسالته

ايضا وماذا حتموا ان يفعلوا فاجابني انهم ارادوا ان يعمروا مركبا ويسافروا الي بلادهم ولنقصانهم الاداوات ارتدعوا عن مقصودهم وخابوا عما كانوا طالبين• فقلت له اذا ارسلنا ودعيناهم ان ياتوا الي ههنا اما يخونون بي وياخذوني اسيرا الي صپانيا الجديدة• فقال لي بحماسة هل تظن انهم اولاد زنا حتي انهم يفعلون معك هذا الصنيع عوض استكثارهم بخيرك لانهم اناس اهل كرم ويراعون المعروف وقال لي ان كنت تريد فامرني ان اذهب مع هذا الشيخ البربري واخبرهم عما جري وصار وارد لك جوابا وان كنت لست بموتمن فلاحلف لك يمينا مثلثا ان لا اخون بك ونظرا لي فلا اشا مفارقتك ولكني بالحري اريد اقيم معك الي اخر نسمة حيوتي لان المعروف الذي عملته معي غير ممكن اني انساه•

ولما سمعت كلام الاصپانيولي لان قابي وارتايت ان ارسله مع ابي جمعه حسبما وعدني ان يفعل ولما حضرت كل شي للسفر قال لي اظن ان هذا الامر

ليس جيد فلندارك الامور اولا ونفعلها فقلت له
ماذا خطر علي بالك اما تريد ان تمضي • فقال
لي اسمعني يا سيدي لايخفاك الامر ان اوليك هم
كثيرون والماونة التي عندنا ليست بكافية لنا
ولهم فالاجدر بنا اننا نصبر للحصاد المقبل فنحرث
ارضا واسعة ونزرعها ولما يكثر الخصب عندنا فللوقت
نمضي وندعيهم ان ياتوا الي هنا • فقلت له حبذا
رايك وان نصيحتك ما لها مثيل ومن الان فصاعدا
ما تشيربه علينا مقبول ومن ذلك الوقت بديت
ان اعتبره اعتبارا كليا لانه صاحب عقل وتمييز•
فهكذا اربعتنا اجتهدنا علي العمل وحددنا ارضا
واسعة وحرثنا حاكلها وبدرنا الحب الذي كان عندنا
كله وما فضلنا منه شيا • ولما انتهينا من البدار
وثرت ان اشغل يدي حتي للحصاد فاملت علي
الشجر وبديت اقطع بها فبطهت شجرا عديدة
اقدر ابابي من خشبها مركبا ودعيت جمعة واباه
وامرتها ان ينقلا الخشب الذي قصيته وياتيان به

الي مكان اريتها اياه حتي نباشر بعمار مركب
وامرت الاصپانيولي اذ انه صار حاصب سري
ومشاوري بان يباشر عليها ويوظب شغلها فعمدت
ايضا في تلك المدة ان ازيد القطيع فاخذت
البندقية وكنت اقنص علي المعزي واصطادها واتي
بجديانها الي الزريبة • وفي هذه السنة قطعت عنبا
كثيرا وعملته منه زبيبا مقدار ثمانين زنبيلا • وهكذا
كلنا كنا ملبوكين هم في الشغل وانا احضر لهم اكلا
الي ان حان زمان للحصاد فاهتمينا وبدينا نحصد
ونربط الشمل ونلقيها علي الارض وما وقفنا الي
ان جمعنا الشعير في قشه وكومناه كومة ودقيناه
وذريناه فماذا اقول هل ان الله ينسي عبده حاشا
وكلا لكنه بالحري يبارك بكده ويطرح بركة في
عمله لان من ثلثة وعشرين كيل شعير عبينا مايتين
وعشرين كيلا وعلي هذا النحو ايضا الرز وبعد ما
انتهيت من عملي وكومت الغلة فرايت انها كافية
ان توصلني الي اميريكا مع الاصپانيوليين كلهم

فقلت الان اهيي شغلي وافعل مرامي. فدعيت الاصپانيولي وابا جمعه كانهما قصاد الملك الاعظم وامرتهما ان يذهبا الي بلاد البربر ويعلما الاصپانيوليين ان ياتوا الي ههنا • والزمتهما ان يحلفا لي ويوضحا لي امانتهما سوية وبعد ما فعلا ذلك اعطيت لكل حد بندقية مع ثمان حشوات بارود ورصاص وذخيرة تكفاهما ثمانية ايام ولما هييت كل شي لهم قلعوا في وقت رايق وريح مناسبة في خمسة عشر من الشهر القمري • وبعد ذهابهما بخمسة عشر يوما وانا نايم في وقت الصباح ما اري والا جمعة جاري الي صارخا باعلي صوته قايلا قم يا معلم ان ابي والاصپانيولي قد اتيا فقمت حالا من فراشي ولبست ثيابي بخفة وتشرفت ناحية البحر فرايت قاربا بعيدا من الشاطي مقدار ميل ونصف فتعجبت من ذلك وقلت لماذا ما اتوا من الناحية التي جاوا منها اول مرة ولكن من شمال الجزيرة • فتهيا لي حينيذ ان هولا ليسوا الناس الذين نترقبهم • فامرت جمعه ان

يخمد ولا يطلع حسه الي ان اصعد علي الجبل وانظر
الاحوال وانزل فاخذت نظارتي وصعدت علي الجبل
فرايت مركبا انكليزيا ففرحت للوقت فرحا لايوصف
وقلت الان زال همي وغمي ولزيادة فرحي ما بقيت
اعرف كيف اعمل فاردت ان اذهب واريهم ذاتي
فقلت لا ربما يكونون اعدا وانما الاجدر بي ان اصبر
واري اخر الامر وبينما انا ناظر اليهم رايتهم نزلوا قاربا
من المركب واتوا به الي الشاطي بعيدا مني مقدار
نصف ميل فقلت سعيدا كنت ان انهم ما قدموا
الي الخليج الذي هو قبال قصري لانهم لو كانوا
قدموا اليه لكانوا صعدوا وراوا العمار قدامهم وهجموا
علي ونهبوا كلما عندي من الاموال والذخيرة • ثم اني
تحققت بهم جيدا فرايتهم انهم انكليز بني جنسي
وللوقت اصعدوا من القارب ثلثة رجال خالبين
السلاح. مربوطين من اياديهم ورجليهم فلما ضاع
علي الامر وما عرفت ايثارهم ولا ماذا يريدون ان
يفعلوا اشرت لجمعه ان يصعد ايضا الي الجبل ويحدق

نظره بهم ويخبرني بامرهم لان نظره كان فريدا • فلما تطلع قليلا اخبرني قايلا اني اري اناسا انكليز ياكلون لحم الاسرا كمثل الشعب البربر فقلت له اسكت ماذا تقول كيف ان الانكليز ياكلون لحم البشر كمثل البربر فقال لي اني اقول لك للحق انهم ياكلون لحم البشر فقلت له انت منوهم وعيناك مصورية ولا انت ناظر جيدا لان هذا الامر من اعجب العجايب ان الانكليز ياكلون لحم البشر كمثل الوحوش الضارية وهذا ضرب من المستحيل • ثم اني حزنت جدا ليس فقط كوني ارسلت الاصپانيولي وابا جمعه ان يذهبا ولكن لست بقادر ان اطلق الرصاص من عندي اليهم لانهم بعيدون منهم اكثر من رمي رصاصة وان هجمت عليهم كما هجمت سابقا علي البربر فاخاف ليلا يكون معهم سلاح فيقتلوني قبل ان ادنو منهم ولما تحققت باسلحتهم جيدا فما رايت معهم لا بندقية ولا طبنجة سوا سيوفهم وظننت انهم يريدون ان يقتلوا المكتفين ويقطعونهم

بسيوفهم ولكن بعد ما اعبدوهم من الشاطي حلوا وثاقاتهم واطلقوهم ان يذهبوا اين ما يريدون اما البحريون الذين اخرجوا المحابيس وسابوهم في الجزيرة فخرجو الي الجزيرة قاصدين ان يجولوا فيها وينظرونها ولقلة فطنتهم ووعيهم ما افتكروا عن القارب الذي جاوا به لكنهم تركوه وحده فجزر البحر وبقي القارب ثاهلا علي القاع بعيدا من البحر• فاثنان منهم شربوا خمرا وسكروا ووقعوا نايمين كالحجارة• فالذي كان صاحيا بينهم اتي الي القارب فراه ثاهلا وقد رسخ بالطين رسخا ثابتا فصرخ علي اوليك ان ياتوا ويزيحونه معه ويزحفوه الي البحر فلما سمعت كلامهم اعطيتهم اذني لاسمعهم جيدا فسمعت احدهم يقول للاخر جاك اتركه يايعقوب ودعنا نصبر الي ان ياتي المد فيعوم وحده• فمن هذه الكلامات عرفت انهم ابنا بلدي فكنت ميقنا جيدا ان المد ما ياتي قبل عشر ساعات ويظلم الوقت فانا اتقدم الي عندهم وهم ما ينظروني وعند ذلك اقدر اتقدم

لديهم واسمع مقاولاتهم واعرف قصدهم ثم اني استعديت ولما صار الوقت حملت ثلثة بندقيات علي كتفي وعطيت جمعه ثلثة بندقيات اخرات ما عدا فروتي وطرطوري والذي كان يراني كان يفزع مني ظاننا عني انني احد الملوك القياصرة لاسيما ان يري الطبنجتين معلقتين في حزامي وسيفي متل علي جانبي فالثلثة الذين كانوا مربوطين ذهبوا وجلسوا تحت ظل شجرة بعد يدين مني مسافة ربع ميل فاقتربت اليهم من دون احد يسمعني وجمعه ورايي يلحقني • فلما اقتربت منهم صرخت عليهم باللغة الاصپانيولية قايلا من انتم يا فلان قلت هذا وابنت لهم ذاتي فلما راوني انبهتوا وفزعوا نظرا لغلاظة الحس الذي اسمعتهم ولبسي المهيب فخمدوا وما ردوا علي ادني كلمة وتظاهروا لي كانهم يريدون الهروب لخوفهم مني• ثم اني كلمتهم باللغة الانكليزية وقلت لهم لاتخافوا انكم قد ظفرتم برحمة من عند الله وقد حظاكم تعالي بواحد الذي انتم ترقبون

اعانته فنط واحد منهم وقال ان هذا الذي يكلمنا لابد هو من السما قال هذا ورفع برنيطته من علي راسه واحترم لي وقال يا سيدي ان رجانا قد انقطع من هذا العالم فقلت له كن مطمانا لان الاعانة كلها من السما ولكن يا اخي لما رايت الفعل الذي فعلوه معكم هولا الناس القساة القلب وكيف اطلعوكم من القارب مكتفين اشتعل قلبي في وبديت افتكر باي شي اقدر ان انجدكم من اياديهم والان اريد ان افعل كل جهدي واخلصكم• فرد علي قايلا وهو يتعجب هل انني اتكلم مع الله اومع انسان فانا متدخل عليك يا سيدي ان تخبرني عن ذاتك هل انت انسان اوملاك فقلت له اني رجل انگليزي طالب ان انجيكم واخلصكم وما تجدون احدا في هذه الجزيرة كلها سوا عبدكم المتكلم معكم• فالان اخبروني عن حالكم وقصوا علي قضيتكم وها انا اعطيكم سلاحا وكلما تحتاجون اليه لتشهيل نفوسكم• فقال ان قصتنا طويلة ولالي الان فرصة ان اوضحها لك

بالتفصيل والبيان فبالاختصار انني صاحب هذا
المركب الذي ربما رايته وبحريتي تقمقموا علي
بهتانا وعصوا• ثم ربطوني انا وكاتبي وهذا المسافر
واخرجونا علي هذه الجزيرة فاولاكان قصدهم ان يذبحونا
كلنا واما تعالي فشا بسلامتنا وطرح في قلوبهم
فابقونا وما ذبحونا مع اننا ما كنا مصدقين ان نخلص
من بين اياديهم • فقلت له هل ان اعداكم سافروا
وتركوكم ههنا•فاجابني قايلا لا لكنهم نايمون قبالك
فاشار الي بيده معلنا ني مكانهم ففزعت للوقت
ليلا يسمعون فياتون علينا ويهلكونا•فسالته بصوت
واطي هل عندهم بندقيات اوطبنجات فقال عندهم
بندقيتين فقط واحدة تركوها في القارب والاخري
معهم•ثم قال لي ايضا ان هذا الامر الذي فعلوه
معي كان سببه من اثنين واما البقية فمالوا الي
مرامها فقط ولكن اذا عدمنا الاثنين الذين قلت عنهما
فالبقية ينطبعون ويطيعون لنا ويرجعون كما كانوا
اولا• فلما انباني عن كل شي اعطيت لكل واحد منهم

بندقية وبارود ورصاص والتفت الي الاعدا وطلقت النار بهم وقتلت واحد من اعدا القبطان وصوبت الاخر صوابا مميتا وبدا يصرخ الي احد ان ياتي ويعينه اما القبطان فاتي اليه وقال له ابكم يا اجعري الي الان تتكلم قال هذا القبطان وطح راسه بعكس البندقية ونزع حيوته • ثم اني حالا حشيت البندقية ايضا وقوصتها فاصبت ثلثة اخرين صوابا ليس بقتول ولما بادرت اليهم صرخوا الي قايلين اعف عنا وارحمنا اما القبطان فسمح لهم واراد ان يحلفوا له يمينا وينشرون القلوع ويعملون كل مصالح المركب من غير تمرد فاجابونا بالايجاب وفعلوا كلما الزمناهم ان يفعلوه•فقلت للقبطان حينيذ كتفهم وخذهم الي المركب مربوطين فسمع مني وكتفهم ولما كنا ملبوكين مع البحريين امرت جمعة ان يذهب الي عند كاتب القبطان ويقول له ان يذهب ويحرس القارب وامرته ايضا ان ياتي بالقلوع والمقاذيف فلما راوا بقية البحريين ان القبطان مسلطاهم اختضعوا

له وسلموا له اكتافهم ان يفعل بهم كيفما يشا ولما انتهينا من عملنا واطمانينا علي نفوسنا بديت اقص قصتي علي القبطان وكاتبه والمسافر وكيف جري لي من الاول الي الاخر وبعد ذلك اتيت بهم الي قصري الصغير واطلعتهم علي ساير ما اني قاصد ان اعمله وبعد ما انتهيت من كلامي بدينا نتشاور كيف نفعل هل نقدر ندبر المركب ونسافر فقال القبطان ان البحريين الذين بقوا في المركب مقدار ست وعشرين نفسا لكنهم ايضا متعادون معنا ويخاف منهم لانهم عالمون قد اجرموا مع اورفاقهم ولصلابتهم وشدة باسهم يخاف منهم وانه خطر لنا ان نرافقهم لانهم اكثرمنا جدا فقلت له ان هذا الكلام محقق وعديم الشبه ولكن يسوغ لنا ان نرسخ علي امر فقال الامر الذي نرسخ عليه اننا نكسر القارب اولا ثم ارتاينا هكذا وكسرنا جانبي القارب وحرقناه في وسطه حرقا واسعا حتي انه غير ممكن يسير الي المركب واما الذين علي ظهر المركب صفروا

وصرخوا واشروا للذين في الجزيرة ان يذهبوا اليهم ولا كان احد يجيبهم ولذلك احوجتهم الضرورة ان يرسلوا قاربا اخر الي البر وفيه عشرة رجال مسلحون ليبحثوا عنهم وهولا كانوا معروفين عند القبطان من اي قماش هم ثم اخبرني القبطان قايلا ان بينهم ثلثه فتيان بريون وميلهم الي الشر لخوفهم من البقية• فانا شجعته وقويت قلبه ان لا يخاف منهم ابدا• واما الاسرا فباقيين معنا مربوطين ما عدا اثنين عديمي الذنب اخذناهم معنا لمعونتنا• فافتكرت للوقت اننا قادرون علي الوقوف في ميدان الحرب فلما وصلوا الي الشاطي البحريون وراوا القارب في تلك الحالة ليس فقط صرخوا وعجوا ولكنهم قوصوا بندقياتهم ليسمعوا ارفاقهم ولكن تعبهم كان باطلا لان واحد ما جاوبهم فاندهلوا من هذا واخذتهم الحيرة وظنوا ان ارناقهم قد قتلوا فتراوا لنا انهم يريدون الرجوع الي المركب ومن هذا الامر تغير وجه القبطان واكتئب جدا ثم ان الذين

جاوا بالقارب ارسلوا منهم ثلثة ان يذهبوا ويدوروا علي ارفاقهم وهم خرجوا علي الشاطي ينتظرونهم الي ان يرجعوا فلما اتوا الي الزور قريبا من قصري القديم لانهم من ذلك المكان يقدرون ان يمدوا نظرهم بعيدا وبدوا يصرخون وينادون لارفاقهم حتي انسم حسهم واذ راوا ان ولا واحد يجيبهم اتوا وجلسوا تحت ظل شجرة فقلت للقبطان اننا لا نقدر نفعل شيا معهم حتي الليل واردت ان احتال حيلة وابعد البقية من القارب ولما كنا نتشاور كيف نعمل ما اري والا هم نهضوا كانهم مصروعون وتوجهوا ناحية البحر فامرت جمعة وكاتب القبطان ان يذهبا الي غربي الخليج ويصرخا هناك باعلي صوتها ثم يدخلا في الزور من دون احد يراهما وياتيان الي عندنا وهذه المشورة كانت عظيمة جدا لانها لما فعلا ما امرتها به فالبقية الذين كانوا علي الشاطي منتظرين ربعهم خلفوا ثلثة عند القارب واتبعوا اثر الصوت واتوا الي غربي الخليج

حيث جمعه وكاتب القبطان صرخا واذ انهم ما
راوا احدا صرخوا علي الذين خلفوهم عند القارب
ان ياتوا بالقارب الي عندهم ويعبروهم وللوقت
قمنا نحن سوية وقطعنا طريقهم فقعد القبطان
زنادة وطلق النار فقتل واحدا منهم وصوب الثاني
واما الثالث فكان عديم الذنب فاتفق معنا وصار
من حسبنا فتاخر الوقت علي اوليك فلما اتوا
الي القارب وجدوه ثاهلا علي الارض والذين
ابقوهما عند القارب راوهما واحدا ميتا والاخر
مصوبا فهربوا زايطين ويصرخون قايلين يا لهامن
وقعة ان الجزيرة بها شياطين والان يريدون ان
يهلكونا كلنا واما ارفاقي فارادوا ان يهجموا عليهم
لكنني انا ما خليتهم حتي اعرف غاية الامر اما جمعه
والقبطان فحبيا بين الاشواك والشجر ومشيا عليهما
حتي اقتربا منهم ولما حار القبطان من حيال ملازم
القارب فما تمهل لكنه اطلق النار وقتله حالا وجمعه ايضا
تبعه وصوب الاخر الذي كان واقفا حذاه • ثم

اني انا مشيت بعسكري كله عليهم والوقت قد
اظلم فامرت الذين فضلوا في القارب ان يدعيهم
كل واحد باسمه ويخوفهم فقام وبدا يصرخ عليهم
قايلا ياتوما الحداد ياتوما الحداد الحقوني فاجابه
من انت فقال له بحب الله اغيثوني والا الان
كلكم توخذون اسرا والموت يحل بكم فقال له
توما ما الخبر فقال له ان القبطان اتي الي مع جوق
عظيم وقبضوني اسيرا وصوبوا ويلفير وقتلوا ملازم
القارب فقال له اتريد ان نحاصصكم بما وقعتم
انتم فيه • ثم ان القبطان صرخ عليه وقال له
انت ياتوما ما تعرف صوتي هلم الي ههنا ولك
الراي والامانة مني مع عدا الحج حمودا ففزع
الحج حمودا وقال ماذا فعلت اكثر من الاخر من
الشر فالحج حمودا زور بكلامه لانه هو الذي مد
يده علي القبطان وكتفه ثم قالوا له اطلب
الراي والامان من الوزير لاني هكذا دعيت
كوني متملك علي الجزيرة فامرتهم كلهم

ان يلقوا اسلحتهم ويغطون اكنافهم للربط واعتقلناهم في القارب • ثم ان القبطان بدا يهجيهم ويعاتبهم علي فعلهم القبيح الذي فعلوه معه وقال لهم ان حاكم هذه الجزيرة هو رجل انكليزي واراد ان يحوشكم عنده هنا لكنه اخيرا ارتاي ان يرسلكم الي انكلترا اماهم فبدوا يتخشعون ويتدخلون علي القبطان ان يسامحهم ولا يواخذهم بما فعلوه معه وتوسلوا اليه ان لا يرسلهم الي انكلترا وهذا جوابهم كان حسب مقصودنا اي اننا نريد ان نخلي المركب منهم • وبعد ان ارسلناهم الي المغارة محبوسين قلت للقبطان اذهب وتحالف معهم باسمي وقل لهم ان اصلحتهم نيتكم ووافقتمونا واجتهدتم بمداراة المركب فلكم الامان والاطمان منا فراح وكلمهم بما امرته به فاجابوه نحن طايعون وليس انهم يفعلون ذلك فقط لكنهم يقاتلون عنا الي اخر نسمة حيوتهم وكلمن يجتري ويفعل شيا خلاف القانون ويحصل منه زلة ما فيعتقل ويستاصل •

فلما تحقق منهم هذا القبطان حل وثاقاتهم وعتقهم
واخذ معه بعضا منهم وذهب واصلح القارب وسلمه
بيد المسافر الذي كان معه ووكله عليه واعطاه
ايضا اربعة رجال مسلحة اما هو وكاتبه وخمسة اخر
ذهبوا في قارب اخر• ففي نصف الليل اتينا الي
المركب فقلنا ماذا نفعل حتي نطلع الي فوق
فالقبطان قال لروبنصن انده عليهم وقل لهم اننا
تعبنا جدا وقاسينا عنا لايوصف حتي وجدنا الرجال
ولما كان مشغولا معهم في الحديث صعد القبطان
علي المركب هو وكاتبه والبحريون فتحمي القبطان
وضرب الكاتب الثاني والنجار وطرحها علي سطح
المركب وقبض الذين كانوا علي ظهر المركب واعتقلهم•
فلما راوا البقية ما جري بالكاتب والنجار وان المادة
قلبت عليها هربوا ونزلوا في العنبر الصغير ونقبوا
علي العنبر الكبير ودخلوا فيه فاتبعوا اثرهم البحريون
الذين هم من حزب القبطان وقوصوا نايب القبطان
فلقوه ميتا ولما راوا قد مات عقيدهم سلموا

نفوسهم بيد القبطان طالبين منه المغفرة وقالوا له سلمنا امرنا لك ومهما تريد افعل بنا فقال لهم القبطان ان كنتم ترجعون علي ما كنتم عليه فنقبلكم ولكم امان الله وان كنتم لم تزالوا خاينين فنقاصصكم وننتقم معكم فاقروا كلهم بالطاعة والخضوع • وهكذا خلصنا المركب من ايادي المغتصبين وخضعناهم كلهم فقام للوقت القبطان واطلق مدافع كثيرة علامة للفرح والسرور وحمدنا الله علي استظهارنا علي الاعدا فقدمنا المركب الي فم الخليج ورسينا هناك بسلام • فقام القبطان وقال لي اننا كلنا عبيدك والمركب مركبك وكلما فيه لك • لانك انت الذي خلصتنا من الموت الضريع قال هذا واخذني بحضنه وبدا يعانقني وانا ايضا عانقته وفرحنا فرحا عظيما جدا نظر لنجاته من الموت ونجاتي من الجزيرة • وبعد هذا اردنا ان نديرامرا كيف نفعل فتشاورنا ماذا نفعل بالمحبوسين الذين تركناهم في الجزيرة فمنهم من قال ناخذهم ومنهم من قال نتركهم هنا فانا

قلت لهم ان الراي الانسب اننا نتركهم ههنا
فاستحسنوا هذا الراي فذهبت انا وجمعه اليهم وقلت
لهم ان القبطان يريد يقلع من ههنا فان اردتم ان
تاتوا معنا فاول مينة تدخلونها فهناك تصلبون
وان اردتم ان تمكثوا ههنا فيعفي عنكم ولا يصيبكم
شي السبتة فاتفقوا علي هذا الراي ان يمكثوا في
الجزيرة فانا ايضا حكيت لهم قصتي كلها وما جري
لي من الاول الي الاخر ووصيتهم ان يتحفظوا
بالاصپانيوليين اذا اتوا الي الجزيرة واخبرتهم عنهم
وعطيتهم سلاحي كله والماونة التي ذخرتها وانبيتهم
عن كل شي يخص معيشتهم ولما انتهيت من
كلامي توادعت معهم واخذت جمعه وانطلقت
به الي المركب وبتنا تلك الليلة هناك في فم الخليج
وفي الغد صباحا اتيا اثنان منهم عايمين الي المركب
متوسلين الي القبطان ان يطلعها فوق المركب
وياخذهما معه شاكيين حالها كيف ان البقية
ضربوهما وهانوهما • فقلت انا للقبطان اصعدهما

الي فوق ودعهما ياتون معنا فاصعدناهما وادبناهما ادبا صارما • وهكذا تواد عت من الجزيرة في اليوم الثاني والعشرين من ايلول سنة الف وست مائة وسبع وثمانين ومعي الفلوس والبغال والشمسية والقبع الذي عملته من جلد المعزي وكانت اقامتي في هذه الجزيرة ثمان وعشرين سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ووصلنا الى انكلترا في اليوم الحادى عشر من شهر حزيران سنة الف وستماية وثمان وثمانين بعد ما كنت غايبا من بلادي نحو خمس وثلاثين سنة ورايت ذاتي في ذلك الوقت كاني في الحلم•

• •

•

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟

ليس هذا هو السؤال بالضبط. وإنما قد تكون الصورة الأدق للسؤال هي: ما موقع هذا "الكتاب" بين الكتب الأولى المترجمة – أو حتى المطبوعة – بالعربية؟ من قام بترجمة الكتاب وطباعته؟ وكيف؟ وما قصته؟ وماذا فعل هذا المترجم الأول بالنص الإنجليزي في أوائل القرن التاسع عشر؟ وعن أي طبعة من الطبعات الكثيرة للرواية قام بالترجمة؟ وبأي مستوى من اللغة العربية ترجم النص الإنجليزي؟ وإلى أي مدى أدخل تعديلات على النص بحيث يتواءم مع الذائقة القصصية العربية في ذلك الزمان؟ لا أحد يعرف على وجه التحقيق الظروف التي أحاطت بترجمة هذه الرواية ونشرها، ولا من قام بالترجمة. كل ما نعرفه يقيناً هو ما تقوله صفحة العنوان من أنها منشورة في مالطة عام 1835.

هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟

تصميم الغلاف: نسرين كشك